السجل الأسود لأمريكا



الشيطان يسكن تمثال الحرية

من إبادة الهنود الحمر.. حتى تدمير العراق

عصام عبد الفتاح

شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع

القاهرة - مصر

شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع

كتاب: السجل الأسود لأمريكا

الشيطان يسكن تمثال الحرية ..

من إبادة الهنود الحمر .. حتى تدمير العراق

إعداد: عصام عبد الفتاح

رقم الإيـــداع: 2010/15098

الترقيم الدولي: 6-9277-17-977

الطبعة الأولى 2015



الناشر: **شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع**

١٦٥ ش محمد فريد – الدور الثالث – القاهرة

تليفون: 23919695 (202+)　　تليفاكس: 23900867 (202+)

e-mail: sherif_mass2010@yahoo.com

موقع الشركة على شبكة التواصل الاجتماعي

- *https://www.youtube.com/watch?v=7HLlLS-hHxo&feature=youtu.be*
- *https://www.facebook.com/alshryf.mas?ref=tn_tnmn*

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: منعت العراق درهمها وقفيزها.. ومنعت الشام مديها ودينارها.. ومنعت مصر إردبها ودينارها.. وعدتم من حيث بدأتم.. وعدتم من حيث بدأتم.. وعدتم من حيث بدأتم.

يقولون بأنني كاتب ساخر...

ولكن لم تبلغ بي السخرية إلى الحد الذي يجعلني أذهب إلى أمريكا

وأشاهد تمثال الحرية على بابها..

برنارد شو..



المقدمة

مع مطلع القرن العشرين بدأ ظهور الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية كقوة عظمى وفقاً لنظامٍ عالميٍ صنعته لنفسها.. لا تعترف فيه فعلياً بثنائية القوة بينها وبين غريمها السابق الاتحاد السوفيتي.. وإن اعترفت بها على استحياءٍ إعلامياً.. ونظرياً.. فيما يمكننا تسميته «أنانية القوة» وساعدها على ترسيخ تلك «القاعدة» أنظمة وحلفاء داروا في فلكها عبر مختلف دول العالم.

ورويداً.. رويداً تحول رمز الدولة الأمريكية «تمثال الحرية» في نظر شعوب العالم إلى رمزٍ للديمقراطية لكن وفقاً للنموذج الأمريكي.. ولما تدعو إليه من مبادئ مُعلنة في حماية الأقليات وحقوق الإنسان.

ورويداً.. رويداً.. بدأ القناع ينزاح عن وجه التمثال ليسفر لنا عن أقبح وجه عرفته الإنسانية.. وجهٌ محفورٌ عليه سمات الصلف والغرور.. تعلوه يدٌ تمسك بما يسمونه شعلة الحرية.. وهي في حقيقتها شعلة العنصرية..

يدٌ تتقاطر منها شلالات الدم المسفوح عبر كل مذابحها.. وحملات إبادتها الجماعية للأبرياء..

وكأن هذا التمثال يسكنه شيطان.. يوزع الدمار والهلاك في كل مكان تحت دعاوى الديمقراطية.. وتعميم النموذج الأمريكي نمطاً للحياة في كل مكان.. والغريب أن هذا الكيان الأمريكي بكل بشاعته بدأ برقعة جغرافية

محدودة لا تزيد عن ثلاثة عشر ولاية.. وقوة بشرية كان تعدادها لا يزيد على الأربعة ملايين نسمة.. ثم (تتمر) بمرور الزمن بالشكل الذي أصبح عليه الآن.

فماذا حدث؟

ما حدث بعد ذلك يُعد استثناءاً تاريخياً..

فخلال قرن ونصف القرن فقط هي كل عمر هذه الدولة فرضت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها على خريطة العالم.. سياسياً.. واقتصادياً.. ونمت بسرعة استثنائية لتصبح أهم وأغنى قوة في العالم.

قبلها.. ومنذ (٨) ثمانية آلاف عام قبل الميلاد وحتى هذا التاريخ كان هذا الكيان الجغرافي يستوطنه شعوبٌ اتُفِقَ على تسميتها تاريخياً بالهنود الحمر.. وكوّنت تلك الشعوب القديمة ثقافتها الخاصة.

لكن برغم قِدم تاريخ شعوبها الأصلية إلا أنه لا يعتبر جزءاً مؤثراً في تاريخ الولايات المتحدة.. لأن حدود الولايات المتحدة بشكلها المُتعارف عليه اليوم لم تكن موجودة آنذاك.. ومؤسسو تلك الولايات المتحدة جاءوا جميعهم من أوروبا بعد اكتشاف الأمريكتين.

وقد مرت الولايات المتحدة بعدة مراحل.. فبعد مرحلة التكوين الأولى فيما سبق القرن العشرين.. دخلت مرحلة التفوق مع انتهاء الحرب العالمية الأولى.. ثم تحولت في الحرب العالمية الثانية.. ومع نهاياتها إلى مرحلة التعاظم لتصبح قوةً عظمى تكاد تحتكر لنفسها كل تفوقٍ حضاري.. وهيمنة تصل لحد الاستبداد.. وعَبَّرَت عن ذلك بالقنبلة الذرية امتلاكاً.. وردعاً.. واستخداماً.. وعندما بدأ الاتحاد السوفيتي ينافسها.. استطاعت أن تُبقي نفسها دوماً هي الأكثر تفوقاً.. قبل أن تنفرد تماماً بصدارة المشهد الدولي إثر انهيار الأخير وتفككه في تسعينات القرن العشرين.. وانسحابه من موقعه كقوة عظمى ثانية.

نفق اسمه الإرهاب

لكن بمجرد ما تخلصت من عداء غريمها السوفيتي.. دخلت في نفق عدائي آخر.. وأصبحت تعيش كابوساً اسمه «الإرهاب» الذي توهمت.. وأوهمت الجميع

أنه يلاحق مصالحها في كل بُقعةٍ من العالم.. وسَعَتْ لما سمته إعلامياً فيما بعد بـ «تجفيف منابع الإرهاب» فساعدت «حركة طالبان»[1] في الوصول إلى الحكم في أفغانستان عام ١٩٩٤ قبل أن ينقلب كلٌ منهما على الآخر.. بل وفشل استثمارها في طالبان وارتد عليها.

ويمكننا مبدئياً تقسيم تاريخ الولايات المتحدة المعاصر إلى مرحلتين أساسيتين:

- قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ..
- وبعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ..

فقبل وقوع تلك الأحداث مباشرةً بدأت الولايات المتحدة تعيش مجموعة من المآزق الدولية.. شهد بعضها تفجير سفاراتٍ مختلفة لها في أفريقيا.. ثم تدمير المدمرة كول.. ومقتل بعض جنودها في السعودية.

حكاية المدمرة (كول)

ونتوقف هنا قليلاً لنتحدث عن تدمير (كول) فالأمر له دلالاته الخاصة المتعلقة بسلوك الولايات المتحدة في صراعاتها مع دول العالم الثالث.. فهي الحجة الأمريكية الأكبر في حالة (السُعار) التي تملكتها فيما أطلقت عليه حربها ضد الإرهاب.. ففي الثاني عشر من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٤ كانت شواطئ عدن باليمن تفتح ذراعيها لاستقبال المدمرة الأمريكية (كول) لتزودها بالوقود والخدمات اللازمة غير عابئة بما في فلسطين والعراق آنذاك من ذبح وتقتيل للأطفال والنساء والشيوخ العُزل كل ذلك بدعم وإشراف الولايات المتحدة الأمريكية ويشاهده العالم يومياً على كل الفضائيات.

وبينما كانت المدمرة الأمريكية ترسو في الميناء اليمني اتجه نحوها قارب صغير يقوده شخصان.. أو شخص واحد.. وكان القارب صناعة محلية قيل أنه كان مزوداً بموتور سيارة أو جرار زراعي أو ربما دراجة بخارية.. كان القارب

(١) التنظيم سنتحدث عنه باستفاضة فيما بعد.. ومؤسسه نتحدث عنه في فصل هؤلاء تحدوا الشيطان..

يسعى لهدف محدد وهو تدمير كول.. وبدت المدمرة في تهاويها وكأنها لعبة أطفال يلهو بها طفلٌ يحبو في مهده.

العملية ككل كانت خارج التوقع والحسابات البشرية.. والمؤكد أنه لو قاست المجموعة التي نفذت العملية ما عزمت عليه بقياسات النظريات والاستراتيجيات وما أشبه لرموا أنفسهم بالجنون.. فقد كانت العملية نسبة نجاحها صفر في المائة.. فالمدمرة كما قيل كانت مجهزة لتدافع عن نفسها براً وبحراً وجواً.. ولكن هذا بالحسابات البشرية.. أما الحسابات الإلهية فالمنطق البشري يقف أمامها عاجزاً.. وفي النهاية نجح القارب في مهمته.

وأياً كانت الحقيقة فالمدمرة كانت لا يمكن مقارنة قوتها التدميرية.. وما تحمله من عتاد وضباط وجنود على أعلى المستويات التدريبية..

ومن هنا جاء الدرس الأول الذي ينبغي أن يلتفت إليه كل من يطلب لنفسه أو لوطنه الحرية والاستقلال.. أو من يريدون أن يستردوا حريتهم وكرامتهم واستقلال قرارهم بعيداً عن التبعية لشيطان عالم اليوم.

الدرس يقول:

إن توافر الإرادة والإصرار على الوصول للهدف كفيل بتذليل كل العقبات.. حتى لو كان ذلك متعلقاً بقوة كقوة الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة يضطر فيها الإنسان شبه الأعزل أن يواجه مدمرة في حجم المدمرة كول بحفنة من البارود والمسامير.

فضرب المدمرة لم يتم بصاروخ عابر للقارات أو غواصة نووية أو حتى زورق عسكري صُمِمَ لحماية السفن.. أو طراداً عسكرياً صُمِمَ لمهاجمتها.. ولم يتم صناعة القارب في مصانع حربية متقدمة.. بل ربما لم تكلف العملية برمتها أكثر من حفنة دولارات معدودة لتضيع على الولايات المتحدة ما سبق وأنفقته من مئات الملايين من الدولارات على بناء المدمرة بما كانت تحتويه من نُظم حماية خاصة.. واستعدادات متميزة.. إضافةً بالطبع إلى ما لحق بسمعتها العسكرية وسمعة أسلحتها ومدمراتها من استهزاء.

والدرس جاء بشكل عملي ليرغم الولايات المتحدة الأمريكية أكبر قوة عالمية على أن تجر ما تبقى من المدمرة بعد تدميرها بشكل مهين تحت جنح الظلام.. وتسلك بها مسالك شتى لا تُعلن عن خط سيرها.

لا بل ترفع درجة استعداداتها في قواتها البحرية المتواجدة في الخليج وتمنع سفنها من المرور في قناة السويس.

لقد دُمِرَ هذا القارب مع اختراقه لجسم المدمرة كول وأحدث فجوة كبيرة فيها لكن ليس هذا هو بيت القصيد فحسب.. إنما هناك حدث خلل كبير فيما كانت تردده الولايات المتحدة من مصطلحات رنانة وطنانة طالما شنفت بها آذان الجميع.. وهي مصطلحات على شاكلة موازين القوى.. نحن قوة لا تقهر.. وكلها مسميات انهارت أمام درس المدمرة أو على الأقل أحدثت في كيان الولايات المتحدة فجوة أكبر بكثير من حجم الفجوة التي حدثت في جسم المدمرة.

لقد حاولت الآلة الإعلامية الغربية وأبواق الغرب في عالمنا الإسلامي من حكام أو ممن ارتبطت مصالحهم الاقتصادية والمالية بالولايات المتحدة الأمريكية سواء كانوا من رجال الأعمال أو رجال الإعلام.. أن يبثوا في نفوسنا بل ونفوس أجيالنا القادمة أننا أمام واقع لا يمكن تغييره.. فقوتنا العسكرية لا يمكنها مضارعة أو مقارعة قوة الولايات المتحدة الأمريكية.. أو حتى الكيان الصهيوني الذي احتل كل فلسطين وهزم حكام العرب أجمعين.

كما أن قوتنا الاقتصادية لن تقوى على بناء قوة عسكرية تمكننا بحال من الأحوال اللحاق بالقوة العسكرية الغربية.

وقد اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية وهذه الأبواق التي تروج لها في منطقتنا من العراق مثلاً تخيف به كل قوة تحاول أن تقول (لا) في المنطقة.. بل لإرهاب كل من تسول له نفسه الخروج عن هذه المنظومة.

وهنا لا نستعجب ولا نندهش إذا رأينا الولايات المتحدة تقوم بأعمال همجية وبربرية أقرب إلى البلطجة وممارسات (فتوات وحرافيش نجيب محفوظ في رواياته) مثل قيامها بالعدوان على دولة فقيرة كالسودان لتحطم مصنعا لأدوية

الأطفال ربما كان الوحيد فيها.. وتدمر معسكرات للتدريب في أفغانستان بما فيها ومن فيها ربما كان لا يوجد بها بندقية.

بل ذهبت تسن لنفسها القوانين الداخلية التي تبيح لها خطف من تشاء من مواطني العالم خاصةً الإسلاميين لتحاكمهم أمام المحاكم الأمريكية بدعاوى قيامهم بأعمال تُعدها الولايات المتحدة أعمالاً إرهابية.

أما الدرس الثاني فينبغي أن تستوعبه الولايات المتحدة الأمريكية نفسها وكل القوى المعادية للحرية والتي تتصور أنها بامتلاكها آلة عسكرية ضخمة قادرة على إذلال الشعوب وإرهابها ومنعها من تحقيق إرادتها.

واليوم على الولايات المتحدة أن تدرك أنها قد تكون قادرة على فرض ما تريد لفترة من الزمن.. لكنها - وإن طالت- لن تستطيع أن تفرض ما تريد إلى ما لا نهاية.. وهي حتماً ستتحمل الكثير من التضحيات والخسائر في سبيل حرصها على تحقيق مصالحها من جانب واحد وبدون النظر إلى مصالح الغير.

أما أولئك الذين يملكون قدراً عالياً من القدرة على الصمود بل والرغبة في المقاومة فقد يخسرون بشكل أكبر في بداية المواجهة.. قد يُضَيَّق عليهم.. قد يُطاردوا.. قد لا يجدون لهم موطناً أو مأوى.. ولكن لو يعلمون هذه أحد أهم مواطن القوة وليس الضعف كما يتوهم البعض ..

فحياة الرفاهية والاستقرار لا تصلح للأحرار في الوقت الذي أصبح هذا الاستقرار هو ثمن السكوت وكله (أكل عيش).. والعمل على بناء الدول والمجتمعات والجماعات هو عمل لن يتسنى لأحد القيام به في ظل استمرار الضربات والملاحقات التي تفرضها الولايات المتحدة ومن معها.

إنهم في الحقيقة لن يسمحوا لنا كدول عربية وإسلامية بتحقيق أدنى درجات الاستقرار الفعلي.. أما الاستقرار الصوري الذي يروجون له فبالنسبة لهم يعني أن يفعلوا في أرضنا وأعراضنا ما يشاءون دون أن يعترضهم أحد.. ودون أن يواجههم أحد.. وفي هذه الحال يسمحوا بالحياة الناعمة لتابعيهم.. يركبون السيارات

الفارهـة.. ويعيشـون في القصـور الشـامخة.. وترفـرف علـى أوطـانهم بفعـل الهـواء الأمريكـي المدنس أعلام دولهم التي جعلوها تركع أمام الوثن الأمريكـي.

أما الشعوب فهي غارقة في أنماط من الاقتصاد الاستهلاكي القادم إلينا من عندهم.. ما بين أصناف المياه الغازية.. والكحولية.. والكنتاكي.. والبيتزا هت.. ومواد التجميل والعطور وأدوات الزينة وتقليعات الموضة وعدد من المواخير تتناسب مع الحضارة والرقي والسياحة.

أما الدرس الأهم والواجب علينا أن ندركه جميعاً وهو أن كل قوي له نقاط ضعف وكل ضعيف له نقاط قوة.. وربما لو أحسن الضعفاء استثمار نقاط قوتهم ووجهوها حيث مكامن الضعف عند الأقوياء ربما استطاعوا أن يحققوا ما يبغونه في حياتهم.

وهناك كثير من نقاط الضعف عند الأقوياء التي ينبغي أن نلتفت لها.. منها ما هو متعلق بإمكانياتهم.. ومنها ما هو متعلق بطبيعة حياتهم.. فهؤلاء الذين كرسوا كل جهودهم ليحيوا حياة رغدة سعيدة ليسوا على استعداد أن يخوضوا حرباً طويلة ومتسعة باتساع الكرة الأرضية وانتشار مصالح العدو فيها تنغص عليهم حياتهم وتفقدهم أمنهم في حلهم وترحالهم.. وهم كما يقول القرآن الكريم: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)[1].

وكلما نجحت القوى الشعبية الإسلامية مع كثرة عددها في إشعار هؤلاء القوم أن أعمالهم الإجرامية في بلادنا لن تمر بدون عقاب إن لم يكن اليوم فغداً.. وأن تَوَقُّع هذا العقاب في كل وقت ممكن.. فإن هذه القوى العدوانية لن تستطيع أن تتحمل حياة الرعب والترقب والانتظار.

الحرب الإعلامية

إن ضرب المدمرة كول بوصفه هدفاً عسكرياً حصيناً أضاف بعداً آخر.. فضرب الأهداف التي اصطلح على أنها مدنية استطاعت الآلة الإعلامية الضخمة

(١) قرآن كريم.. سورة البقرة آية(٩٦).

للغرب أن تجعله عملاً مداناً عند البعض في حين أن استهداف المدمرة هو عمل أكثر إيلاما بالنسبة للولايات المتحدة وهو في نفس الوقت لا يستطيع أحد حتى من القوى الكفرية نفسها إدانته واستعمال ذريعة مهاجمة المدنيين.. وهم يعنون بالطبع المدنيين من غير المسلمين أما المسلمون فلا بأس أن يقتل أطفالهم ونساؤهم وشيوخهم في فلسطين والشيشان وغيرهما.

كما أن أصحاب مقولات الاعتدال والعقلانية وضرورة صون حياة المدنيين من غير المسلمين لن يستطيعوا أن يدينوا هذا الحدث بشيء حيث أن الهدف هدف عسكري وأنه لدولة كافرة محاربة ومعادية تدعم الكيان الصهيوني في احتلال أرضنا وتشريد شعبنا.

ولقد كان توقيت توجيه الضربة للمدمرة كول في ظل العدوان الهمجي والبربري الذي كان - وما زال- يقوم به اليهود في مواجهة شعبنا في فلسطين توقيتاً موفقا.. وقد دفع الكثير من أبناء الحركات الإسلامية لأن تحذو حذوه في صمت.. مما يدعو لتوقع المزيد من العمليات على هذا النحو.. وفي عمل تصعيدي مدروس في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية في ظل تنامي الشعور عند الكثيرين من أن الشعب الأمريكي لن يكف عن دعم الكيان الصهيوني بل ودفع قيادته السياسية في قراراتها ضد المسلمين على غرار ما تم في الكونجرس الأمريكي لمواجهة شعبنا في فلسطين.

لن يكف عن هذه الأعمال إلا إذا شعر هذا الشعب عمليا بخطر هذه السياسة عليه وتعريض أمنه للخطر سواء كان مدنياً أو عسكرياً.. وإذا كانت الجالية اليهودية يعتبرها متخذ القرار الأمريكي مصدر ضغط ينصاع له في ظاهر الأمر.. فإن الشعوب المسلمة عليها أن توقن أن الشعب الأمريكي يمكن أن يغير سياسته إذا ما أُضير ضرراً مباشراً من جراء هذه السياسة.. وإذا ظلت الولايات الأمريكية حريصة على أن تجعلنا نعيش تحت مظلة رعبها كدولة عظمى نووية فعلينا أن نشعرها أننا نمتلك من القدرة الذاتية والإيمانية المتمثلة في الرغبة في نيل الشهادة وبلوغ الدرجات العُلا ما يجعلها تضع أسلحتها هذه في المتاحف ليتندر عليها الناس.

علينا أن نشعرها أن أرواحنا قد ضاقت بسجنها داخل أسوار أجسادنا وإنها ترغب في حرية تحلق من خلالها بحواصل طير خضر.. وأنها تملك من الإرادة والعزيمة ما يجعلها تدفع بهذه الأجساد لتحطم بها الدروع والمدرعات.

لقد جاء ضرب المدمرة كول ليؤكد للولايات المتحدة الأمريكية أن قوة عتادها وبطشها لن يجعلها في مأمن من أيدي الشعوب الإسلامية.. وأن دعم الحكام لها لن يحميها من رعايا هؤلاء الحكام وأن السبيل الوحيد ليشعروا بالأمن هو أن يتعاملوا مع هذه الشعوب بما لها من تاريخ حضاري وجهادي لن يستطيعوا طمسه مهما امتلكوا من آلة عسكرية أو وظفوا حُكاماً لهم يحرصون على معاونتهم في ضرب شعوبهم.

إن أمتنا الإسلامية ذاخرة برجالها وقادرةً في أحلك الظروف على تقديم التضحيات.. ولن تُهزم أمة يحرص شبابها على الموت بأكثر مما يحرص شباب أعدائها على العُهر والفسوق.. وإن امتلكوا كل أدوات القهر والدمار.

كول ليست الأخيرة

ونعود لتداعيات تدمير كول.. لنقول أنها لم تكن آخر سلسلة الإحراج الدولي الذي عاشته الولايات المتحدة في سنواتها الأخيرة..خاصةً بعد عودة أجواء الحرب الباردة بينها وبين روسيا لتفرض نفسها من جديد على إثر كشفَ النقاب عن جواسيس لروسيا في الولايات المتحدة.. وعلى خلفيتها تم إبعاد أربعين دبلوماسياً روسياً من واشنطن.

ثم جاءها حرج دولي آخر.. ولكن هذه المرة جاء من ناحية عدوتها اللدودة الصين.. بعد أن تمكنت الأخيرة من كشف طائرة تجسس أمريكية تحلق فوق الأجواء الصينية.. وأجبرتها الصين على الهبوط بالقوة.. وألزمت الولايات المتحدة بالاعتذار.

وغيرها داخلياً.. وخارجياً.. والملاحظ في هذه الفترة أن أمريكا فشلت تماماً في كشف أو ملاحقة المسئولين عن ذلك.

ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لتمضى أمريكا بعدها قُدماً في تنفيذ سياستها الرامية إلى إشعال الحرب في المعاقل الخارجية.. وذلك من أجل حماية

نفسها من نفس الكابوس الذي تسميه بالإرهاب.. وفي حينه خرج رئيسها (بوش)[1] ليعلن أن من ليس مع أمريكا في حربها ضد الإرهاب فهو ضدها.

وبدأت عجلة الحرب تدور في أفغانستان.. ثم العراق.. وبدأ تصعيد الأمور مع إيران.. وسوريا.. والسودان.. وتوالى إصدار قوائم تضم أسماء من تراهم أمريكا إرهابيين.. سواء أكانوا أفراداً مثل عدوهم الأول «أسامة بن لادن»[2].. وتابعه «أيمن الظواهري» وغيرهم.. أو منظمات تسميها إرهابية.. مثل «القاعدة» وخلافه.

وما يحدث اليوم من إرهاب أمريكي يكشف النقاب عن زيف الديمقراطية الأمريكية يتنافى تماماً مع ما ذكره الرئيس الأمريكي السابق «ريتشارد نيكسون»[3] في كتابه "الفرصة السانحة" بقوله:

(نحن البلد الوحيد في تاريخ العالم الذي رفع اسمه بقوة مبادئه.. وليس بقوة سلاحه) ..

فمثل هذا القول يتنافى تماماً مع الوضع الراهن خصوصاً في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان.. ويتنافى كذلك مع تصريحات الإدارة الأمريكية المتكررة والتي تؤكد بأنها ستدافع عن مصالحها باستخدام القوة.. وستحمي حلفاءها اليهود بشتى الوسائل المسموحة وغير المسموحة.

---

(١) المقصود هنا هو بوش الابن رئيس الولايات المتحدة الثالث والأربعين وذلك من ٢٠ يناير ٢٠٠١ إلى ٢٠ يناير ٢٠٠٩ وهو من مواليد ٦ يوليو ١٩٤٦ كان حاكماً لولاية تكساس قبل توليه رئاسة الدولة وذلك من ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٠. انتخب رئيساً بعد انتخابات أتت نتيجتها متقاربة مع منافسه الديمقراطي آل جور.. وفي عام ٢٠٠٤ أعيد انتخابه للمرة الثانية لمدة أربع سنوات بعد تغلبه على مرشح الحزب الديمقراطي جون كيري وذلك بعد حملة هي الأكبر في تاريخ الانتخابات الرئاسية لأكبر بلدان العالم حيث كان له ستة داعمين من رجال الأعمال والشركات وهم «مورجان ستانلي - ميريل لينتش - برايس واتر هاوس - يو بي إس - مشروبات كوكاكولا - جولدمان ساكس». قبل دخوله السياسة كان رجل أعمال.. وكانت أعماله تتضمن عدة شركات للنفط.. كما أنه كان أحد المالكين لنادي تكساس رنجر للبيسبول من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٨.

(٢) نتحدث عنه هو وذراعه اليمنى أيمن الظواهري بالتفصيل في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان)

(٣) ريتشارد نيكسون «٩ يناير ١٩١٣ - ٢٢ أبريل ١٩٩٤» هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثين «١٩٦٩–١٩٧٤» ونائب الرئيس الأمريكي السادس والثلاثين «١٩٥٣–١٩٦١» اضطر للتنحي في بداية فترة رئاسته الثانية بسبب فضيحة ووترجيت تحت وطأة تهديد الكونجرس بإدانته.. كان زعيماً للتيار العالمي «المضاد للتيار الإنغلاقي» داخل الحزب الجمهوري.. والكتاب المُشار إليه هو وكتاب آخر اسمه «١٩٩٩ نصرٌ بلاحرب» قام نيكسون بتأبفهما عارضاً فيهما للكثير من خفايا الساسة الأمريكية أثناء رئاسته واشتغاله بها.

وهـذا يوضـح جليـاً التنـاقض الواضـح بـين مـا تدعيـه أمريكـا مـن ديمقراطيـة.. وسلام.. وبـين مـا تقـوم بـه مـن قمـع وتنكيـل وأحداث دموية لا زالـت تتـوالى حتـى اليـوم في المنـاطق العربيـة الـتي تحتلـها أمريكـا وسـط تكـتم إعلامـي أمريكـي وأوروبي وعربي.

والأهم أنه يتنافى تماماً مع كل السجل الأسود للولايات المتحدة الأمريكية عـبر تاريخهـا.. والـذي هـو محـور حـديثنا عـبر هـذا الكتـاب.. والـذي بـدأناه بالملحوظات السابقة على تاريخها الحديث.. والقديم والذي يمكننا أن نستنتج مـن خـلال مـا عرضنـا لـه أنـه ومنـذ اكتشـافها أصـبحت اسـم أمريكـا مرادفـاً للصـراع العرقـي.. والقتـال المسـتمر.. سـواء داخليـاً بـين المهـاجرين إليهـا ومواطنيهـا الأصليين.. أو خارجياً في سعيها الدؤوب لتعميم النموذج الأمريكي على مستوى دول العالم بثقافتها الخاصة.

والآن ماذا تريد الولايات المتحدة من وراء كل ذلك؟

كل ذلك يضعنا أمـام تسـاؤلات مهمـة تتعلق بالنهايـة الـتي تـود أن تصـل إليهـا الولايات المتحدة من سياستها الخارجية التي لم تكتفِ فقط بالوصول إلى حد التدخل العسكري المباشر.. بل تعدى ذلك إلى حد سعيها المستمر لتغيير وقلب المنـاهج التعليميـة والأنظمـة السياسية في كثيرٍ من دول العالم بالشكل الذي سنتحدث عنه في حينه..

الإجابـة لا تحتـاج إلى ذكـاء خـارق.. ولا تحليـلات سياسـية معقـدة.. فقـد قـال التـاريخ كلمتـه فيهـا.. ولا أصـدق مـن صـفحات التـاريخ حَكَمـاً في ذلـك.. فهـذا الكيان الإمبريالي.. الاستعماري يحلم بسيادته الجنس البشري.. وتحقيق سيادة القطب الواحد..

بحضارته حتى وإن كانت زائفة..

بسـلاحه حتـى وإن كـان موجهـاً إلى الإنسـانية جمعـاء.. بـدماء الأبريـاء الملوثـةُ بأيدي قادتهم به..

والدليل ما سنقرأه معاً من خلال الصفحات القادمة من هذا الكتاب.. الذي نزعم أنه يجمع بين دفتيه شتات ما كتبه المؤرخون وأصحاب النظريات التاريخية فيما يتعلق بالممارسات الأمريكية البغيضة عبر تاريخها المحدود زمنياً.. وغير المحدود أثراً.. ونقرأ من خلاله مجموعة من تلك الممارسات توضح العلاقة المعقدة بين ما يدعونه من ديمقراطية.. وما يمارسونه من أفعال.

كما نساهم بهذا الكتاب ليس فقط في دراسة الأحداث الهامة المترتبة على هذا فحسب.. بل بكل ما يحيط بالصورة من ملامح.. حتى وإن كانت بعيدة أو صغيرة. في طريقهم لتأسيس إمبراطوريتهم المزعومة.

وبجانب توثيق التاريخ الدموي للولايات المتحدة.. نقرأ بين ثنايا الكتاب صفحات توضح لنا ما يمكنه المساهمة في تغيير نظرتنا نحو واقعنا كعرب ومسلمين من أجل ضرورة تغييره. للأفضل بالطبع.

عصام عبد الفتاح
elbtrawy@yahoo.com

تمهيد



اكتشفها كولومبوس دون أن يدري!!

THE BLACK

THE BLACK

يبدأ التاريخ الأمريكي أواخر القرن الخامس عشر عند ما قام الرحالة الشهير «كريستوف كولومبس»[1] باكتشاف الأراضي الأمريكية عن طريق الصدفة.. عندما كان يبحث عن طريقٍ مختصر للوصول إلى الهند عبر البحر.. وعندما وجد أمريكا.. بما فيها من هنود حمر ظن خطئاً أنها بلاد الهند.. والطريف أنه عاش ومات فيها حتى دون أن يعرف الحقيقة.. أو يكتشف أن سكان الأرض الجديدة ليسوا الهنود الذين يقصدهم.. وإنما هم الهنود الحمر.

بلاد العم سام

وحالياً تُعرف الولايات المتحدة بمسمى خاص وهو أنها «بلاد العم سام».. فما هو العم سام؟ وما هي حكايته؟

---

(١) كريستوفر كولومبس عرف عنه في صباه بأنه كان يهوى البحر ويفكر فيه كثيراً.. ودائم البحث وواسع الخيال .. ويرغب في اكتشاف العالم وما وراء البحار.. وُلِدَ في أسبانيا لأبوين فقيرين.. وبدأ العمل على ظهر مركب وهو في الرابعة عشر من عمره.. ثم عمل مع شركة إيطالية في جنوة تعمل في النقل والاستيراد وخصوصاً من الهند.. وأول رحلة عمل له كانت على ظهر مركب بين ايطاليا وانجلترا عبر البحر المتوسط وتوقفوا عندها في البرتغال.. وفي عام ١٤٧٦م هوجمت وغرقت السفينة التي كان يعمل عليها من قبل قراصنة البحر في الحدود البرتغالية فاستقر بها تسع سنوات تزوج خلالها من ابنة أول مستعمر لجزيرة بورتوسانتو في عام ١٤٨٥م ثم غادر البرتغال متوجهاً إلى أسبانيا ليقابل الملك "فرديناند" والملكة "إيزابلا" وهناك عرض عليهم حلمه في اكتشاف طريق جديد وقصير للوصول إلى الهند بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح يتجه نحو الغرب.. ويدور كذلك حول أفريقيا.. وقد أعجب الملك والملكة بالفكرة فحصل منهم على نصف تكاليف الرحلة والنصف الآخر ساهمت بها البنوك بجنوه في ايطاليا وفي الثالث من أغسطس ١٤٩٢م غادر ومعه ثلاث سفن وبعد ٣٥يوماً في المحيط الأطلنطي وصل إلى جزر "سات سلفادور".. وفي ١٢ أكتوبر ١٤٩٢م وصل إلى الأرض الجديدة التي اعتقد بأنها الهند وهي أمريكا وكان يسكنها حين ذاك الهنود الحمر ثم وصل إلى كوبا واعتقد أيضاً بأنها الهند الأصلية.. وقد عمل كولومبس على ترك مجموعة من رجاله في جزيرة هاينين والتي اسماها جزيرة أسبانيا.. ومن ثم عاد من رحلته وقد استقبل بالاحتفال والفرح.. وقد جلب معه من هذه الرحلة بعض النباتات النادرة وقطع من الذهب الخالص والأحجار الكريمة ومجموعة من العبيد.. وبين عامين ١٤٩٣ – ١٥٠٤م قام بثلاث رحلات إلى السواحل الأمريكية بحثاً عن المدن العظيمة التي كتب عنها "كوبولو" من قبل وقد مات رجاله الذين تركهم في هايتي وكذلك لم يكتشف مناجم الذهب والأحجار الكريمة التي وعد بها.. ونتيجة لمعاملة رجاله لأهل الجزر بقسوة ثاروا عليهم وأعيد إلى أسبانيا مكبلاً بالقيود.. وفي عام ١٥٠٢م خرج من السجن على يد الملكة إيزابلا قبل موتها.. وبعد رحلته الرابعة اختلف مع الملك ليعيش بقية حياته في بؤس ومرض ألم به ثم مات في ٢٠ مايو ١٥٠٦م وهو لا يدري بأنه قد اكتشف العالم الجديد.

عُرفت الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الاسم منذ عام ١٨١٣ وذلك عند اندلاع الحرب بين أمريكا وانجلترا.. عندما انتصرت الأخيرة على الأولى في البداية.. حينها ظهر رجل يدعى «صموئيل ويلسون» ويُنادى اختصاراً باسم «العم سام» كان يعيش في نيويورك.. ويعود له الفضل في انتصار الأمريكان فيما خاضوه من معارك.. حيث كان دائماً يلبس بدلته المزركشة باللون الأحمر والأزرق ومرسومٌ عليها بعض النجوم.. مما كان يرفع من الروح المعنوية للجنود.. ويساعدهم على استجماع قواهم في المعارك.. ومن يومها اختارت الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون عَلَمُها الرسمي مزركشاً بلباس صموئيل.. ولقبتها وسائل الإعلام من يومها باسم «العم سام».

كيف بدأ تاريخ الولايات المتحدة؟

منذ قديم الأزل كان في القارة الأمريكية حياة.. لكن كانت حياة منعزلة تقريباً عن باقي دول العالم.. كانت صعوبة الوصول إلى تلك المناطق البعيدة.. تمنع التواصل بين الشعوب التي تستوطن تلك القارة وباقي الشعوب..

وكان السكان الأصليين لتلك المناطق متميزين في كل شيء.. في حضاراتهم المختلفة.. في قبائلهم المتناثرة.. في لغاتهم المتعددة اللهجات.. حتى تشريحياً كانت لهم خصائص فسيولوجية مميزة.. كل تلك السمات المختلفة صهرت في بوتقة واحدة لتخرج جنساً بشرياً متميزاً يسمى "الهنود الحمر".. وللتسمية معناها التطبيقي.. فهم هنود من حيث الشكل العام.. الوجه ذو الجبهة العريضة.. الأنف المدبب.. العيون الواسعة والغائرة.. القسمات الحادة.. الشعر الناعم المسترسل.. أما اللون الأحمر فهو اللون السائد لبشرة ذلك الجنس البشري.

وعلى غير الشائع لم يكن "كريستوفر كولومبوس" هو أول إنسان يصل إلى الأمريكتين.. ولا أول من وصل إليها عن طريق المحيط الأطلسي.. فقد سبقته في الوصول إليها «قبائل الفايكينج»[1] إلى شاطئ كندا على الأقل.. لكنه كان

(١) الفايكينج هو مسمى يعني القرصان البحري في اللغات الاسكندنافية القديمة.. اتسع استخدامه بشكل عام ليطلق على سكان المناطق الإسكندنافية والتي تشمل كلاً من السويد والدنمارك والنرويج وايسلندا

أول من أقام روابط دائمة بين أمريكا والقارات الأخرى.. ثم تبعه آلاف الأوروبيين جنوداً.. وتجاراً.. ورجال دين.. وأشخاص عاديين.. حتى تغير شكل القارة كلها.. واختفى إلى حدٍ ما سكانها الأصليون ما بين حملات إبادة.. وأمراض وبائية حيث لم يكن لسكان أمريكا من الهنود الحمر أية مناعة ضد أمراض أوروبا الوافدة الجديدة والوافدة عليهم.

وفي البداية.. وبعد اكتشاف الأمريكتين تنازعت ملكية الأراضي هناك ثلاث دول أساسية هي:

- **أسبانيا..**
- **فرنسا..**
- **هولندا..**

وسُمِيت الأراضي التي تملكها هولندا هناك باسم "نيوزلاند" وشملت أراضي كانت تملكها بالكامل تمتد بطول الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية في القرن السابع عشر.. وتشغلها الآن ولايات: ميريلاند.. بنسلفانيا.. نيوجيرسي.. نيويورك.

لكن كان هناك في الأفق بوادر لدخول دولة أخرى سيكون لها الجانب الأكبر في الكعكة الأمريكية.. وهي:

إنجلترا..

بالإضافة لملاحي السفن والتجار والمحاربين الذين نشئوا في تلك المناطق.. وهاجموا السواحل البريطانية والفرنسية وأجزاء أخرى من أوروبا في أواخر القرن الثامن بالإضافة.. إلى القرن الحادي عشر «٧٩٣م-١٠٦٦م» وتسمى بحقبة الفايكينج.. اشتهر الفايكيج ببراعة ملاحتهم وسفنهم الطويلة.. واستطاعوا في بضعة مئات من السنين السيطرة واستعمار سواحل أوروبا وأنهارها وجزرها.. حيث احرقوا وقتلوا ونهبوا مما أكسبهم سمعةً سيّئة ساعد على انتشارها طبائعهم الوثنية الوحشيةِ.. لكن تحول الفايكينج خلال فترة لا تتجاوز القرنين من الزمان إلى المسيحيةِ.. واستقرّوا في الأراضي التي هاجموها مسبقاً.. وفي نفس الوقت بنى الفايكنج مستوطنات جديدةً في آيسلندا.. جرينلند.. أمريكا الشمالية.. والأطلسي الشمالي.. إضافة إلى تَأسيس ممالكِ في شبه الجزيرة الإسكندنافية على طول الحدود مع الممالكِ الأوروبيةِ في الجنوب.. ونتيجة لاندماجهم في أراضيهم الجديدةِ أصبح منهم المزارعون والتُجّارَ إضافة إلى المحاربين.. انتهت حقبة الفايكينج مع انتهاء معركة جسر ستامفورد عام ١٠٦٦.

ففي القرن السادس عشر حدثت مشاحنات كبيرة داخل إنجلترا بين المتشددين دينياً.. وباقي فئات الشعب الإنجليزي.. حيث أراد المتشددون أن يغيروا قانون الدولة لمنع كل ما يخالف الدين ويبعد الكاثوليك عن الحكومة.. وكان هؤلاء في نفس التوقيت أيضاً ضد الملك.. لماذا؟

أولاً: لأنه لم يكن في نظرهم حريصاً بما فيه الكفاية فيما يخص تطبيق تعاليم الكنيسة الكاثوليكية بالصورة التي كانوا يرونها ضرورية.

ثانياً: لأنهم اعتبروا كل المؤمنين المسيحيين متساوون أمام الله.. وبالتالي لا يحق لأحد أن يتعالى على أحدٍ بالانتماء للطبقات العليا.. والنبلاء.. وخلافه.

وفي النهاية تطورت المشاحنات.. وزادت حدتها للدرجة التي حدثت خلالها حرب أهلية بين الجانبين.. وخسر المتشددون.. فقرر البعض منهم أن يطبقوا أفكارهم الدينية المتزمتة في أماكن بعيدة.. فتوجهوا إلى أمريكا.. وكان أول من ذهب منهم طائفة كانت تسمى "الحُجاج"[1] ووصلوا إلى ولاية «ماساشوستس» عام ١٦٢٠ وبنوا قرية "بليموث".. وساعدهم الهنود الأمريكيون بزعامة واحدٍ منهم كان يسمى "سكوانتو"[2] فتعايشوا معهم.. ووصلت العلاقة بينهم إلى حد إقامة عيد مشترك مع الهنود الأمريكيين.. ليشكروا الله على الحصاد وكان هذا أصل العيد الأمريكي الشهير المسمى بعيد الشكر[3].

كيف تكَوَنَ المجتمع الأمريكي الجديد؟

توالى وصول المهاجرين الإنجليز بشكل أساسي.. والمهاجرين الأوروبيين بشكل عام.. وتضافرت عدة عوامل في دفع حركة الهجرة وتنميتها مثل الضيق الاقتصادي.. والاستبداد السياسي.. والاضطهاد الديني.. كما شجع القضاةُ والقائمون على شؤون السجن المذنبين على الهجرة إلى أمريكا بدلاً من قضاء

(١) يُطلق عليهم باللغة الإنجليزية طبقة الـ «Pilgrims»

(٢) كان سكوانتو الهندي ينتمي لقبيلة وامبانواج وهو الذي ساعد مع قومه المستوطنين البيض في بداية استيطان أمريكا.

(٣) يُطلق عليهم باللغة الإنجليزية«Thanksgiving» ومعناه تقديم الشكر.

مدة العقوبة في السجن.. وأنشأت طائفة البيوريتان[1] مستوطنة بليموث التي أصبحت (ماساشوستس) فيما بعد.. وهكذا نشأ في هذه المستعمرات مجتمع جديد يرتبط بالولاء للوطن الأم «إنجلترا» ولكنه يتمتع في الوقت نفسه بحرية سياسية لا مثيل لها في أي مكان آخر في الأرض وذلك بمفهوم الحرية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.. حيث أن سكان هذه المستعمرات كانوا يحملون معهم أفكار "البريطانيين الأحرار" كما كانت لهم مجالسهم النيابية المنتخبة التي تضع القوانين.. وتفرض الضرائب.. وتحدد الاعتمادات المالية وتسيطر على الخزانة.

ورغم تنوُّع الأصول التي انحدر منها شعوب المستعمرات الأمريكية إلا أن اللغة والثقافة والنظم الإنجليزية ظلت هي السائدة.. ذلك أن المهاجرين الجُدُد كانوا يختلطون بالوافدين الإنجليز الأوائل.. ويتخذون لغتهم.. ويعتنقون وجهات نظرهم وثقافتهم الحياتية.. ونتج عن هذا الاندماج ظهور شعبٌ جديد هو الشعب الأمريكي الذي أخذ يتميز بالتدريج عن الشعوب الأوروبية التي ينتمي إليها.

وبحلول عام ١٧٣٣ تمكن المهاجرون الإنجليز من تأسيس ثلاثة عشر مستعمرة على ساحل المحيط الأطلسي من (نيوهامشير) في الشمال إلى (جورجيا) في الجنوب.. أما في مناطق أمريكا الشمالية الأخرى فقد سيطر الفرنسيون على كندا ولويزيانا التي ضمت منابع نهر الميسيسيبي الهائلة.

وبلغ النفوذ البريطاني في أمريكا أوج قوته قبل الثورة الأمريكية بسنوات قليلة.. فقد تغلبت بريطانيا في حربها على الفرنسيين والهنود الحمر.. وكانت المعاهدة التي أنهت الحرب قد ضمنت لبريطانيا معظم الأراضي التي كانت بيد الفرنسيين في أمريكا الشمالية والتي كانت تمتد من جبال الأبلاش في الشرق إلى نهر المسيسيبي ومن ضمنها رقعة واسعة في كندا.

وكان معظم أهل المستعمرات الأمريكيين يفخرون بانتمائهم إلى الإمبراطورية البريطانية في وقت كانت تُعتبر فيه أقوى الإمبراطوريات في العالم.

---

(١) وتعرف بـ «التطهريون» أو المتطهرين.

كان من حق المستعمرات أن تنتخب ممثليها لجمعية تشريعية تقوم بسن القوانين وفرض الضرائب ولكن حاكم المستعمرة كان له حق نقض أي من تلك القوانين.. وكانت بريطانيا تأمل من المستعمرات الأمريكية أن تخدم مصالحها الاقتصادية وقد رضيت المستعمرات بذلك بصورة عامة.. والمثال على ذلك أنها امتنعت عن صنع المواد والسلع المنافسة لمثيلاتها البريطانية.

وبعد ذلك بفترة قصيرة دخلت إنجلترا مع مستعمراتها في صراع.. ويرجع أول أسباب هذا الصراع إلى السياسة الإنجليزية في حكم المستعمرات.. فقد كان لكل مستعمرة حاكم إنجليزي ينوب عن ملك إنجلترا.. وكثيراً ما كان النزاع ينشُب بين الحكام الذين يمثلون المصالح الإنجليزية.. وبين المجالس النيابية المنتخبة التي تمثل مصالح الشعب في المستعمرات.. وقد أدى تكرار التصادم بين حكام المستعمرات وبين المجالس إلى إيقاظ إحساس سكان تلك المستعمرات بما هنالك من تباعد بين المصالح الأمريكية والإنجليزية.

حرب الأعوام السبعة «١٧٥٦ – ١٧٦٣»

خاضت فرنسا وإنجلترا حروباً عديدة ضد بعضهما البعض خلال القرن الثامن عشر.. ومع نهاية حرب الأعوام السبعة بينهما كانت إنجلترا تسيطر على كندا وجميع مناطق أمريكا الشمالية الواقعة شرق نهر الميسيسيبي.. لكنها في نفس الوقت كانت قد خرجت من تلك الحرب وهي تعاني أزمة مالية حادة نتيجة للنفقات الباهظة التي تكبدتها.. فبدأت بريطانيا بتغيير سياستها وذلك بتشديد قبضتها على مستعمراتها الشاسعة في أمريكا.. فصَوّتَ برلمانها على وجود جيش مرابط في أمريكا الشمالية.. وصدر قانون يلزم المستعمرات بأن تؤمن لذلك الجيش الثكنات والتجهيزات.. كما صدر قرار بتخصيص أراضٍ واقعة غرب جبال الأبلاش لإسكان الهنود ومنع البيض من إنشاء مستوطنات لهم في تلك الأراضي وتعيين الحراس لإبعاد المستوطنين عنها.. لقد اغتاظ المستوطنون من هذا القرار قائلين بأنه لا يحق لبريطانيا أن تمنعهم من الاستيطان.. كما أن كثيرين منهم كانوا يطمعون في تحقيق أرباح لهم في شراء الأراضي في الغرب.. ولعلاج

ذلك اتخذت الحكومة البريطانية عدة قرارات خصت بها مستعمراتها في الخارج.. خاصة في أمريكا.. وتمثلت تلك القرارات في:

- صدور ما يُعرف بقانون الملاحة «أو التجارة» سنة ١٦٥١ ذلك القانون الذي حَتَمَ نقل كافة الصادرات من المستعمرات إلى إنجلترا على سفن يملكها ويتولى تشغيلها إنجليز..
- حتّمت التشريعات التي تلت ذلك القانون أن يُعاد شحن صادرات المستعمرات إلى القارة الأوروبية في الموانئ الإنجليزية..
- نظمت استيراد السلع الأوروبية إلى المستعمرات بطريقة تعطي أفضلية للمصنوعات الإنجليزية..
- فرضت على المستعمرات إمداد البلد الأم بالمواد الخام.. وألا تنافسها في الصناعة..
- وأخيراً لجأت إلى فرض ضرائب جديدة على سكان مستعمراتها في الأمريكتين.. وكانت هذه الضرائب تنقسم لعدة أشكال أهمها كان ضريبتي السكر.. والبريد[1] الذي أقره البرلمان البريطاني عام ١٧٦٥ باسم "**قانون الطابع**" وألزم بموجبه المستعمرات بشراء الطوابع لتكون ضريبة خاصة على المطبوعات.

حكاية قانون الطابع

رأت بريطانيا ضرورة مشاركة أهل المستعمرات في تحمل نفقات جيوشها في أمريكا.. فأصدرت سنة ١٧٦٥ ذلك القانون الذي بموجبه تُدفع رسوم على الصحف.. وورق اللعب.. والشهادات العلمية.. والعديد من المستندات الرسمية على غرار ما كان معمولاً به في بريطانيا.

فاندلعت أعمال الشغب في المستعمرات احتجاجاً على هذا القانون.. ورفض الناس السماح ببيع تلك الطوابع متعللين بأنه لا يحق لمجلس البرلمان البريطاني أن

(١) بشكليه التمغة والطوابع.

يفرض ضرائب على المستعمرات لاعتقادهم بأن ذلك هو من حق هيئتهم التشريعية التي انتخبوها.. وقرر التجار في جميع الموانئ مقاطعة البضائع البريطانية ما لم يقم مجلس البرلمان بإلغاء ذلك القانون.

وهكذا ساعدت تلك القرارات الجديدة على خلق حالة من التذمُّر الشديد في المستعمرات الأمريكية.. خاصةً أن سكان أمريكا هم بالنسبة للدولة الأم مواطنون بريطانيون.. وبالتالي كان يتحتم عليهم الالتزام بكل ما تفرضه عليهم الحكومة الإنجليزية.. وأثارت هذه التغييرات ردود فعل غاضبة لدى المستعمرين الذين عارضوها بشدة ورددوا شعار «فرض الضرائب دون تمثيل يُعَدُّ طغيانًا».. وتعالت أصوات المستعمرين احتجاجاً.. وتفننوا في الإعلان عن احتجاجهم لدرجة قيام أحدهم برسم جمجمة وعظمتين متقاطعتين رمز الموت إلى اليمين تعبيرًا عن احتجاجهم على ذلك القانون.

قانونا تاونز هند

أصدر البرلمان البريطاني بعد ذلك قانوني" **تاونز هند**" نسبة إلى وزير الخزانة آنذاك.. فَرَض أحدهما ضريبة على الرصاص.. والأصباغ.. والورق.. والشاي.. كما فرض الآخر إنشاء مكتب للجمارك لجمع الضرائب في بوسطن..

مذبحة بوسطن وثورة الضرائب في أمريكا

وتسبب القراران في تجدد الاحتجاجات.. وأُلغِيت الضرائب باستثناء الضريبة المفروضة على الشاي.. وخرجت المظاهرات ضد الضريبة مرة أخرى ولا سيما في مدينة بوسطن فتصدى الجنود البريطانيون للمتظاهرين.. وقتلوا منهم خمسة أشخاص.. وقد سمى الأمريكيون هذا الهجوم مذبحة بوسطن.

كل ذلك أثار غضب المستعمرين.. خاصةً بعد إصرار الحكومة الإنجليزية على التمسك بحقها في فرض الضرائب على الشاي تحديداً..

وما بين الرفض من قِبل المستعمرين..

والإصرار من قِبل الحكومة البريطانية.. ازداد الموقف اشتعالاً..

حفل الشاي في بوسطن

ورفض سكان مدينة بوسطن دفع الضرائب لبريطانيا مقابل استيراد الشاي..

قانون الشاي

وبدأ الأمريكيون يُهرِّبون الشاي من هولندا لتلافي دفع ضريبته.. وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية وهي التي تقوم بنقل الشاي إلى المستعمرات قد أُصيبت بخسائر بالغة بسبب المقاطعة.. والتمست المساعدة من البرلمان.. فقرر تخفيض الرسوم.. واستطاعت الشركة أن تخفض سعر الشاي إلى مستوى أدنى من سعر الشاي المهرّب.. إلا أن المستوطنين استمروا في المقاطعة ورفض التجار بيعه..

وردَ مجموعة من الأمريكيين بإقامة ما أصبح يعرف بحفل الشاي في بوسطن.. فتتكر أفراد هذه المجموعة وعددهم ٥٠ رجل بأزياء الهنود الحمر.. وصعدوا إلى السفن التجارية الإنجليزية «٣ سفن» المحملة بالشاي.. وألقوا بنحو«٣٤٢»حاوية من الشاي في ميناء بوسطن.. وعرفت هذه العملية ببوسطن تي بارتي.

ووصفت لندن ما حدث بالفوضى.. والهمجية.. وأصدر البرلمان الإنجليزي قوانين تهدف إلى معاقبة بوسطن بما فيها إغلاق ميناء بوسطن أمام حركة الملاحة حتى يتم دفع ثمن الشاي.. وتعيين حاكم عسكري على بوسطن كان يدعى «جيدج» ومنع هذا الحاكم الاجتماعات إلا بأذن شخصي منه.. وقد أطلق سكان المستعمرات الأمريكية اسم «القوانين الجائرة» على هذه القوانين.

وبدأت الحرب رسمياً سنة ١٧٧٥ وانتصرت المقاومة الأمريكية في كثيرٍ منها.. خاصةً ما يُعرف بمعارك (ساراتوجا) مما منح الأمريكيين الثقة بالنفس.. ورفع من روحهم المعنوية.. ورد المستعمرون بتشكيل ما عُرِفَ بـ "المجلس القاري الأول

بفيلادلفيا" والذي ضم وقتها ١٢ مستعمرة.. وهو نفسه ما يُعرف تاريخياً بمؤتمر فيلادلفيا[1].



بورتريه مرسوم يعبر عن حرب الاستقلال



وبورتريه آخر يصور حفل شاي بوسطن

كيف بدأت الحرب؟

كان الدفاع عن الأمريكيين في بداية الحرب موكولاً إلى الجيش الوطني.. أو الميليشيات التي تطورت وأصبحت جيشاً منظماً تحت اسم الجيش القارِي بقيادة

(١) هو التجمع الذي التقى فيه ممثلون عن ثلاث عشرة مستعمرة الذين أصبحوا فيما بعد أعضاء إدارة الولايات المتحدة الأمريكية خلال حرب الاستقلال.. وقد اجتمع هذا الكونجرس بين عام ١٧٧٤ و١٧٨٩ أولاً فيما عُرِفَ بمؤتمر فيلادلفيا الأول وقد تم هذا الاجتماع في فيلادلفيا عام ١٧٧٤ وحضره ٥٦ ممثلاً من اثنتي عشر مستعمرة من أصل ثلاثة عشر.. وكان هذا الاجتماع للاحتجاج على التشريعات المجحفة التي فرضتها الإمبراطورية البريطانية حينها.. وعزم الممثلون على تنظيم مقاطعة اقتصادية لبريطانيا.. ثم مؤتمر فيلادلفيا الثاني الذي انطلقت فعالياته خلال حرب الاستقلال والثورة الأمريكية ضد النظام البريطاني أثناء اجتماع الممثلين في فيلادلفيا للمرة الثانية عام ١٧٧٥ وكان من بين الممثلين من كان يفضل البقاء تحت إدارة الحكومة البريطانية.. إلا أن التيار الذي كان يفضل الاستقلال فرض صوته على الجميع.. فنشأ عن هذا الاجتماع تأسيس جيش للدفاع عن الاستقلال لتنسيق الجهود في الميدان.

جورج واشنطن[1] واعتمد البريطانيون على جيش رسمي وعلى مجموعة من المرتزقة من ألمانيا.

وكيف سارت؟

عندما بدأت المعارك كان البريطانيون يتوقعون تحقيق نصر سريع.. إلا أنهم أُجْبُروا على التراجع مرتين تحت تأثير نيران البنادق التي كانت تنصب عليهم من فوق التل الحصين.. وقد تم إجلاء الأمريكيين عن التل بعد أن نفذت ذخيرتهم.

في شهر فبراير ١٧٧٥ أعلن البرلمان البريطاني أن ماساشوسيتس منطقة عصيان.. فقرر القائد البريطاني الجنرال جيج وبصحبته ٧٠٠ جندي الاستيلاء على مخازن الأسلحة والبارود الموجودة لدى الثوار في مدينة كونكورد قرب بوسطن.. فتصدى له عدد من أفراد الميليشيات المدربين.. وفقد الجنرال خلال هذه الحملة ٢٥٠ جندياً في حين بلغت خسائر الأمريكيين ٩٠ مقاتلاً.

انتشرت أخبار المصادمات بين الطرفين وأخذ رجال الميليشيات في أنحاء "نيو إنجلاند" أسلحتهم واحتشدوا خارج مدينة بوسطن.. فهاجم البريطانيون تحصينات الأمريكيين قرب بوسطن.. واستطاع هؤلاء صد ثلاث هجمات بريطانية قبل أن تنفد ذخائرهم.

وخلال الهجوم الثالث للبريطانيين أُجبر الأمريكيون على الفرار وكانت هذه المعارك التي سميت باسم "بنكرهل" أكثر المعارك دموية.. إذ بلغت خسائر

---

(١) جورج واشنطن «٢٢ فبراير ١٧٣٢ - ١٤ ديسمبر ١٧٩٩» هو أول رئيس للولايات المتحدة.. كان خصماً للانفصاليين وقاد الثورة التحريرية التي انتهت بإعلان استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا في ٤ يوليو ١٧٧٦ استمر في جهوده الرامية إلى إقرار النظام الفيدرالي بين الولايات الأمريكية حتى تكللت جهوده في النهاية بعقد مؤتمر دستوري في فيلادلفيا عام ١٧٨٧.وبعد إقرار الدستور في مؤتمر فيلادلفيا انتخبته الهيئة الانتخابية بالإجماع رئيسًا للولايات المتحدة.. أدى أول قسم دستوري في تاريخ الولايات المتحدة في شرفة مبنى مجلس الشيوخ يوم ٣٠ أبريل ١٧٨٩ ليحكم أمريكا لفترتين متتاليتين من ١٧٨٩ – ١٧٩٧. تميز باحترامه العميق لقرارات الكونجرس.. إذ لم يسع لتجاوز صلاحيات الكونجرس الدستورية. وعمل على تحييد أمريكا وعدم إقحامها في الصراع الدائر بين بريطانيا وفرنسا.. ورفض الأخذ بآراء العديد من وزرائه في التحيز لإحدى الدولتين. وقبل أن تنتهي السنة الثالثة من خروجه من الرئاسة أصيب بمرض توفي في أثره في ١٤ ديسمبر ١٧٩٩.

البريطانيين أكثر من ألف رجل وخسائر الأمريكيين أربعمائة مقاتل بين قتيل وجريح.

إخلاء بوسطن

على إثر انتصار الأمريكيين على الحاميتين البريطانيتين في فورت تيكونديروجا وكراون بوينت في نيويورك في عام ١٧٧٥م استطاعوا الحصول على كميات كبيرة من المدافع تم توجيهها نحو بوسطن في أواخر ١٧٧٥م مما أجبر قائد الجيش البريطاني في المدينة «الجنرال هاو» على إخلائها والانتقال إلى كندا في مارس ١٧٧٦م.

وفي نفس العام أعلن المجلس القاري الاستقلال عن بريطانيا مكوناً نواة الولايات المتحدة الأمريكية.. فكيف دار الأمر سياسياً؟

إعلان الاستقلال

خلال انعقاد المؤتمر القاري الثاني في مايو ١٧٧٥ كان هناك عدد قليل من الوفود يرغب في الانفصال عن البلد الأم.. وقد وافق المؤتمر على تقديم التماس غصن الزيتون الذي عبر فيه الموفدون عن إخلاصهم للملك جورج الثالث[1].. وعن رغبتهم في أن يسعى الملك إلى معالجة شكاواهم.

تجاهل الملك هذا الالتماس معلناً أن جميع المستعمرات إنما هي في حالة عصيان.. وقد أقنع هذا التصرف أكثر الوفود باستحالة التوصل إلى حل سلمي لهذه المشكلات مع بريطانيا.

---

(١) جورج الثالث عاش بين تاريخي «٤ يونيو ١٧٣٨ - ٢٩ يناير ١٨٢٠».. ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا خلال الفترة من ١٧٦٠ إلى ١٨٢٠.. وأميراً ثم ملكاً على هانوفر «١٧٦٠- ١٨١٥ ثم ١٨١٥- ١٨٢٠ م». كان حفيدا للملك السابق جورج الثاني.. كان يرفض تماماً فكرة استقلال أمريكا عن بريطانيا.. إلا أن الأمور تطورت في غير صالحه في النهاية.. عايش أحداث الثورة الفرنسية.. وكانت إنجلترا القلعة الأوروبية الوحيدة التي صمدت في وجه حملات نابليون.. قل اهتمامه بالسياسة منذ سنة ١٧٨٨ في أعقاب ظهور أعراض اختلال عقلي عليه حيث كانت تنتابه نوبات صرع.. ثم تطور المرض حتى أجمع الكل على أن الملك لم يعد قادرا على مزاولة نشاطه.. فنُصِب ابنه جورج الرابع وصياً عليه ١٨١١.

وفي ٤ يوليو ١٧٧٦م تبنى الكونجرس إعلان الاستقلال.. وكان هذا بمثابة إعلان ميلاد الولايات المتحدة الأمريكية.. وأعقب ذلك أن أعلنت كل مستعمرة من المستعمرات الثلاث عشرة السابقة نفسها ولاية.. وتوحدت هذه الولايات تحت حكومة مركزية ضعيفة.

استمرار الحرب

بعد إعلان الاستقلال كان على الأمريكيين أن يحافظوا عليه بالقوة.. وكانت تلك مهمة صعبة.. إذ أن كثيراً من الأمريكيين لم يشغلوا أنفسهم بالحرب وظلوا محايدين.. وكان هناك من بينهم المتعاطفون مع بريطانيا.. وتعداد الثوار كان تقريباً نحو سدس المستعمرين.. ودارت بين البريطانيين والثوريين عدة معارك.. كانت خلالها إستراتيجية البريطانيين تهدف إلى القضاء على الثوار في الشمال.

وبعد إخلاء بوسطن مباشرة في مارس ١٧٧٦ خطط «الجنرال هاو» للعودة إلى المستعمرات الأمريكية.. ونزل في جزيرة ستاتن في ميناء نيويورك.. وتبعه رجال كلينتون وأفواج الهيسيين.. وكان هاو يقود ٤٥ ألف جندي وملاح مدربين يقابلهم من الأمريكيين ٢٠ ألف مقاتل قليلي الخبرة والعتاد.

وكان واشنطن قد نقل جنوده إلى نيويورك على إثر انسحاب البريطانيين من بوسطن وقام الأمريكيون بتحصين مرتفعات بروكلين في الطرف الغربي من لونج أيلاند.. وعندها نزلت القوات البريطانية هناك.. وأحاطت بالأمريكيين من الجهة الأمامية وبدأت المعركة.. غير أن بطء هاو في التحرك أثناء الهجوم الثاني مَكَنَ الأمريكيين من سحب البقية الباقية من جنودهم.. واستطاع البريطانيون أن يخرجوا الأمريكيين من نيويورك وظلت المدينة في أيديهم إلى أن انتهت الحرب.

كان جيش واشنطن على وشك الانهيار ولم تستطع ميليشيات نيو جيرسي مساعدته.. ومع ذلك فقد أضاع هاو فرصة تدمير الجيش القاري بتأجيل هجومه إلى موسم الربيع.

في إحدى الليالي الباردة التي صادفت ٢٥ ديسمبر ١٧٧٦م استطاع واشنطن بعد أن عبر نهر ديلاوير أن يضرب مدينة ترنتون في هجوم مباغت مع جنوده.. وأخذ من الهيسيين الذين كانوا يدافعون عن المدينة ٩٠٠ أسير.

معركة مزرعة فريمان الأولى

تقدم الجيش البريطاني في صيف عام ١٧٧٧ من كندا نحو الجنوب بقيادة برجوين.. وتقابل مع القوات الأمريكية في منطقة قريبة من نهر هدسن.. حيث أنقذ حلول الظلام والجنود الهيسيون القوات البريطانية من هزيمة محققة في المعركة التي اشتهرت باسم معركة مزرعة فريمان الأولى.. ولكن بيرجوين خسر معركة مزرعة فريمان الثانية وبدأ التراجع.. وسرعان ما وجد نفسه وبشكل مفاجئ محاطًا بالقوات الأمريكية في ساراتوجا بقيادة الجنرال جيتس الذي كان يقود الجناح الشمالي للجيش القاري واستولى الأمريكيون على كميات هائلة من الأسلحة وأخذوا ما يقارب ستة آلاف أسير.

ساعد الفرنسيون الأمريكيين سراً في مجهودهم الحربي.. وزودوهم بالقروض والأسلحة.. غير أن الفرنسيين لم يكونوا يرغبون في التصريح بذلك علنًا قبل أن يحقق الأمريكيون نصرًا واضحًا خلال الحرب.. وكان الانتصار الذي حققوه في ساراتوجا نقطة تحول في سير الحرب.

معارك ساراتوجا

هي سلسلة معارك حدثت عام ١٧٧٧ كانت نقطة التحول في تاريخ الولايات المتحدة فهي التي هيأت الاستقلال للولايات المتحدة وكان من أهم نتائجها:

١. رفعت الروح المعنوية للثوار الأمريكيين وشجعتهم على التقدم وطلب الاستقلال.
٢. فقد جيش الملك ربع جنوده الأكفاء.
٣. أنهت فرنسا ترددها ووقعت معاهدة التحالف مع الثوار الأمريكيين للنيل من عدوها اللدود إنجلترا وانتقاما من هزيمتها في حرب السنين السبع.
٤. أصبح حوض هدسن تحت السيطرة الأمريكية.

في سنة ١٧٧٨ وقّع الفرنسيون معاهدة تحالف مع الأمريكيين.. وزودوهم بالجنود والسفن الحربية.. كما دخل الأسبان الحرب كحلفاء لفرنسا ثم هولندا سنة ١٧٨٠ وبدخول فرنسا الحرب اضطرت بريطانيا إلى توزيع جيوشها في مواقع أخرى ضد فرنسا وبذلك لم يعد في وسعها تأمين قوة كافية لمحاربة الأمريكيين في الشمال.

قضى جيش واشنطن وعدد أفراده عشرة آلاف جندي شتاء ١٧٧٧- ١٧٧٨م في فالي فورج في بنسلفانيا وكان بحاجة إلى ملابس وأغذية.. وقد هلك ربعهم من سوء التغذية والإصابة بالأمراض وترك الكثيرون منهم الجيش.

معارك الجنوب

وقع حصار يورك تاون حدث في أكتوبر عام ١٧٨١م وقد كانت آخر معركة كبرى أثناء الثورة الأمريكية.. وقد شرعت بريطانيا في إجراء محادثات بقصد السلام مع الأمريكيين بعد عدة أشهر من هزيمتها في يورك تاون.

غير البريطانيون خططهم الحربية بالتركيز على المستعمرات الجنوبية بدلاً من الهجوم على الشمال.. وأصبح كلينتون قائداً عاماً للقوات البريطانية في أمريكا الشمالية في مايو ١٧٧٨ وفي هذه السنة بدأت الحملة على الجنوب.. وتمكنت القوات البريطانية في نهاية تلك السنة من السيطرة على جميع أنحاء ولاية جورجيا.

وفي أوائل ١٧٨٠ نزلت القوات البريطانية قرب تشارلستون في ساوث كارولاينا ثم استسلمت قوات الجنرال بنيامين الذين كانوا يؤلفون تقريباً مجموع القوات الأمريكية تقريباً في الجنوب.

وعلى إثر ذلك كلف المؤتمر القاري الجنرال جيتس بطل ساراتوجا بتشكيل قوة جنوبية أخرى تحل محل القوة المستسلمة في تشارلستون.. وقد تشكلت القوة

على عجل من جنود تنقصهم الخبرة والتدريب وذهب بهم إلى (كارولاينا) لمواجهة الحامية البريطانية هناك.

التقى الجيشان يوم ١٦ أغسطس ١٧٨٠ بصورة غير متوقعة خارج كامدن.. وبدأت المعركة.. غير أن معظم أفراد الميليشيات فروا من المعركة دون أن يطلقوا رصاصة واحدة واشترك الباقون في المعركة فكانت إصاباتهم فادحة وأجبروا على التراجع.. وهكذا تغلبت القوات البريطانية على جيش أمريكي آخر.

وقد تلقى الأمريكيون ضربة أخرى حين اكتشفوا أن أحد قوادهم وهو الجنرال أرنولد الذي كان يقود حامية قد انضم إلى البريطانيين في وست بوينت بنيويورك وتمكنوا في الوقت المناسب من الحيلولة دون تسليمه «القاعدة» للبريطانيين.

نهاية الحرب

وصلت فرقة فرنسية بقيادة روشامبو إلى أمريكا في يوليو ١٧٨٠ وكان الأمريكيون يأملون في إخراج البريطانيين من نيويورك بمساعدة الفرنسيين.. وفي نهاية سبتمبر ١٧٨١ حاصرت قوة مشتركة من الطرفين القوات البريطانية بقيادة كورنواليس في يوركتاون وأجبرتها على الاستسلام.. وبلغ عدد الأسرى أكثر من ثمانية آلاف وهم يشكلون أكثر من ربع القوات البريطانية في أمريكا الشمالية.. وكانت معركة يوركتاون آخر معركة كبيرة خلال الحرب.. وخشية أن تؤدي مواصلة المعارك إلى فقدان مناطق أخرى فقد لجأ البريطانيون إلى محادثات السلام مع الأمريكيين منذ عام ١٧٨٢م.

معاهدة باريس

تم توقيع معاهدة باريس في ٣ سبتمبر ١٧٨٣ اعترفت بريطانيا بموجبها باستقلال الولايات المتحدة وانسحب آخر الجنود البريطانيين من نيويورك في نوفمبر ١٧٨٣.

نتائج الحرب

بلغ مجموع القتلى من الجانب الأمريكي ٢٥ ألفاً وحوالي ١٤٠٠ مفقود.. وخسائر الجانب البريطاني ١٠ آلاف رجل..

هذا فضلاً عن الأضرار الاقتصادية التي أصابت الطرفين وأوشكت بريطانيا على الإفلاس التام لكنها عوضت بعض الخسائر المالية بالضرائب التي فرضتها على تجارتها التي ازدهرت مع الدولة الجديدة.

كذلك تضررت اقتصاديات فرنسا كثيرًا وكانت على وشك الإفلاس في سنة ١٧٨٨م.. وتعد هذه المشكلات المالية ذات أثر كبير فيما بعد في اندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م.



الأمريكيون سعداء بالاستقلال

وثيقة الاستقلال

وجاء إعلان الاستقلال الأمريكي في شكل وثيقة تبناها الكونجرس القاري في الرابع من يوليو ١٧٧٦ لتعلن أن المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر المتحاربة مع بريطانيا العظمى قد أصبحت ولايات مستقلة وبالتالي لم تعد جزءاً من الإمبراطورية البريطانية.. وبعد إتمام نص الوثيقة في الرابع من يوليو.. أصدر الكونجرس إعلان الاستقلال على أكثر من صورة.. فوزع بداية كإعلان مطبوع على نطاق واسع..

وتمت تلاوته على مسامع الجمهور.. وبقيت نسخة من الإعلان هي النسخة الموقعة.. وهي معروضة الآن في الأرشيف الوطني في واشنطن العاصمة[1]..

وكانت نسخ الإعلان وتفسيره موضع الكثير من البحوث العلمية.. وقد برر الإعلان الاستقلال عبر سرد العديد من المظالم الاستعمارية ضد الملك جورج الثالث.. وعبر التأكيد على بعض الحقوق الطبيعية ومنها حق الثورة..

وخلال أحداث الثورة برزت شخصيتان لهما شديد الأثر في تكوين الولايات المتحدة.. وهما:

- جورج واشنطن البطل العسكري.. والذي سيصبح فيما بعد هو أول رئيس للولايات المتحدة الذي ترأس حزباً يؤيّد وجود رئيس قوي.. وحكومة مركزية..
- وتوماس جيفرسون المؤلف الرئيسي لوثيقة الاستقلال الذي ترأس حزباً يفضل منح الولايات قدراً أكبر من السلطة استناداً إلى النظرية التي تقول أن من شأن ذلك جعل الولايات أكثر تعرضاً للمساءلة تجاه الشعب.



بعد الاستقلال

وكان من أهم القضايا التي واجهت الدولة الوليدة هو تحديد شكل الحكم وحقوق المواطنين وواجباتهم والروابط التي تربط الولايات بالدولة وبالولايات الأخرى.. وفي مايو عام ١٧٨٧ اجتمع مندوبون عن الولايات لإقرار دستور للبلاد واختير جورج واشنطن بالإجماع ليكون رئيساً للدولة.

بعد حرب الاستقلال الأمريكية تمكن الأمريكيون رغم تنوع مصادرهم واختلاف أجناسهم من وضع أساس صحيح.. وقوى لتأسيس دولة عظمى قدمت في تلك الفترة للعالم مثال عن الحرية والديمقراطية.

- فتم إرساء النظام الجمهوري كمنهج عام للحكم..

(١) بالرغم من أن الموافقة على الإعلان كانت كما قلنا في الرابع من يوليو إلا أن تاريخ التوقيع عليها محل جدل.. ويستنتج معظم المؤرخين أن الوثيقة قد وقع عليها تقريباً بعد شهر من تبنيها في ٢ أغسطس ١٧٧٦ وليس في ٤ يوليو كما هو سائد.

- ثم تم وضع دستور عام للبلاد في ١٧ سبتمبر ١٧٨٧ وافقت عليه الولايات وبمقتضاه تم الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية.
- تم تكوين دولة فيدرالية منظمة بدستور مع وجود أعضاء منتخبين من كل ولاية.
- بدأ الأمريكيون في توحيد الأرض الأمريكية بضم المناطق في اتجاه الغرب فاشتروا اللوزيان سنة ١٨٠٣ من فرنسا وواصلوا ضم بقية المناطق فيما بين ١٨١٨ و١٨٥٣ فتضاعفت مساحة البلاد واتسعت وأكملوا وحدتهم الترابية محترمين حق تقرير المصير بتخيرهم بقية الولايات بالانضمام إليها.
- بعدها تم تعيين جورج واشنطن كأول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٧٨٩.

وبعد أن استتب الأمر لجورج واشنطن رئيساً للدولة الوليدة بدأ يجابه ببعض القلاقل الداخلية.. لعل أشهرها كان ما يعرف تاريخياً بـ..

تمرد الويسكي



جورج واشنطن يقود قوة لردع التمرد

وهو تمرد قام بها المستوطنون في غرب بنسلفانيا على أثر فرض ضرائب خاصة عليهم تسمى بضرائب صناعة الويسكي.. وكان ذلك عام ١٧٩٤.

وحدث التمرد عندما قررت المحكمة العليا فرض ضريبة خاصة على الويسكي عام ١٧٩١ مما أثار احتجاج خاص من قِبل سكان جبال الأبلاش الذين كانت صناعة التقطير هي مهنتهم الأساسية.. لدرجة أنهم كانوا يستخدمون قوارير التقطير أحياناً كنقود للتعامل فيما بينهم.

وبعد فشل مفاوضاتهم مع الحكومة لإلغاء تلك الضريبة.. اندلع التمرد في مقاطعة واشنطن أقصى غرب بنسلفانيا.. التي لم يكن حاكمها يريد فرض القانون بالقوة حتى لا يؤثر على شعبيته.

فقام جورج واشنطن بجمع قوات بلغ عددها ١٣ ألف جندي وهاجم المتمردين.. فهرب قادة التمرد وأغلب أتباعهم.. وتم القبض على اثنين هما القاضي روبرت فيلسون.. وأحد أتباع طائفة الكويكرز ويدعى هرمان هزباند اللذان حصلا على عفو من الرئيس واشنطن لاحقاً.

حرب طرابلس

«١٨٠١ ـ ١٨٠٥» أو الحرب البربرية الأولى

Tripolitan War Barbary Coast War



حرق فيلادلفيا بعد أسرها

وأحياناً أيضاً يأتي ذكرها باسم "حرب الساحل البربري" نسبة إلى ساحل شمال أفريقيا الغربي.. وهي أول حرب خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول شمال أفريقيا التابع لتركيا التي كان من بين أسمائها المعروفة آنذاك "الدول البربرية"[1].

في هذه الفترة كانت الأساطيل العثمانية تقوم بحماية السفن التجارية التي تعمل في البحر المتوسط مقابل رسوم تُدفع لها من قِبل الدول الأوروبية لحماية سفنها من القراصنة الذين كانوا يجوبون البحر المتوسط.. وكانت بريطانيا على سبيل المثال تدفع سنوياً ما قيمته ٦٠٠ جنيه إسترليني للخزانة العثمانية.. وتقدم الدانمرك مهمات حربية وآلات قيمتها ٤ آلاف ريال كل عام مصحوبة بالهدايا النفيسة.

أما هولندا فكانت تدفع ٦٠٠ جنيه.. ومملكة صقلية ٤ آلاف ريال.. ومملكة سردينيا ٦ آلاف جنيه.. والولايات المتحدة الأمريكية تقدم آلات ومهمات حربية قيمتها ٤ آلاف ريال و١٠ آلاف ريال أخرى نقداً مصحوبة بهدايا قيمة.. وتبعث فرنسا بهدايا ثمينة عند تغيير قناصلها.. وتقدم البرتغال هدايا من أحسن الأصناف.. وتورد السويد والنرويج كل سنة آلات وذخائر بحرية بمبالغ كبيرة.. وتدفع مدينتا هانوفر.. وبرن بألمانيا ٦٠٠ جنيه إنجليزي.. وتقدم أسبانيا أقيم وأغلى الهدايا سنوياً.

وبعد أن استقلت أمريكا عن إنجلترا سنة ١٧٧٦ بدأت السفن الأمريكية ترفع إعلامها لأول مرة سنة ١٧٨٣ وتجوب البحار والمحيطات.. وحدث أن تعرض البحارة الأتراك لسفن الولايات المتحدة.. فاستولوا على إحدى سفنها في مياه قادش وذلك في يوليو ١٧٨٥ ثم ما لبثوا أن استولوا على إحدى عشرة سفينة أخرى تخص أيضاً الولايات المتحدة الأمريكية.. وساقوها إلى السواحل الجزائرية التي كانت ولاية عثمانية آن ذاك.

---

(١) كانت الدول البربرية تتكون من: سلطنة المغرب المستقلة.. وثلاثة من الولايات العثمانية «الجزائر تونس وطرابلس» والتي كانت شبه مستقلة أسمياً فقط.. وتنتمي فعلياً للإمبراطورية العثمانية.

معاهدة استثنائية

ولما كانت الولايات المتحدة عاجزة عن استرداد سفنها بالقوة العسكرية.. وكانت تحتاج إلى سنوات طويلة لبناء أسطول بحري يستطيع أن يواجه الأسطول العثماني فقد اضطرت إلى الصلح وتوقيع معاهدة مع تركيا في ٥ سبتمبر ١٧٩٥ وقد تضمنت هذه المعاهدة ٢٢ مادة مكتوبة باللغة التركية.. وهذه الوثيقة هي المعاهدة الوحيدة التي كُتِبت بلغة غير الإنجليزية.. ووقعت عليها الولايات المتحدة الأمريكية خلال تاريخها كله.. وفي الوقت نفسه هي المعاهدة الوحيدة التي تعهدت فيها الولايات المتحدة بدفع ضريبة سنوية لدولة أجنبية.. وبمقتضاها استردت الولايات المتحدة أسراها وضمنت عدم تعرض القراصنة لسفنها.

وقع جورج واشنطن هذه المعاهدة بصفته أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية.. وكان الطرف الثاني في المعاهدة هو "بكلر حسن التركي" باشا[1] الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.. وبمقتضاها توجب على أمريكا أن تدفع إلى تركيا على الفور ٦٤٢ ألف دولار ذهبي و١٢٠٠ ليرة عثمانية.. وذلك مقابل أن تطلق الجزائر سراح الأسرى الأمريكيين الموجودين لديها.. وألا تتعرض لأي سفينة أمريكية تبحر في البحر المتوسط أو في المحيط الأطلسي.

وعلى الرغم من امتناع تركيا عن مهاجمة سفن الولايات المتحدة طيلة عام كامل إلا أنها رأت أنها لم تحصل على إتاوة سنوية مجزية.. فحاول الإنجليز استغلال هذه النقطة للثأر من «أمريكا» التي استقلت عنهم عنوة.. وتحولت لعدوٍ لدود.. وذلك من خلال الإيحاء لـ "يوسف باشا القره مانلي" بإعادة النظر في شروط المعاهدة مع الولايات المتحدة عبر قنصلهم في المنطقة العربية والذي كان يدعى "لوكاس".

وكان وقتها يوسف باشا في قمة الغضب.. والحنق.. من جراء الوضع الاقتصادي الصعب في بلاده.. ونقص الأموال اللازمة للإنفاق على الجيش.. والجهاز الإداري..

(١) باشا هنا بمعنى حاكم ولاية الجزائر.

وكـان جـيش القرمـانلي يتكـون وقتهـا مـن مرتزقـة.. ومـا يسـمى "قولوجليـة وانكشارية" معظمهم كـان يقيم في طرابلس.. بالإضـافة إلى الكتائب المسلحة المشكلة من بين القبائل الموالية للباشا.. وكـان القولوجلية يشـكلون الركيـزة الأساسية للجيش.. ويقدم رؤساء تجمعات القولوجلية العدد المطلوب من الجند لقاء الإعفاء من الضرائب وبدلاً لامتيازات أخرى.

أما أسطول الولاية فلم يكن القوة المطلوب منها حماية البلاد من العدوان الخارجي بقدر ما كان يمثل هيبة الدولة.. والمصدر الأهم لتحصيل الأموال التي كانت ضرورية جداً من أجل إثراء الصفوة الحاكمة العليا.. والإنفاق على الجيش وعلى النظام الحاكم بمجموعه.. وكـان يتكـون مـن ٢٠ سفينة مجهزة تجهيزاً عسكرياً جيداً ببحارتها البالغ عددهم حوالي العشرة آلاف.. وإلى جانب الجيش كان ليوسف باشا فرق نظامية خاصة تدعى «الشاويشية» لمهمة الحفاظ على القصر والمدينة.. وكان يخدم فيها الإنكشارية.. والمسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام بالإضافة إلى الزنوج الذين أُعتِقوا من العبودية.

وأرسلت الولايات المتحدة أسطولها الحربي إلى البحر المتوسط وكان يدخل في عداده فرقاطتان كانتا تسميان «بريزيدينت» و«فيلادلفيا» جهزت كل منهما بـ٤٤ مدفعاً.. بالإضافة إلى فرقاطة أخرى صغيرة كانت تسمى «إيسكس» تم تجهيزها بـ٣٢ مدفعاً.. وأخرى شراعية مجهزة بـ١٢ مدفعاً هي «إنتربرايز».

وكـان رئيس الجمهورية "توماس جيفرسـون" قد باشر للتو أعماله الرئاسية كثالث رئيس للولايات المتحدة.. وكان يأمل بإرسال أفضل قواته إلى البحر المتوسط كي تعزز هذه القوة من هيبة الولايات المتحدة في المنطقة.

وذكر عنه قوله لنائبه ووزير دفاعه في مكتبه الرئاسي:

«سوف نلقن هذا التركي الأبله[1] درساً لن ينساه في فنون القتال.. وسنجعله نصراً مدوياً ندشن به حقبة جديدة لأسطولنا.. وتواجدنا العسكري في أكثر

---

(١) بالطبع كان يقصد حاكم طرابلس.

مناطق العالم حيوية.. وبهذا أيها السادة نكون قد خطونا الخطوة الأولى نحو بناء الإمبراطورية الأمريكية».

وأصدر الرئيس جيفرسون أوامره إلى الأميرال "ريتشارد ديل" الذي كانت تجمعه به علاقة حميمة.. وأصل واحد كان كلاهما ينحدر من بلدة "فيرجينيا".. بقيادة الحملة.. والتوجه إلى البحر المتوسط لإلقاء الرعب في قلوب الحكام الأتراك في شمال غرب أفريقيا.. وإيجاد موطئ قدم للإمبراطورية الجديدة هناك..

وكان "ريتشارد ديل" هو أحد أبطال حرب الاستقلال.. وكان يتمتع بخبرة واسعة في مجال البحرية العسكرية وانطلق على صدر الفرقاطة فيلادلفيا بصحبة رفاقه وجنوده.

وفي ١٨٠١ طلب يوسف من الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون زيادة الرسوم المدفوعة إلى ٢٢٥ ألف دولار.. ولكن الرئيس جيفرسون المنتخب حديثاً والواثق في قدرة الولايات المتحدة والقوة البحرية الأمريكي المنشأة حديثاً في حماية السفن الأمريكية تجاهل هذه المطالب.

وفي ٦ فبراير ١٨٠٢ شرَع الكونجرس قانوناً لحماية التجارة الأمريكية وبحارة الولايات المتحدة من خطر الأسطول العربي.

إعلان الحرب على أمريكا

شعر يوسف بأن الأمريكيين يماطلون في دفع الجزية المفروضة على مرور السفن الأمريكية التجارية بالبحر المتوسط.. فعمد إلى إهانتهم في رمز شرفهم الوطني وأمر في ١٤ مايو ١٨٠١ جنوده بأن يحطموا سارية العلم الأمريكي القائمة أمام القنصلية الأمريكية في طرابلس.. في إشارة صريحة منه إلى إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية.. انطلقت بعدها الطرادات الليبية تجوب البحر بحثاً عن السفن الأمريكية للاستيلاء على غنائمها.. وإجبار حكومة واشنطن على دفع جزية سنوية مجزية.

فقام القنصل الأمريكي في طرابلس بمقابلة الباشا عارضاً احتجاج دولته الرسمي على الإهانة التي لحقت بالعلم الأمريكي.. وطلب إعادة البضائع التي سُلبت من السفن الأمريكية.. فقال له الباشا:

«أيها القنصل لا توجد أمة أريد معها الصلح مثل أمتكم وكل دول العالم تدفع لي.. ويجب أن تدفع لي أمتكم»..

فقال القنصل: «لقد دفعنا لك كل ما تعهدنا به إليك ولسنا مدينين بشيء»..

فرد الباشا متهكماً:

«فيما يتعلق بالسلام قمتم فعلاً بدفع اللازم.. أما في ما يتعلق بالمحافظة على السلام فلم تدفعوا شيئاً»..

لقد كان يوسف القراملي يدرك بحسه الخاص كقرصان سابق أنه يتعامل مع أمة أسسها قراصنة..

كما كان وقع حرق العلم الأمريكي على قلب القنصل كوقع الصاعقة.. واشتاط غضباً.. حينما وصله خطاب الباشا يأمره بمغادرة البلاد فوراً.. كانت الأجواء مشحونة.. والنفوس معبأة بفيضٍ من الكراهية ومشاعر الانتقام من الجانبين.. ولم يستطع القنصل فعل أي شيء سوى تمزيق معاهدة السلام والصداقة التي وقّعها مع طرابلس الغرب سنة ١٧٩٦.

وعند حلول المساء طفق المنادون يجوبون الشوارع.. قارعين طبول الحرب فيما شرعت المآذن تلهب حماس الناس بآيات من الذكر الحكيم تحرضهم على قتال الأمريكيين الذين وصفوهم بأنعم الصليبيين الجُدُد.

وخلال عشرة أيام بعد الحادث غادر القنصل الأمريكي "كاثكارت" طرابلس صحبة أسرته عبر البر متجهاً إلى تونس..

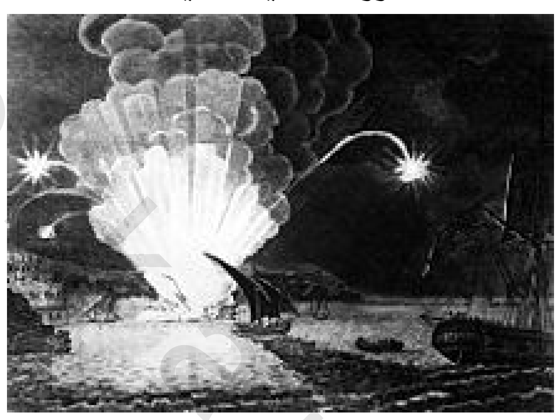
لكن لم يسمع قائد الأسطول الأمريكي "ديل" بأصداء ما حدث إلا في الـ٣٠ من يونيو وذلك عندما دخل جبل طارق للتزود بالمؤن.

وهلع ديل مما سمع إذ لم يكن يتوقع أن تجري الأمور بكل هذه السرعة.. وصدرت الأوامر منه على الفور بإغراق وحرق وتدمير أكبر عدد من المراكب الطرابلسية التي من المحتمل أن تواجههم في عرض المتوسط.

وفي يوليو ١٨٠١ أرسلت الولايات المتحدة أسطولاً حربياً مكوناً من الفرقاطتين «بريزيدنت» و«فيلادلفيا» ترافقهما سفينتان حربيتان.. ثم أضيف إلى الأسطول سفن أخرى فيما بعد.

قام الرئيس الأمريكي بإصدار الأوامر إلى أسطوله في البحر المتوسط بفرض الحصار على ميناء طرابلس عام ١٨٠٣ وقصف مدينة طرابلس بالمدافع.

ووقعت فيلادلفيا



فرقاطة فيلادلفيا «١٧٩٩»

وفي ٣١ أكتوبر ١٨٠٣ تمكنت البحرية الليبية من أسر الفرقاطة فيلادلفيا.. وأبحر بها البحارة الليبيون إلى ميناء طرابلس وعلى متنها ٣٠٨ من البحارة الأمريكيين استسلموا جميعاً.. وعلى رأسهم قائدها الكابتن بينبريدج.

وعندما عجز الأمريكيون عن استرداد هذه السفينة.. تسللوا إليها وقاموا بنسفها حتى لا تصبح غنيمة في أيدي الليبيين.. وقد شكل حادث السفينة فيلادلفيا حافزاً قوياً للولايات المتحدة للاهتمام بتأسيس بحرية قوية اتخذت نشيداً لها يردده جنودها صباح كل يوم ويقول:

من قاعات مونتيزوما إلى شواطئ طرابلس..

نحن نحارب معارك بلادنا..

في الجو والأرض والبحر..

وبالتوازي مع الحصار كانت أمريكا تعمل من خلال قنصلها في تونس وليم أيتون على خطة لتغير نظام طرابلس عبر استمالة أحمد باشا القراملي شقيق حاكم طرابلس يوسف.

كان أحمد باشا المقيم في مصر يعتبر نفسه أحق بالعرش من أخيه الأصغر الذي انقلب عليه وأقصاه عن الحكم لينفرد به لوحده.. فخطط الأمريكيون من خلال السفير الأمريكي في تونس وليم ايتون لإقناع أحمد القراملي بأنهم قادرون على تتويجه على عرش طرابلس بعد التخلص من أخيه.. فقبل أن يلعب دور العميل وقد لازمه الخوف طوال فترة انخراطه في المؤامرة.. الخوف من فشل المغامرة الذي كان يتوقعه في كل لحظة إلى جانب إحساسه بعار موالاة الكفرة التي تعد من كبائر المعاصي وتكاد تماثل الكفر بالله في ثقافة المسلم في ذلك العصر على الخصوص.

أول فرقة «مارينز» في تاريخ الولايات المتحدة

وجهزت قوة من المرتزقة بقيادة ضابط الجيش الأمريكي وليام أيتون وتعتبر هذه الفرقة هي أول فرقة مشاة بحرية أمريكية «مارينز».. وهاجمت شرق ليبيا وغزت مدينة درنة النائية[1] فقاومها الأتراك.. وأرسل الباشا قواته الإنكشارية إلى درنة.. وسقطت المدينة في يد القوة الغازية ورُفِعَ علم الولايات المتحدة على قلعتها.. وبذلك اعتبرت أول قطعة أرض تحتلها الولايات المتحدة في تاريخها.

اتفاقية طرابلس

عمدت الولايات المتحدة إلى المفاوضات عقب معركة درنة وتم توقيع معاهدة إنهاء الحرب في ١٠ يونيو ١٨٠٥ عرفت باتفاقية طرابلس.. وطلب باشا ليبيا يوسف باشا من الولايات المتحدة غرامات مالية تقدر بثلاثة ملايين دولار ذهباً.. وضريبة سنوية قدرها ٢٠ ألف دولار سنويا وظلت الولايات المتحدة تدفع هذه الضريبة

(١) هي مدينة صغيرة على البحر المتوسط قريبة من الحدود المصرية.. وتبعد عن طرابلس العاصمة أكثر من ألف كم..

حماية لسفنها حتى سنة ١٨١٢ حيث سدد القنصل الأمريكي في تركيا ٦٢ ألف دولار ذهباً.. وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي تسدد فيها الضريبة السنوية.

حرب ١٨١٢



حرب ١٨١٢ هي حرب بين الولايات المتحدة الأمريكية.. والمملكة المتحدة.. وأيرلندا ومستعمراتها في أمريكا الشمالية (كندا) من جهة أخرى.

وقد قام الأمريكان بإعلان الحرب على بريطانيا لعدة أسباب من ضمنها:

التجنيد الإجباري للبحارة الأمريكان في البحرية البريطانية..

الغضب من المزاعم البريطانية عن عمليات دعم المقاتلين الهنود السكان الأصليين لأمريكا للدفاع عن مصالحهم القبلية من حالة الاستيطان التي كانت تحدث من المهاجرين الأمريكان.

بدأت الحرب عام ١٨١٢ واستمرت إلى عام ١٨١٥ بالرغم من حدوث معاهدة سلام تخللتها عام ١٨١٤ وأسفرت تلك الحرب عن:

- مقتل ١٦٠٠ جندي من الجانب البريطاني..
- ومن الجانب الأمريكي ٢٢٦٠ جندي أمريكي..

وكان من أهم الأحداث التي نجمت عن تلك الحرب حريق البيت الأبيض وحريق عدد من البنية التحتية في واشنطن عام ١٨١٤ نتيجة هجوم القوات البريطانية والذي سُمِيَ بحريق واشنطن مما حفز الأمريكان على التطوع في الجيش الأمريكي للتصدي للقوات البريطانية.

حريق واشنطن

هو الاسم الذي أطلق على عملية حرق عدد من المباني المهمة في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء حرب ١٨١٢ من قبل القوات البريطانية في أمريكا الشمالية عام ١٨١٤.



وكان الهجوم البريطاني نتيجة لغزو الولايات المتحدة لعاصمة كندا العليا «يورك» وقامت القوات الأمريكية في هذا الغزو بنهب.. وإحراق.. وهدم المباني الهامة في المدينة مثل مبنى برلمان كندا العليا.. ومن نتيجة ما حدث تدمير البيت الأبيض.. ونهبت منه أشياء تاريخية كثيرة.. البعض منها فُقِدَ تماماً حتى الآن.. والبعض رجع فيما بعد كصورة جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة.

الحرب المكسيكية الأمريكية ١٨٤٦ ـ ١٨٤٨

في عام ١٨٣٥ تمردت منطقة تكساس على الحكومة المكسيكية.. وبعدها بعام واحد أُعلِنَ قيام جمهورية تكساس.. وبعد أن صارت تكساس إحدى ولايات الولايات المتحدة الأمريكية.. طالبت بأن تكون حدودها الجنوبية الغربية عند نهر ريو جراندي.. ولكن المكسيك رفضت ذلك.. ورفضت كذلك دفع التعويضات للمواطنين الأمريكيين.. أو التنازل عن أية أراض أخرى.

فقامت الحكومةَ الأمريكيةَ بالإدّعاء بأنّ الحدودَ الجنوبيةَ لتكساس كَانتْ ريو جراندي.. التي أبقتها المكسيك لِكي تَكُونَ فيما بعد "نهرَ نيوسز".. وأعلن الكونجرس الأمريكي الحرب في ١٣ مايو عام ١٨٤٦.

وبعدها بعشرة أيام كاملة.. وتحديداً في الثالث والعشرين من نفس الشهر أعلنت المكسيك الحرب.. وتمكنت القوات الأمريكية من غزو المكسيك.. واحتلال عاصمتها «مكسيكو سيتي».

وفي النهاية استسلمت المكسيك.. وانتهي القتال بشكل رسمي في أكتوبر ١٨٤٧ مباشرة بعد أن اقتحم الجنرالِ وينفيلد سكوت وقواتِه المكسيك.

وتحت ضغط الهزيمة باعت منطقة واسعة مِنْ الأرضِ إلى الولايات المتّحدةِ مقابل مبلغِ ١٥مليون دولار أمريكي.. وتوقيع ما يسمى بـ «معاهدة جوادولوب هيدالجو.. وكان ذلك في الثاني من فبراير عام ١٨٤٨».

وبموجب هذه المعاهدة اشترت الولايات المتحدة من المكسيك أراضي:

- نيفادا..
- يوتا..
- معظم أراضي أريزونا..
- نيومكسيكو..
- بعض أراضي كولورادو وويومينج.
- كاليفورنيا.. التي نستطيع القول أنها شهدت واحدة من أهم صفحات التاريخ الأمريكي غرابة.. وهو ما يعرف ب حُمى الذهب.. وتبدأ القصة عام ١٨٤٨ عندما اكتشف رجل كان يسمى (جيمس مارشال) كميات من الذهب في بعض مجاري أنهار كاليفورنيا.. واحتفظ لنفسه بالأمر.. إلا أن الخبر سرعان ما انتشر في الصحافة.. وأدى لحدوث حُمى في الهجرة إلى كاليفورنيا.. فاستقل الآلاف القطار.. والعربات.. والسفن.. وحتى سيراً على الأقدام من قارتي أمريكا والعالم القديم طمعاً في الحصول على ثروة سريعة.. وفي البداية اغتنى الكثير من المنقبين إلا أن الأمر لم يستمر هكذا طويلاً حتى سادت الصراعات وأعمال السطو.. وأصبح من

الصعوبة الحصول على الذهب بسبب احتكار الشركات الكبيرة لأعمال التنقيب.. والبحث.. فضلاً عن تضائل كميات الذهب التي عُثِرَ عليها بالفعل.. وانتهت حُمى الذهب عام ١٨٧٠ وأما الرجل الذي وجد الذهب فقد مات فقيراً معدماً.. مع ذلك لـ «حُمى الذهب» إيجابيات كثيرة على ولاية كاليفورنيا إذ استقر فيها الكثير من التجار ورجال الأعمال الذين كان لهم فضل في تطوير مدينة كاليفورنيا.

❖❖❖

ومن هنا يمكننا القول أن تاريخ الولايات المتحدة بشكلها الحالي بدأ منذ قيام "حرب الاستقلال".. ثم انطلقت جغرافياً من نواتها باتجاه المحيط الهادئ على حساب السكان الأصليين من الهنود الحمر.. ثم بعد انتهاء الحرب بدأت تتوسع على مراحل.. واشترت الولايات المتحدة كلاً من:

- لويزيانا من فرنسا عام ١٨٠٣.
- ثم استولت على فلوريدا من أسبانيا عام ١٨١٩.
- وضمت تكساس من المكسيك عام ١٨٤٨.
- ألاسكا وجزر ألوشيان من روسيا.. ولشراء ألاسكا تحديداً قصة نتوقف عندها قليلاً.. حيث اشترت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الولاية من الإمبراطورية الروسية عام ١٨٦٧ بتوصية خاصة من وزير خارجيتها آنذاك "ويليام سيوارد".. وكانت المساحة التي تمّ شراؤها حوالي ١٥٢ ألف كم.. وساعد على سرعة إجراءات البيع والشراء سوء الحالة المادية في روسيا.. التي كانت تخاف في الوقت نفسه أن تفقد ألاسكا دون أي تعويض مادي إذا ما حدثت بعض النزاعات في المستقبل وخاصة مع البريطانيين الذين كانت تشهد مستعمرتهم في كولومبيا البريطانية نمواً مطرداً.. وكان بإمكان البريطانيين أن يحصلوا على المناطق الروسية في أمريكا الشمالية عنوة.. لذلك قرّر إمبراطور روسيا في حينه ألكسندر الثاني[1] بيع ألاسكا للولايات المتحدة

(١) ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف «وُلِدَ ١٧ أبريل ١٨١٨ في موسكو – وتوفي في سان بطرسبرج ١٣ مارس ١٨٨١» كان قيصر وإمبراطور روسيا منذ ٢٢ مارس ١٨٥٥ حتى وفاته.. وكان أيضاً دوق فنلندا الكبير.. من أبرز ما قام به هو تحرير العبيد في روسيا في سنة ١٨٦١ لذا يطلق عليه لقب "القيصر المحرر" شهدت فترة حكمه الكثير من الإصلاحات بالنسبة لتاريخ روسيا.. تولى الحكم في ذروة حرب القرم التي

الأمريكية.. وأصدر أوامره للسفير الروسي لدى الولايات المتحدة آنذاك وكان يدعى"**لويس بيدلال**" بمناقشة الأمر مع وزير الخارجية **ويليام سيوارد**.. وكان ذلك في أول مارس من عام ١٨٦٧ وانتهت جولة المحادثات بين الطرفين في الرابعة صباحاً من يوم ٣٠ مارس ١٨٦٧ بالاتفاق على البيع مقابل مبلغ تم تحديده وقتها بسبعة ملايين ومائتي ألف دولار أمريكي.. وكانت قيمة الفدان الواحد وفقاً لهذا الرقم تعادل حوالي ١,٩ سنتاً.. مع أنّ المبلغ يبدو ضئيلاً نسبيّاً بالنسبة لإيرادات الولايات المتحدة الأمريكية لكنّ المبلغ ككل كان كبيراً بالنسبة للقيمة المالية في ذلك الوقت.



صورة الشيك المستخدم في شراء ألاسكا

- ثم توسعت في الجزر الباسيفيكية على حساب أسبانيا بامتلاكها لجزر هاولاند وبيكر عام ١٨٥٧ وميدواني عام ١٨٥٩ وهاواي وفينكس في نهاية القرن التاسع عشر.
- وفي بداية القرن العشرين بدأت تتوسع في منطقة الكاريبي فاحتلت بورتوريكو وبنما التي شقت فيها قناة بنما الواصلة بين المحيطين الأطلسي والهادي والتي تعد من أهم النقاط الإستراتيجية في تركيبتها كقوة عالمية.

كشفت الضعف الروسي كما تم في عهده استكمال ضم القوقاز إلى الإمبراطورية الروسية.. قام ألكسندر بالعديد من الإصلاحات الداخلية في مختلف المجالات مثل الاتصالات والحكومة والتعليم.. وقام في بإصلاح الحكومة البلدية في عام ١٨٧٠وتطوير وتدريب الجيش عام ١٨٧٤ في بولندا اتخذ ألكسندر سياسة معتدلة مانحاً إياها سيادة جزئية. في عام ١٨٦٣ حدثت الكثير من الثورات.. وتصدى ألكسندر لها بشكل كبير.. وفي ١٣ مارس ١٨٨١ اغتيل بواسطة إرهابي استخدم القنبلة اليدوية.. في نفس اليوم وقع ألكسندر مرسوماً يمنح فيه زمستفو دوراً استشارياً في التشريع. خلفه ابنه ألكسندر الثالث..

وبالتدريج تحول ذلك الكيان الأمريكي الوليد جغرافياً وحدودياً خلال فترة زمنية قصيرة من مجرد دولة صغيرة على سواحل المحيط الأطلسي.. إلى دولة قارية تسيطر على المحيطين الأطلسي والهادئ.. وبدأت اتحاداً كونفيدرالياً تحول بعد فترة وجيزة إلى فيدرالي لتتشكل.. وتستقر حدود هذه الدولة المتسعة بشكلها الحالي قبل أقل من ١٥٠ سنة[١].

وفي البداية قام اقتصاد الولايات المتحدة على أساس زراعي واسع.. نظراً لطبيعة كون المجتمع في الأساس زراعي بحت.. وظلت هكذا طوال القرن التاسع عشر مجرد دولة زراعية.. تصدر الخامات الزراعية.. وتستورد المصنوعات.. وهو ما يعرف تاريخياً.. بنموذج الكاوبوي الأمريكي الشهير.. قبل أن تتحول فيما بعد إلى أعظم وأغنى دولة صناعية وأضخم قوة حضارية حديثة تقود العالم في كل مجالات الإنتاج.. وتحتكر الأولوية والصدارة في أغلب مناحي الحضارة.. وبعدها تضاعف عدد سكانها خلال قرن ونصف أكثر من خمسين ضعفاً.

الولايات الكونفدرالية الأمريكية

نشأت الولايات المتحدة الأمريكية كدولة كونفدرالية بموجب اتحاد إحدى عشرة ولاية بعد انفصالها عن الدولة المركزية.. واستمرت الدولة من عام ١٨٦٠ وحتى ١٨٦٥ عندما قضت عليها الولايات المتحدة عسكرياً بقيادة أبراهام لينكولن[٢] في الحرب الأهلية الأمريكية.. وكانت الكونفيدرالية الأولى تتألف من الولايات التالية:

---

(١) هناك في أمريكا ما يعرف بجرس الحرية "ليبرتي بيل" وهو جرس يقع في ولاية بنسلفانيا فيلادلفيا الولايات المتحدة.. والجرس هو رمز للثورة الأمريكية.. موقع الجرس أصبح هو موقع تاريخي يحتفل به في الثامن من يوليو من كل عام ١٧٧٦ من أجل سكان مدينة فيلادلفيا للاستماع إلى قراءة لإعلان استقلال الولايات المتحدة.. وفي وقت سابق في عام ١٧٧٤ رن الجرس للإعلان عن افتتاح المؤتمر القاري الأول في ١٧٧٥ وإعلان النتائج من معركة لكسينجتون وكونكورد في ١٨٣٧ أصبح رمزاً للتحرر من العبودية في الولايات المتحدة.

(٢) أبراهام لينكولن «وُلِدَ في ١٢ فبراير ١٨٠٩» وهو الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة من ١٨٦١ إلى ١٨٦٥ ويعد من أهم رؤسائها على الإطلاق.. إذ قامت في عهده الحرب الأهلية الأمريكية بعد انفصال إحدى عشرة ولاية وإعلانها تكوين دولة مستقلة سمّيت الولايات الكونفدرالية الأمريكية.. فتمكن لينكولن من الانتصار وإعادة الولايات المنفصلة إلى الحكم المركزي بقوة السلاح.. وهو صاحب قرار إلغاء الرق في أمريكا عام ١٨٦٣ مات مقتولاً في ١٥ أبريل عام ١٨٦٥.

- ساوث كارولاينا..
- نورث كارولاينا..
- تكساس..
- جورجيا..
- ألاباما..
- ميسيسيبي..
- تينيسي..
- فيرجينيا..
- لويزيانا..
- فلوريدا..
- أركنسو..

وكان نظام العبودية سائداً فيها جميعاً.. وكان رئيسها هو "جيفيرسون ديفيس" وعاصمتها مدينة ريتشموند في فيرجينيا.

وبعد تقسيم كارولاينا في عام ١٧٢٩ واستعمار جورجيا في عام ١٧٣٢ أصبحت الثلاثة عشر مستعمرة البريطانية هي نواة الولايات المتحدة.. وتضم جميعها حكومات محلية حرة منتخبة.. وذلك بسبب تزايد الإعجاب بالحقوق القديمة للإنجليز.. والشعور بالحكم الذاتي الذي يدعم النظام الجمهوري.. وجميع تلك الحكومات أحلت تجارة الرقيق الأفريقية.

وزادت الكثافة السكانية للمستعمرات بشكل كبير بسبب ارتفاع معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات.. وكذلك الهجرة المنتظمة.

حركات التبشير..

أشعلت حركة التبشير المسيحية التي بدأت في الأمريكتين بين ١٧٣٠ و١٧٤٠والمعروفة باسم الصحوة الكبرى.. اهتمام الناس بالدين والحرية الدينية.. وخلال الحرب الهندية والفرنسية.. استولت القوات البريطانية على كندا من فرنسا.. ومع ذلك ظل الفرنسيون معزولين سياسياً عن المستعمرات الجنوبية.

وباستثناء "الهنود الحمر" وصل عدد السكان في الثلاثة عشر مستعمرة إلى ٢,٦ مليون نسمة عام ١٧٧٠ وكان تقسيمهم كالتالي:

- البريطانيون ويمثلون ثلث هذا العدد بما يقترب من ٨٥٠ ألف نسمة..
- بينما يمثل الأمريكيون السود حوالي خُمس السكان بما يساوى تقريباً نصف مليون نسمة..

ملخص تاريخ الأمريكتين بالأرقام:

وفي السطور القادمة نوجز تاريخ الولايات المتحدة بالأرقام وفقاً لأهم المحطات التاريخية التي مرت بها..

- عام ١٤٩٢ وصل المستكشف الإيطالي كريستوفر كولومبس.. بموجب عقد مع الملكية الأسبانية.. إلي العديد من جزر البحر الكاريبي.. وكان هذا هو أول اتصال خارجي مع سكان أمريكا الأصليين..
- وفي الثاني من أبريل عام ١٥١٣ وصل الفاتح الأسباني "**خوان بونس دي ليون**" لما عُرِفَ فيما بعد بـ "بولاية فلوريدا" وفيما يمكننا تسميته بأول وصول أوروبي موثق تاريخياً لما أُطلِقَ عليه فيما بعد الولايات المتحدة.
- ثم توالت المستوطنات الأسبانية هناك.. في جنوب غرب الولايات المتحدة.. واستوطن الآلاف من الأسبان المكسيك..
- الإنجليز هم أول من نجحوا في تأسيس مدن جديدة في شمال أمريكا.. وكان ذلك على شاطئ ولاية فرجينيا الحالية عام ١٦٠٧ وسميت "**جيمز تاون**".. ولم تكن تتألف في البداية إلا من حصن.. وكنيسة.. ومخزن مبنى من الألواح الخشبية.
- وفي عام ١٦٠٧ شهدت أمريكا مجاعة عظيمة.. لم تفرق بين هندى من سكان البلاد الأصليين.. وبين وافد ومستوطن.. فهلك ثلث السكان تقريباً.. وعاش الآخرون بسبب قيادة شخص يسمى «جون سميث» أمرهم بالعمل الدائم.. وعاقب من لم يطعه.. وحالف قبيلة الأمير الهندي الأمريكي «باوهاتان» فساعدوه في تجاوز المجاعة.. وتوفير الطعام له.. ولرجاله.. ومن هنا جاءت المقولة المشهورة "**من لا يعمل لا يأكل**" على لسانه.
- فيرجينيا هي أول مستوطنة إنجليزية.. بعدها تم إنشاء مستعمرة بلايموث عام ١٦٢٠.

- أقام تجار الفراء الفرنسيين نقاط عسكرية تابعة لدولتهم الأم "فرنسا" حول منطقة البحيرات العظمى.. وبالتالي توسعوا حتى امتلكت فرنسا الكثير من المناطق الداخلية لأمريكا الشمالية وصولاً إلى خليج المكسيك.
- بعدها استأجرت إنجلترا مستعمرة خليج ماساشوستس عام ١٦٢٨..
- وفي عام ١٦٣٤ استوطن ١٠ آلاف من البروتستانت البريطانيين نيو إنجلاد..
- وفي أواخر عام ١٦١٠ تم إرسال حوالي ٥٠ ألف من المساجين الإنجليز إلى المستعمرات البريطانية الأمريكية.
- وابتداء من عام ١٦١٤ استقر الهولنديون على ضفاف نهر هدسون.. وأمستردام الجديدة التي تقع في جزيرة مانهاتن.
- وفي عام ١٦٧٤ تنازل الهولنديون عن الأراضي الأمريكية التي كانوا يقيمون بها وكانت تسمى "مقاطعة نيو هولندا" لإنجلترا.. وهي التي ستحمل فيما بعد اسم "نيويورك" كما تم التعاقد مع كثير من المهاجرين الجدد.. وخاصة المهاجرين منهم إلى الجنوب.. ليعملوا كخدم.. وهو ما يمثل نحو ثلثي مهاجرين ولاية فرجينيا.



الفصل الأول



الهنود الحمر.. التاريخ.. والإبادة!!

تأسست الثقافة الأمريكية[1] على عدد من الأفكار والأساطير التي يصعب بدونها فهم هذه الثقافة خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.. أو التدخلات العسكرية.. أو الاقتصادية.. وفي مقدمة هذه الأساطير مقولتان هما "القدر الواضح" و"مدينة فوق التل".

أمريكا تلعب دور "المسيح السياسي"

الأسطورة الأولى تتمثل في قيام أمريكا بدور "المسيح السياسي" الذي جاء لإنقاذ العالم.. وأن المستعمرين البيض هم أناس اختارتهم السماء كي يحتلوا العالم الجديد.. ويقوموا بمهمة خاصة هي نشر النور للإنجيل في كافة أرجاء العالم.. هذه الأسطورة حددت باختصار إرادة الله ومجرى التاريخ ومصير شعب مختار من قِبل الرب.

مدينة فوق التل

أسطورة «مدينة فوق التل» تعود إلى منتصف القرن السابع عشر عندما أخبر «أول حاكم لمستعمرة ماساتشوستس» وكان يدعى جون وينثروب مجموعة من البيوريتانيين «المتطهرين» الذين كان يقودهم بأنهم في رحلة لا يباركها الرب فحسب بل إنه أيضاً يشارك فيها.. وقال: سوف نجد رب إسرائيل بيننا.. لابد أن نضع في اعتبارنا أننا سنكون كمدينة فوق تل تتطلع اليها عيون الناس جميعا".

ووفقاً للأسطورة وظلالها فإن المعادين للإدارة الأمريكية يصيرون "أعداء ليس للحرية والديمقراطية والفضيلة فحسب وإنما هم أعداء الرب أيضاً" واستشهد في ذلك بقول الروائي الأمريكي الشهير هيرمان ميلفيل:

"نحن الأمريكيون متفردون وشعب مختار.. إننا إسرائيل زماننا.. نحمل سفينة حريات العالم.. ولطالما شغلنا سؤال عما إذا كان المسيح السياسي قد جاء.. ولكني الآن أقول أنه جاء متمثلاً فينا.. ولا يبقى سوى أن نعلن خبر مجيئه"

---

(١) هذا وفقاً لما جاء في مقدمة المترجم بالجزء الأول لكتاب «التاريخ الشعبي للولايات المتحدة».. الذي ترجمه إلى العربية شعبان مكاوي أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة حلوان بالقاهرة وصدر في مجلدين عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر... توفي المترجم في ١١ مايو ٢٠١٠.

الفقرات السابقة من مقدمة كتاب يحمل عنوان «التاريخ الشعبي للولايات المتحدة».. لمؤرخ أمريكي معاصر يدعى (هوارد زن إن) سنتوقف كثيراً عند كتاباته الخاصة بتاريخ بلاده الأسود.. ويشير مؤلف الكتاب إلى أنه بعيداً عن التاريخ الرسمي.. أراد بكتابه أن يوقظ "وعياً أكبر" بالصراع الطبقي.. والظلم العِرقي.. وعدم المساواة الجنسية والغطرسة القومية في الولايات المتحدة.. مؤكداً أن مشكلة العنصرية ما تزال قائمة.

وتوقف المؤلف الأمريكي طويلاً أمام التاريخ الذي وصفه بأنه غير رسمي لبلاده منذ أن وصلها كولومبس باحثاً عن الذهب في آسيا فوصل إلى شواطئ جزر الباهاما حيث قابلهم الهنود الحمر من قبيلة أراواك الذين لم يكونوا يختلفون "عن أي هنود آخرين في العالم الجديد فكلهم معروفون بالكرم والإيمان بمشاركة ما يمتلكون مع الآخرين".

وقال أن كولومبس أبحر بعد ذلك إلى كوبا.. ثم إلى هيسبانيولا وهي الجزيرة التي تشمل اليوم كلا من هايتي وجمهورية الدومنيكان.. ثم كتب تقريراً إلى ممولي رحلته ملك وملكة أسبانيا قائلاً:

"إن الرب الخالد يمنح النصر للذين يسلكون طريقه مهما كانت الصعاب"

ثم بدأت إبادة السكان الأصليين حيث كان يتم "اختطاف النساء والأطفال كعبيد وكوسيلة لتحقيق المتعة الجنسية وتلبية الحاجة للأيدي العاملة".

وأضاف أن هايتي كانت قاعدة لاصطياد الهنود الذين مُلِئت بهم سفن عائدة إلى أسبانيا حيث كانوا يعرضون للبيع في مزادات يشرف عليها الشمامسة.. وكتب كولومبس.. "دعونا باسم الثالوث المقدس نستمر في إرسال ما نستطيع بيعه من العبيد".

وأشار إلى أنه "خلال عامين مات حوالي نصف سكان الهنود في هايتي وعددهم الأصلي ٢٥٠ ألف نسمة.. إما عن طريق القتل أو الانتحار.. وكان يتم تسخيرهم بوحشية في ضياع شاسعة.. وبحلول عام ١٦٥٠ لم يعد على الجزيرة أحد من هنود أراواك الأصليين" بعد أن كانوا عددهم ربع مليون نسمة.

وأشار المؤرخ الأمريكي إلى أنه حصل على معلوماته عما حدث في جزر الكاريبي بعد وصول كولومبس مما كتبه قس شاب يُدعى "لاس كاساس" شارك في غزو كوبا.. ثم تخلى عن مزرعة له كان يعمل فيها عبيد هنود "وأصبح ناقداً حاداً للوحشية الأسبانية.. هو المصدر الوحيد بشأن أمور كثيرة.. وبدأ وهو في الخمسينيات من عمره في كتابة مؤلفه «تاريخ الجزر الهندية» في أكثر من مجلد.. ونقل المؤلف عن كاساس وصفه لكولومبس أنه "كان متهوراً إلى حد العمى.. وكذلك من أتوا بعده.. لقد كان همه أن يسعد الملك «في أسبانيا» فارتكب ما لا يغتفر من الجرائم في حق الهنود.

وكان الأسبان يرفضون السير على أقدامهم حتى لو لمسافات قصيرة.. ويتخذون من ظهور الهنود مطايا.. أو يجلسون على محفات يتناوب الهنود حملها.. وكان على نفر من الهنود أن يحملوا فروعاً من الشجر كثيفة الأوراق يحمون بها راكبي المحفات من لفح الشمس.. بينما كان على آخرين أن يتخذوا من أجنحة الأوز مراوح تلطف الجو للراكبين.

ولم يهتز للأسبان طرف وهم يطعنون عشرات الهنود ولم تهتز ضمائرهم وهم يقتطعون من أجساد الهنود شرائح كي يختبروا بها مدى حدة نصالهم.. ويحكى في كتابه أنه قد تقابل ذات مرةٍ ولدان مسيحيان مع ولدين هنديين يحمل كل منهما ببغاء.. فما كان من الولدين المسيحيين إلا أن أخذا الببغاءين لنفسيهما بالقوة.. وعلى سبيل التسرية والمزاح قاما بضرب عنقي الولدين الهنديين.

وسخر(هوارد زِن) من سذاجة الفكرة القائلة أن ارتكاب "الفظائع" ضرورة وثمن كان لابد من دفعه من أجل التقدم.

وقال أن البريطانيين أيضاً قرروا إبادة الهنود حين عجزوا عن استعبادهم أو العيش معهم منذ العام الأول لوجود الرجل الأبيض في فرجينيا سنة ١٦٠٧.

وأضاف أنهم استوطنوا جنوبي ما يعرف الآن بولاية كونيتيكت.. وكانوا يتفننون في وسائل إبعاد الهنود.. حتى لو ارتكبوا ضدهم المذابح.. أو حرقوهم في أكواخهم.. وذات مرة كان نصيب من هربوا من النيران هو القتل بالسيف حتى صار بعضهم مجرد أشلاء.. ووصف معاصر لتلك المذبحة أن "النصر بدا كفداء

جميل.. وتم تقديم الشكر إلى الرب الذي كان عوناً عظيماً ورائعاً.. وكما جاء في مذكرات عالم اللاهوت البيوريتاني الدكتور «كوتون ماثر» أنه يفترض أن عدد من ذهبوا إلى نار جهنم في ذلك اليوم لا يقل عن ستمائة".

وذكر المؤلف أن عدد الهنود الحمر عام ١٤٩٢ بلغ ٧٥ مليوناً منهم ٢٥ مليوناً تقريباً في أمريكا الشمالية وأنه "قبل مجيء المسيح بألف عام وفي الوقت الذي كانت فيه مصر تشيد فناً ومعماراً عظيمين كان هنود (نيو مكسيكو) يشيدون القرى والمباني".

وبمجيء زمن يوليوس قيصر.. والمسيح قامت في منطقة وادي (أوهايو) حضارة من أطلق عليهم بُناة الروابي[١].. بلغ ارتفاع إحدى الروابي مائة قدم.. وتكبر قاعدتها المثلثة عن قاعدة هرم مصر الأكبر".

وانتهي المؤلف إلى أن "كولومبس وأتباعه لم ينزلوا أرضاً خالية لكنهم نزلوا عالماً يعج بالكثافة السكانية.

الهنود تحت المقصلة

إذن شاء القدر أن يُبتلى الهنود الحمر بالقسط الأوفر من الإبادة والاستعباد.. فقد كان اكتشاف الأمريكتين- بالتزامن مع الثورة الصناعية – كارثة كبرى حلت بعشرات الملايين من سكان أمريكا الأصليين.. والذي حدث هو أن عصابات البيض التي وصلت أمريكا وجدت مساحات هائلة من أخصب أراضى العالم البكر بحاجة إلى عشرات الملايين من الأيدي العاملة التي تعذر عليهم تدبيرها من أوروبا.. ولذلك فكّر الغُزاة في السيطرة على الهنود الحمر من السكان الأصليين.. لكنهم فشلوا في استعبادهم.. فلم يتورعوا عن القضاء عليهم.. وهكذا وقعت واحدة من أبشع جرائم الإبادة الجماعية في التاريخ.

شاحنات «أطفال للبيع»

وكان اكتشاف مناجم الذهب والمزارع الشاسعة في كولورادو وغيرها من ولايات الذهب وبالاً على الهنود المساكين.. إذ دفعت رغبة البيض المجرمين في الحصول على أيدي عاملة رخيصة إلى تنشيط أخس وأقذر تجارة في التاريخ بأمريكا.. وهي خطف الأطفال والشباب لاستعبادهم!

---

(١) الروابي جمع رابية.. والرابية هي المكان الخصب المرتفع عن الأرض قليلاً.. وبه زرع..

وهكذا نشطت تجارة خطف أطفال الهنود من مختلف مناطق أمريكا.. وكانت صحف تلك الفترة تمتلئ بصور الشاحنات المكتظة بأطفال الهنود الحمر المتجهة عبر الطرقات الريفية إلى أسواق العبيد في "سكرامانتو" و"سان فرانسيسكو" ليتم بيعهم إلى أصحاب المناجم والمزارع.. ومع نهاية القتال في سنوات الاحتلال الأول ازداد الإقبال على خطف الفتيات - بصفة خاصة- فَهُن يقدمن خدمة مضاعفة " للسادة البيض" العمل الشاق نهاراً.. والجنس الإجباري ليلاً.

وأما الآباء الهنود المساكين فإن الغضب والأسى.. الناجم عن خطف واغتصاب واستعباد فلذات أكبادهم.. كان معناه أنهم ـ في نظر الأسياد البيض ـ "عناصر شغب" تستحق الإعدام فوراً وبلا محاكمة!!

وبذلك تحول الخاطفون إلى "أبطال وطنيين أمريكيين" يساهمون في التخلص من "المشاغبين الهنود" الذين يشكلون خطراً داهماً على "أمن الدولة" الأمريكية الناشئة.

ويقول المؤرخون أن هذه القرصنة وجدت من "يقننها" ويضفي عليها الشرعية التامة عبر قانون أصدره برلمان ولاية كاليفورنيا في أول جلسة تشريعية له في عام ١٨٥٠م وأصبح خطف الهنود الحمر واستعبادهم بموجب ذلك التشريع عملاً قانونياً يستحق فاعله الثناء والتكريم.. حتى أنه كان هناك قانون أمريكي خاص نرصد من خلاله أبشع مظاهر تعامل المستوطنين مع الهنود هناك.. وظل هذا القانون ساري المفعول حتى عام ١٨٦٥ وكان ينص على إعطاء الأمريكي الأبيض مكافأة مجزية إذا قدم لأي قسم شرطة بالولايات المتحدة "فروة رأس هندي أحمر"!!!

السُخرة حتى الموت

وبموجب تعديلات أضيفت عام ١٨٦٠م تم إجبار عشرة ملايين هندي أحمر على قيام بأعمال "السخرة حتى الموت " ولم تمض سنوات على هذا التشريع الإجرامي حتى ضاق حاكم الولاية بيتر بيزنت ذرعاً "بالسُخْرة".. فوجه رسالة إلى المجلس التشريعي قال فيها :

"إن الرجل الأبيض الذي يعتبر الوقت من ذهب.. والذي يعمل طوال النهار.. لا يستطيع أن يسهر طوال الليل لحراسة أملاكه.. وليس أمامه خيار آخر سوى شن حرب إبادة.. إن حرباً قد بدأت فعلاً.. ويجب الاستمرار فيها حتى "ينقرض الجنس الهندي تماماً" !!!

وهكذا أباد "السادة البيض" ١١٢ مليون هندي أحمر.. وأُبيدت معهم حضارات "المايا" و"الأزتيا" و"البوهاتن" وغيرها لإقامة أمريكا زعيمة النظام العالمي الجديد.. رغم أن بعض المؤرخين الأمريكيين يحاول التقليل من أعداد الضحايا زاعمين أنهم حوالي مليونين فقط.. وفي إحصاء عام ١٩٠٠م قللوا الرقم إلى مليون لا غير.. وهنا نتوقف لنتساءل سؤالاً بديهياً: حتى ولو كان الأمر مليوناً فقط.. فهل قتل مليون نفس أمر هَيِّن؟!!!

أساليب الإبادة

ولم "يتورع" السادة البيض مؤسسو الولايات المتحدة الأمريكية عن استخدام أحط الوسائل وأخس السُبل للقضاء على الهنود الحمر.. حتى أن الأرقام تقول لنا أن ٨٠٪ على الأقل من هنود "كاليفورنيا" أبيدوا خلال عشرين عاماً فقط.. وهلك الباقون بسبب العمل الشاق حتى الموت "بالسُخْرة" في سبيل رفاهية "السادة" البيض.

ولعل أشهر الوسائل التي اتبعها المستوطنين للقضاء على الهنود هي:

- تسميم آبار المياه التي يشرب منها السكان الأصليون..
- حقنهم بالفيروسات وجراثيم أشد الأمراض فتكاً مثل الطاعون والتيفود والجدري ومسببات السرطان ..إلخ

كما يحكى المؤرخون الأوروبيون المنصفون قصصاً يشيب لهولها الولدان.. فقد كان الغزاة البيض يشعلون النار في أكواخ الهنود.. ويقيمون الكمائن حولها.. فإذا خرج الهنود من أكواخهم هاربين من الحريق.. يكون رصاص البيض في انتظار الرجال منهم.. بينما يتم القبض على الأطفال والنساء أحياء لاتخاذهم عبيداً واغتصابهم جنسياً أيضاً.. وكتب أحد الهولنديين قائلاً: "انتزع البيض

بعض الأطفال الهنود الصغار من أحضان أمهاتهم وقطعوهم إرباً أمام أعينهن.. ثم أُلقِيَت الأشلاء في النيران المشتعلة أو النهر.. وربطوا أطفالاً آخرين على ألواح من الخشب ثم ذبحوهم كالحيوانات أمام أعين الأمهات.. إنه منظر ينفطر له قلب الحجر - كما يقول الهولندي الراوي نفسه - كما ألقوا ببعض الصغار في النهر.. وعندما حاول الآباء والأمهات إنقاذهم لم يسمح لهم الجنود بالوصول إلى شاطئ النهر.. ودفعوا الجميع صغاراً وكباراً بعيداً عن الشاطئ ليغرقوا جميعاً.

والقليل جداً من الهنود كان يمكنه الهرب.. ولكن بعد أن يفقد يداً أو قدماً.. أو يعيش ممزق الأحشاء برصاص البيض.. هكذا كان الكل إما ممزق الأوصال.. أو مضروباً بآله حادة أو مشوهاً بدرجة لا يمكن تصور أسوأ منها.

وتم نقل أعداد هائلة من العبيد الهنود إلى جزر الهند الغربية للعمل بالمزارع الشاسعة هناك أو لبيعهم لآخرين.. كما شُحن مئات الألوف منهم شمالاً إلى نيو إنجلاند و "نيويورك" حيث مقر الأمم المتحدة.. وتمثال "الحرية" المزعوم !!

وكان المؤرخ "لاس كاساس" الذي فضح جرائم الأسبان في أمريكا الجنوبية بكتابه الشهير "تدمير الهنود الحمر" قد أثار القضية أمام المحاكم الأسبانية.. فلجأت الحكومة هناك إلى تهدئة الرأي العام الثائر بإصدار قانون يمنع استعباد الهنود بشكل شخصي.. لكن "النصوص" - كما يقول لاس كاساس - لم تعرف سبيلها إلى التطبيق الواقعي أبداً في الأمريكتين.. وانتشر في كل أمريكا الجنوبية كذلك نظام بمقتضاه يسيطر المالك الأبيض لقطعة أرض على كل الهنود الذين يعملون فيها.. أي رقيق الأرض بدلاً من الرق الشخصي.

ملخص مذابح إبادة الهنود الحمر[1]

ثارت بعض قبائل الهنود إزاء ما يتعرضون له من مذابح يومية.. وفي كل مكان .. على يد مستعمريهم الدخلاء.. ومن أشهر تلك المذابح:

- مذبحة "خليج ساند" في نوفمبر ١٨٦٤. على يد القائد البريطاني الكونيل "شفنجتون"
- "مذبحة كاستر" عند" ليتل بيج هورن" ووقعت أحداثها خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٦ يونيو ١٨٧٦ بين مقاتلين متحالفين من الحمر من قبائل لاكوتا

(١) نقلاً عن موسوعة " تاريخ العالم " لـ " وليام لانجر".

وشايان الشماليين.. وأراباهو من جهة.. وفوج الفرسان السابع في الجيش الأمريكي من جهة أخرى.. وقعت قرب نهر لتل بيج هورن شرقي مونتانا.



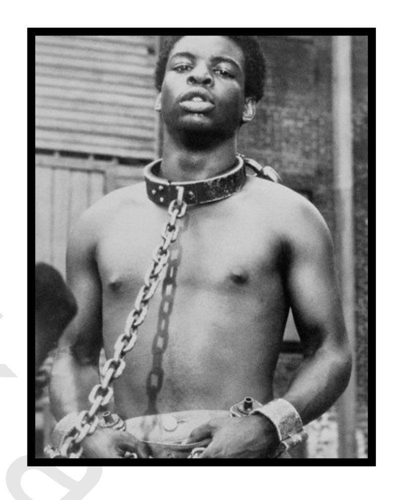
المعركة اكتسبت شهرة كبيرة حتى باتت أشهر معارك حرب الهنود الحمر وقد سجلت المعركة نصراً مهماً لصالح الهنود الحمر على فوج الفرسان الذي كان تحت قيادة «جورج أرمسترونج» الذي قُتِلَ في المعركة.. ورغم شهرة المعركة إلا أنها لم تكن المعركة التي وقع فيها أكبر عدد من الضحايا في قوات الولايات المتحدة على يد الهنود الحمر.. حيث أن أكبر عدد من الضحايا في قوات الولايات المتحدة وقع في معركة واباش سنة ١٧٩١ لكن على كل حال فقد تفاوتت تقديرات الضحايا من الهنود الحمر بين ٣٦ إلى ١٣٦ قتيل مقابل ٢٦٨ قتيل في الطرف الأمريكي.

- في أكتوبر ١٨٧٧م هزم "هنود نيزبرسيه" بقيادة زعيمهم "جوزيف" وأجُلوا إلى مناطق الهنود.
- ثم حدثت آخر وأهم ثورات الهنود في السنوات ١٨٨٢-١٨٨٦م عندما أشعلوا المقاومة في أريزونا ونيو مكسيكو تحت قيادة "فيكتوريو وجيرونيمو" المحاولات التي بذلت لوضعهم في أماكن مخصصة لهم كانوا يرون أنها لا تناسبهم... لكن في عام ١٨٨٦م ورغماً عنهم تمَّ ترحيل جميع الهنود إلى المناطق الهندية أوالأماكن المخصصة لهم.
- وهكذا أُسدل الستار عن السكان الأصليين لأمريكا.. ولم يتبق منهم حالياً إلا أعداد ضئيلة جداً.. يستوطن معظمهم بلدان أمريكا الجنوبية.

❖❖❖

THE BLACK REPORT OF USA

الفصل الثاني



العبيد.. عقدة الحرية في بلاد العم سام!!

"فكــرت ذات يــوم أن اكتــب تــاريخ المهــاجرين في أمريكــا.. فاكتشــفت أن المهاجرين هم التاريخ الأمريكي"

أوسكار وايلد

وصل عدد المواطنين الأفارقة الذين قدموا إلى أمريكا عن طريق تجارة الرق كعبيد بين عامي ١٦١٩م – ١٨٠٨م إلى أكثر من نصف مليون أفريقي.

كيف تم ذلك؟

في البداية كان الأمريكيون البيض يختطفون الزنوج الأفارقة من بلادهم ليكونوا عبيداً وأرقاء للبيض.. وليعملوا في المزارع والمناجم.

ثم قامت ثورات الزنوج احتجاجاً على التمييز العنصري.. كانت أولها ثورة الزنوج في عهد الرئيس "إبراهام لنكلون"..

ومنها ثورة "الحافلات" في الستينيات من القرن العشرين..

وثورة عام ١٩٦٧م إثر قتل "مارتن لوثر كنج"..

فما هي حكاية العبيد.. وأبناء اللون الأسود في أمريكا؟

البداية..

اكتشف الأسبان في أمريكا الجنوبية والوسطى كميات ضخمة من الذهب.. وانتشر الخبر في كل أوروبا.. فمعظم مستعمري جيمزتاون توقعوا الشيء نفسه وأخذوا يبحثون عن الذهب طوال حياتهم.. وتوقفوا عن أي عمل آخر..

وفي النهاية لم يجدوا الذهب.. لكن عام ١٦١٢ وجدوا شيئاً آخر أكثر أهمية.. سيصبح فيما بعد أهم مصادر الدخل زراعياً.. وصناعياً.. وتجارياً هناك.. ألا وهو "التبغ" تلك النبتة الأمريكية الأصل.. التي كان الهنود الأمريكيون يدخنونها منذ قرون.. وانتشر استخدامه في أوروبا بسرعة مذهلة.. وحقق المتاجرون به أرباحاً كبيرة فاقت كل التوقعات.

ولأن زراعته.. ثم مراحل تصنيعه تستوجب أيدي عاملة كثيرة.. وكان وقتها عدد المستعمرين قليل.. فبدأ وقتها التفكير في كيفية استقدام عمال جُدُد.. عمالة من نوعٍ خاص.. لديها القدرة على العمل ساعات طويلة.. وحبذا إن كانت قليلة الكُلفة.. ومن هنا بدأ التفكير في استيراد العبيد السود من أفريقيا.

وبين عامي ٢٩ و١٦٣٠ و١٦٨٠ ومع نهاية القرن.. أصبح العبيد الأفارقة هم المصدر الرئيسي للقوة العاملة.. كما أصبح استيراد العبيد من أفريقيا إلى

الولايات المتحدة الأمريكية يتم بصورة منظمة.. فقد اكتشف البيض بعد إبادة معظم الهنود الحمر أنهم لن يتمكنوا من استصلاح وزراعة عشرات الملايين من الأفدنة في القارة الجديدة دون جلب الملايين من الأيدي العاملة الرخيصة.. وتفتقت أذهان الشياطين عن خطة جُهنمية بدأت كل دول أوروبا الغربية تقريباً تنفيذها.. إن الزنوج الأفارقة هم من أقوى أنواع البشر وأكثرهم جلداً وصبراً وتحملاً للمشاق والأجواء القاسية.. ولهذا استقر رأى المجرمين على اصطياد أكبر عدد ممكن منهم.

وهكذا تكالبت الوحوش البيضاء المسعورة على «أفريقيا» الفريسة المسكينة - تنهش فلذات أكبادها بلا ذرة من رحمة أو إنسانية.. آلاف السفن الأوروبية المحملة بالجنود المسلحين بالبنادق والمدافع تقاطرت على الساحل الغربي للقارة السوداء حاملةً الموت والخراب لأغلب سكانها.. والخطف والاستعباد والإذلال مدى الحياة لمن بقى منهم على قيد الحياة !! تقول المصادر الأوروبية ذاتها أن جيوش إنجلترا وبلجيكا والبرتغال وألمانيا وفرنسا وهولندا وأسبانيا – ذات التسليح المتقدم الذي لا يمكن مقارنته بالسيوف والحراب التي لا يملك الأفارقة غيرها – لم تجد صعوبة كبيرة في السيطرة على الساحل الغربي لأفريقيا المطل على المحيط الأطلنطي.. وخلال خمسين عاماً فقط تم خطف وترحيل ما بين ١٥ إلى ٤٠ مليوناً من الأفارقة حيث تم بيعهم كعبيد في أسواق أمريكا وأوروبا.

ونلاحظ أن المصادر الغربية ذاتها تؤكد أنه من بين كل عشرة أفارقة كان يتم أسر واحد واستعباده.. بينما يلقى التسعة الآخرون مصرعهم إما برصاص الغزاة البيض.. وأما جوعاً و عطشاً أو انتحارًا من على ظهر السفن التي كانوا يحشرون فيها كالماشية.. وكثير منهم كان يلقى حتفه اختناقاً بسبب تكديس المئات منهم في أقبية السفن في مساحة عدة مترات بلا تهوية أو طعام أو مراحيض.

وكثيراً ما كان البحارة يقتلون المئات من الضحايا ويلقون بجثثهم في البحر.. لتخيف حمولة السفن عند حدوث عواصف.. أو تقلبات بحرية.

وعلى ذلك فإن ما لا يقل عن مائة مليون أفريقي لقوا حتفهم في ٥٠ عاماً فقط خلال ملاحم "اصطياد العبيد" من القارة المنكوبة.

وتقول دائرة المعارف البريطانية في مادة "العبودية" slavery:

أن الإنجليز كانوا يشعلون النيران في الأحراش والأشجار المحيطة بأكواخ الأفارقة.. فيضطر هؤلاء المساكين إلى الخروج من مساكنهم هرباً من النيران.. فتتلقفهم رصاصات القناصة لقتل الرجال.. بينما يتم أسر الأطفال والنساء.. ثم ترحيلهم إلى مراكز لتجميع العبيد على طول الساحل الغربي الأفريقي تمهيداً لنقلهم بالسفن عبر المحيط الأطلنطي في رحلة بلا عودة.

ونلاحظ أن هذا هو الأسلوب ذاته الذي تحدثنا عنه من قبل في الفصل السابق وكان يستخدم لاصطياد الهنود الحمر.. كما يصطادون الوحوش والحيوانات غير الأليفة من الغابات"!!

ونحن لا نعرف بالضبط الأرقام الحقيقية للضحايا سواء من القتلى أو ممن سقطوا في فخاخ الاستعباد حتى الموت.. ولكن من المؤكد أن الأرقام الحقيقية هي أعلى بكثير مما تذكره المصادر الغربية.

عموماً في عام ١٧٩١ تم اعتماد وثيقة الحقوق.. ومنع تقييد الحريات الشخصية.. وضمان الحماية القانونية.

ومن هنا بدأت النظرة العامة للعبودية تتغير.. حيث كان القانون يحمي تجارة الرقيق الأفارقة حتى عام ١٨٠٨ فمنعت الولايات الشمالية تجارة الرقيق من عام ١٧٨٠ وحتى عام ١٨٠٤ وظلت العبودية في الولايات الجنوبية قائمة.

ثم انتخب ابراهام لينكولن.. مرشح الحزب الجمهوري المناهض للعبودية.. رئيساً في عام ١٨٦٠ وقبل توليه للحكم.. أعلنت سبع ولايات انفصالهن.. وهو ما اعتبرته الحكومة الفيدرالية أمراً غير مشروع.. وشكلت الولايات المنفصلة اتحاداً كونفدرالية..

ومع هجوم الولايات الكونفدرالية على فورت سمتر.. اندلعت الحرب الأهلية الأمريكية وقامت أربع ولايات أخرى بالانضمام إلى الاتحاد.

ثم أنهي إعلان لينكولن لتحرير الرقيق على العبودية.. خاصةً بعد فوز الاتحاد في عام ١٨٦٥ وعلى إثر ذلك حدثت ثلاثة تعديلات دستورية كفلت الحرية لحوالي أربعة ملايين من الأمريكيين الأفارقة كانوا عبيداً.. فأصبحوا مواطنين ولهم حق التصويت..

وعقب الحرب الأهلية.. أدى اغتيال لينكولن إلى حدوث تطرف في سياسات التوجه الجمهوري والتي تهدف إلى إعادة دمج وبناء الولايات الجنوبية مع ضمان حقوق العبيد المحررين حديثاً.. فقضى حل النزاع الذي حدث في الانتخابات الرئاسية عام ١٨٧٦ من خلال تسوية عام ١٨٧٧ على إعادة التعمير.. كما جردت قوانين «جيم كرو» الأمريكيين الأفارقة من حقوقهم خاصة حقهم في التصويت.. فما هي تلك القوانين؟ وما حكايتها؟

قوانين «جيم كرو»

قوانين «جيم كرو» هو مصطلح أصبح شائع الاستخدام في الغرب في ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي عندما صار الفصل الاجتماعي مشروعًا في كثير من الأجزاء الجنوبية للولايات المتحدة[1] طالبت القوانين بفصل الأعراق في كثير من الأماكن العامة.. ولكن أُعلن عن عدم شرعية أغلب هذه القوانين في الولايات المتحدة وذلك بموجب قرارات أصدرتها محاكم عليا متعددة في خمسينيات وستينيات القرن العشرين الميلادي وقوانين الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ و١٩٦٨م.

بداية التطبيق

(١) ظهر مصطلح قانون جيم كرو لأول مرة في عام ١٩٠٤ وفقًا لقاموس اللغة الإنجليزية الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية.. وذلك على الرغم من أن هناك بعض الأدلة على استخدام المصطلح قبل ذلك الحين.. يُشير المصطلح أصلاً إلى شخصية زنجية في أغنية شعبية تم تأليفها عام ١٨٣٠ وتقول كلماتها "اقفز يا جيم كرو" وهي أغنية ورقصة كاريكاتيرية ساخرة للزنوج الأمريكيين.. من أداء الممثل الأبيض رايس توماس وظهرت الأغنية للمرة الأولى عام ١٨٣٢ وكانت تستخدم للسخرية من سياسات أندرو جاكسون الشعبوية.. ونتيجة لشهرة رايس صار تعبير "جيم كرو" هو الوصف التحقيري لزنوج أمريكا خلال عام ١٨٣٨ ومن هنا عرفت قوانين الفصل العنصري باسم قوانين جيم كرو.

خلال فترة إعادة أعمار الولايات المتحدة من ١٨٦٥- ١٨٧٧ قدّم القانون الاتحادي حقوقًا مدنية للـ"معتقين" في الجنوب.. وللأمريكيين الأفارقة الذين كانوا عبيدًا في السابق.

وبعدها عاد الديموقراطيون البيض إلى السلطة تدريجيًا في الولايات الجنوبية بداية من ١٨٧٠ وذلك في انتخابات تمّ فيها استخدام جماعات شبه عسكرية لترهيب المعارضين والهجوم على السود أو منعهم من التصويت.

في ١٨٧٧ تسبب نجاح الوفاق الوطني في كسب الدعم الجنوبي خلال الانتخابات الرئاسية في سحب القوات الفيدرالية من الجنوب.. فاستعاد الديموقراطيون البيض قوتهم على كل الولايات الجنوبية.. وأقرت حكومة الحزب الديموقرطي قانون «جيم كرو» لعزل السكان السود عن البيض.

ومع ذلك استمر انتخاب السود للمكاتب المحليّة في عام ١٨٨٠ فقام الديموقراطيون بتمرير حزمة من القوانين لتقييد عملية الانتخاب فتضائلت بذلك مشاركة السود والفقراء من البيض.

وفي ١٨٩٠ قامت الولايات الكونفيدرالية بتمرير دساتير وقوانين جديدة تتطلب إجراءات معينة للتصويت «كدفع ضريبة معيّنة لذلك» مما تسبب في تقليص مشاركات السود وحتى الفقراء من البيض.

وبمنع القدرة على التصويت في الانتخابات لم يتمكن السود والبيض الفقراء من الخدمة في هيئات المحلّفين.. أو في المكاتب المحليّة.. ولا في التأثير على الهيئات التشريعية في الولايات فتمّ تجاهل كافة مطالبهم.

وصار فصل الأمريكيين الأفارقة عن باقي السكان أمرًا مشروعاً بشكل قانونى ورسمي في العصر التقدّمي من «١٨٩٠- ١٩٢٠» وكذلك أصبح الفصل أمرًا عرفيًا اعتاد الناس عليه حتى في الحالات التي لا تنص فيها قوانين «جيم كرو» صراحةً على منع السود من المشاركة.. فصار فصل السود ثقافة لدى الأمريكيين.

مالت انتخابات الرئاسة الأمريكيّة عام ١٩١٢ ضدّ مصالح السود وكانت القيود القانونيّة المفروضة على تصويت السود في الانتخابات فعّالة جدًا لدرجة أنهم لم يستطيعوا التصويت على الإطلاق.. في حين أن ضرائب التصويت ومتطلبات محو الأمية كان يعفي منها الأمريكيين البيض.. فالقانون لم يكن يسري عليهم بل كانت تلك القيود تطبق على السود فحسب.

وعندما كان وودرو ويلسون رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية وكان ديموقراطيًا من الجنوب وأول رئيس من مواليد الجنوب لفترة ما بعد الحرب.. وقام بتعيين الجنوبيين في مجلس وزراءه.. فبدأ الكثير منهم الضغط من أجل سرعة فصل أماكن العمل بين البيض والسود ذلك على الرغم من أن المكاتب الفيدرالية في واشنطن العاصمة قد أدمجت بعد الحرب الأهلية عام ١٩١٣.

وعرض الرئيس ويلسون الفصل في المكاتب الفيدرالية وذلك على الرغم من احتجاج الكثيرين على ذلك.

ثم قام بتعيين سياسيين من الجنوب تسببوا في التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة.. وذلك بسبب اعتقاده الراسخ بأن الفصل العنصري كان في مصلحة الأمريكيين السود والبيض على حدّ سواء.

خط ماسون ديكسون[1]

وكان قبل ذلك كله قد تم إنشاء خط يفصل بين مستعمرتي ماريلاند وبنسلفانيا ليشير إلى الحدود الفاصلة بين ولايات الحرية وولايات العبودية.. يُعتقد أن إطلاق اسم "ديكسي" على الولايات الجنوبية قد اشتُقَ منه.

عبودية حتى اليوم

وللأسف لا يزال السود في الولايات المتحدة الأمريكية يعانون من مآسي الاضطهاد.. وعدم الاعتراف للعناصر الملونة بالمرتبة الإنسانية التي يتمتع بها البيض.. ومع أنَّ الزنوج يُعتبرون مواطنون في هذه الدولة التي تحمل إعلام

(١) أنشأه الفلكيان والماسحان الإنجليزيان تشارلز ماسون.. وجرمايا ديكسون بين عامي ١٧٦٣ و١٧٦٧ بطول ٣٧٥ كم.

الحضارة الحديثة المعاصرة.. إلاّ أنّهم لا يستطيعون أن يمارسوا عملياً حقوق المواطن كما يمارسها المواطن الأبيض.. وفي ذلك يقول أحد رجال السياسة من البيض هناك «ليس لأي رجل ملوَّن يغمر قلبه الرغبة في المساواة السياسية عمل ما في ولايات الجنوب.. إنَّ هذه البلاد ملك للرجل الأبيض.. ويجب أن تظل كذلك.

وتبدو مظاهر اضطهاد الزنوج في أمريكا في جميع الميادين.. فهم يعيشون في فقر مدقع.. والأحياء السكنية الراقية والنظيفة والممهدة والمشجرة شوارعها للبيض.. أما السود فيسكنون في بيوت متواضعة جداً ذات أزقة ضيقة تفتقر إلى الخضرة.. وفي غاية القذارة.. وكأنك تعيش في مجاهل أفريقيا.. ولست في الولايات المتحدة.. وإن حدث وسكن أحد الزنوج في عمارة يسكنها البيض.. يغادرها البيض.. وفي ضاحية فرجينيا التابعة لواشنطن العاصمة ممنوع أن يسكن فيها الزنوج.

لكلٍ مدارسه الخاصة

أمَّا المدارس تقوم في معظم الولايات.. وخاصة في الولايات الجنوبية على أساس الانفصال الكامل بين الزنوج والبيض.. فلا يُسمح لأطفال الزنوج أن يتعلموا مع أطفال البيض.. وإنّما لكل فريق مدارسه الخاصة.. وكتبه الخاصة.. وقد تحدَّت بعض المدارس أوامر حكومة الولايات المتحدة حين رفضت أن تطبق حكم المحكمة الفيدرالية العليا بإلزامها بالسماح لأبناء الزنوج أن يتعلموا في مدارس البيض.. واضطرت الحكومة المركزية إلى أن ترسل الحرس الوطني ليقوم بحراسة أبناء الزنوج الذين سيدخلون هذه المدارس بناءً على حكم القضاء.

ويُفرض على القطارات الحديدية والسيارات العامة والمستشفيات أن تقيم عربات أو غرفاً خاصة بالزنوج..

ثورة الستينيات

وقد قام الزنوج بثورة في الستينيات احتجاجاً على هذه التفرقة مطالبين ركوبهم في الحافلات وفي القطارات مع البيض دون تمييز بينهم.

وتقضي قوانين بعض الولايات بأن لا يسمح للعمال الزنوج أن يقيموا مع العمال البيض في المصانع أو الدخول من الأبواب المخصصة للبيض.. أمَّا في ميدان الزواج فإنَّ معظم الولايات تمنع زواج البيضاء من زنجي.. وزواج الأبيض من زنجية.. وتنص على بطلان هذا الزواج.

وحتى ممارسة الشعائر الدينية تقوم على الانفصال أيضاً.. إذ لا يسمح للزنوج بدخول كنائس البيض.. وقد حدث أن دخل زنجي من جمهورية بنما كنيسة كاثوليكية في واشنطن.. وفيما هو مستغرق في صلاته سعى إليه أحد القساوسة.. وقدم له قصاصة من ورق كتب فيها عنوان كنيسة كاثوليكية زنجية.. وحين سئل القس عن سر هذا التصرف أجاب:

"إنَّ في المدينة كنائس خاصة بالكاثوليك الزنوج يستطيع هذا المرء الأسود أن يقف فيها بين يدي ربه".

اعتذار بعد فوات الآوان !!

في عام ٢٠٠٦م قدمت الكنيسة الرسمية لإنجلترا اعتذاراً رسمياً علنياً عن دورها المُشين في الاتجار بالرقيق.. واقتناء عشرات الألوف من العبيد ظلوا يعملون حتى الموت في المزارع الواسعة التي تمتلكها الكنيسة في منطقة الكاريبي.. وقد شاركت في قنص وترحيل العبيد ما يزيد عن ألفين وسبعمائة سفينة بريطانية.

وفي مارس ٢٠٠٧م قاد الدكتور (روان ويليامز) رئيس أساقفة كانترى ـ كنيسة إنجلترا ـ مسيرة حاشدة شارك فيها عشرات القساوسة والشخصيات العامة.. طافت شوارع لندن.. اعتذاراً عن "تورط الكنيسة في التاريخ البشع للعبودية في العالم" على حد قول ولیامز نفسه.. وأضاف رئيس أساقفة بريطانيا:

" أنه ليس الندم فقط.. بل يجب إعلان التوبة عن مشاركتنا في هذه الوصمة التي كلفت الملايين من العبيد البؤساء أرواحهم وممتلكاتهم.. ودمرت اقتصاديات العديد من دول أفريقيا".

غير أن رأس الكنيسة الإنجليزية لم يجد في نفسه قدراً آخر إضافياً من الشجاعة ليطالب بتعويض أحفاد الضحايا عما حل بآبائهم وأجدادهم من إذلال

وقهر وخراب شامل.. بل إن «جون ميجور»[1] رئيس وزراء بريطانيا الأسبق علّق على المطالبات القضائية بالتعويض عن جرائم الاستعباد قائلاً بسخرية وقحة:

"آه.. سوف ندفع للأفارقة تعويضات بشرط أن يثبتوا أن ثمة ضرر قد لحق بهم بسبب كون أجدادهم كانوا عبيداً لنا"

وكأنه يظن أن استعباد الغرب للأفارقة كان "تشريفاً" لهم و "وساماً" على صدورهم !! ولا يختلف «بنديكت» بابا الفاتيكان[2] عن «ميجور» في هذه الجزئية.. فرغم اختلاف مذهب الفاتيكان – الكاثوليكي- عن المذهب السائد في انجلترا.. إلا أنهم جميعاً – مع نظرائهم الأمريكان وباقي أوروبا – يتفقون في شئ واحد : لا تعويضات عن الاستعباد مئات السنين لمئات الملايين من البشر !! مع أنهم جميعاً تسابقوا لإرضاء "إسرائيل" بمئات البلايين من الدولارات تعويضاً لليهود عن "مزاعم غير ثابتة" بالتعرض للتعذيب في محارق "هتلر"[3] أما

(١) جون ميجور هو سياسي بريطاني تولى رئاسة الوزراء في بريطانيا من «٢٨ نوفمبر ١٩٩٠ إلى ٢ مايو ١٩٩٧» وُلِدَ في ٢٩ مارس ١٩٤٣ بجنوبي لندن لعائلة محدودة الدخل.. عمل في بداية حياته في قطاع البنوك.. وفي سنة ١٩٦٨ دخل جون ميجور العمل السياسي مع حزب المحافظين ليفوز في الانتخابات المحلية.. وفي سنة ١٩٧٩ فاز بمقعد للمحافظين في البرلمان البريطاني وهي السنة نفسها التي فازت فيها مارجريت تاتشر برئاسة الوزراء.. وتولى بعد ذلك العديد من المناصب الهامة مثل وزارة المالية بين العامين ١٩٨٧ و١٩٨٩ ووزارة الخارجية سنة ١٩٨٩ حتى أصبح رئيساً للوزراء سنة ١٩٩٠ واستمر حتى سنة ١٩٩٧وتعتبر محادثات السلام مع الجيش الجمهوري الإيرلندي سنة ١٩٩٣ والتي قادت إلى اتفاقية وقف إطلاق النار التي عادت به للسلطة من جديد هي أبرز ملامح مشواره السياسي..

(٢) بندكت السادس عشر أو البابا بندكتوس السادس عشر هو بابا الفاتيكان الحالي رقم «٢٦٥» في الكنيسة الكاثوليكية.. ورأس الكنيسة الكاثوليكية.. وأسقف روما.. ورئيس دولة الفاتيكان.. انتُخِبَ لمنصب البابا بعد خلوة انتخابية قصيرة في ١٩ أبريل ٢٠٠٥ وأقام القداس الإلهي لتنصيبه في ٢٤ أبريل وتسلم مقاليد السلطة وفقاً لتقاليد الكنيسة الكاثوليكية في ٧ مايو بكاتدرائية القديس يوحنا في روما.. وُلِدَ باسم جوزيف راتزنجر.. ويتمتع بالجنسية الألمانية.. وكذلك جنسية دولة الفاتيكان.. وحقوق المواطنة في ولاية بافاريا.. درس الفلسفة واللاهوت.. وأصبح محاضراً في عدة جامعات ألمانية بشكل أساسي في جامعة ريجينسبرج.. ونُصِبَ كاهنًا عام ١٩٥١ ثم أصبح رئيساً لأساقفة ميونخ ثم كاردينالاً عام ١٩٧٧ وفي عام ١٩٨١ انتقل إلى روما حيث أصبح رئيساً لمجمع العقيدة والإيمان في الفاتيكان.. والذي يعتبر من أهم المؤسسات في الكنيسة الكاثوليكية.. وظلّ رئيساً له حتى انتخابه بابا عام ٢٠٠٥.

(٣) يقصد الهولوكوست.

التي يعترفون هم أنفسهم بها فلا.. وقد اعترف بابا الفاتيكان بارتكاب أسلافه لجرائم بشعة في الأمريكتين خلال القرن الخامس عشر وما بعده ضد السكان الأصليين ثم الأفارقة السود.. ورغم اعترافه هذا.. فقد رفض الاعتذار عن تلك الجرائم التي لم ينكرها.. وهو ما جعل «هوجو شافيز»[1] رئيس فنزويلا يشن هجوماً لاذعاً على البابا.. وقال شافيز: إن البابا يكذب بإدعائه أنهم نشروا المسيحية في الأمريكتين بالسلام والمحبة.. في حين كانت "بنادق البيض الغزاة تحصد السكان الأصليين بالملايين.. فهل هذه هي المسيحية التي يتشدق بها ؟!!

واستنكر شافيز ما سماه وقتها بتبجح البابا الذي رفض مجرد كلمة اعتذار للضحايا لن تكلفه "سنتاً" واحداً.. وطالبه بالتحلى بقدر أكبر من الأمانة والموضوعية.. لكن الحقيقة أن شخصاً مثل "بنديكت" الذي كان عضواً في الحزب النازى في شبابه.. لن يعتذر عن جرائم فعل مثلها هو نفسه في عهد زعيمه هتلر.. فهو يرى أن هذه "أمور طبيعية الوقوع" من المنتصر"الأبيض" ضد السود والهنود الأمريكيين "الأقل شأناً".



(١) نتحدث عنه في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان) .

الفصل الثالث



أمريكا.. ومذبحة العالم الاقتصادية

الكساد الكبير

Great Depression

بدأت أمريكا تاريخها بازدهار اقتصادي ملحوظ.. بلغ ذروته في العشرينات.. وكان الاقتصاد الأمريكي هو العامل الأهم في اقتصاديات الدول الأخرى.. لكن لم يستمر الحال طويلاً.. حيث حدث ما يُعرف تاريخياً بالانهيار الكبير.

وتقول نظريات علم الاقتصاد أن حدوث الأزمات الاقتصادية في الدول الرأسمالية يعود غالباً إلى أن النظام الحر يرفض أن تتدخل الدولة للحد من نشاط الأفراد في الميدان الاقتصادي.. فأصحاب رؤوس الأموال أحرار في كيفية استثمار أموالهم.. وأصحاب الأعمال أحرار فيما ينتجون كماً ونوعاً.. وهذا ما يمكن أن نسميه فقدان المراقبة والتوجيه.. وتستتبع الحرية الاقتصادية حرية المنافسة بين منتجي النوع الواحد من السلع.. كما أن إدخال الآلة في العملية الاقتصادية من شأنه أن يضاعف الإنتاج ويقلل من الحاجة إلى الأيدي العاملة.. وبالتالي فإن فائض الإنتاج يحتاج إلى أسواق للتصريف.. وعندما تختل العلاقة بين العرض والطلب في ظل انعدام الرقابة تحدث فوضى اقتصادية تكون نتيجتها الحتمية أزمة داخل الدولة الرأسمالية.

وهذا باختصار ما قادت أمريكا العالم إليه عقب نهاية الحرب العالمية الأولى.. وهو ما سنتحدث عنه وعن تداعياته من خلال هذا الفصل الذي سنرى من خلاله كيف تلاعبت الولايات المتحدة باقتصاديات العالم بشكل هو أقرب للمذبحة الاقتصادية المتعمدة منه للصدفة..

"الكساد الكبير" هو المسمى الذي أُطلِقَ على الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ١٩٢٩ ومروراً بالثلاثينيات.. وبداية الأربعينيات.. وهي أكبر وأشهر الأزمات الاقتصادية في القرن العشرين.



أم أمريكية تحمل أطفالها الجوعى وتنظر للمستقبل الغامض بشرود

ومن أسباب حدوث هذه الأزمة في الولايات المتحدة الأمريكية هو عدم استقرار الوضع الاقتصادي.. وسياسة كثافة الإنتاج لتغطية حاجات الأسواق العالمية خلال الحرب العالمية الأولى بسبب توقف المصانع في بعض الدول الأوروبية بعد تحولها إلى الإنتاج الحربي.. وعودة الكثير من الدول إلى الإنتاج بعد انتهاء الحرب.. والاستغناء عن البضائع الأمريكية.. لهذه الأسباب تكدست البضائع في الولايات المتحدة وتراكمت الديون.. وأفلس الكثير من المصانع.. وتم تسريح العمال.. وانتشرت البطالة وضعفت القوة الشرائية.. وتفاقمت المشاكل الاجتماعية والأخلاقية.

إضافة إلى ذلك أثار تلكؤ الدول الأوروبية في تسديد الديون المتوجبة عليها للولايات المتحدة الأمريكية كثيراً من العبء الاقتصادي.. ففقد المستثمرون الأمريكيون والأجانب الثقة في الخزينة الأمريكية.. وأقدم المساهمون في الشركات الكبرى على طرح أسهمهم للبيع بكثافة.. مما أدى إلى هبوط أسعار الأسهم بشكل حاد وجر مزيداً من الإفلاس والتسريح والبطالة.

أحداث الخميس الأسود

وهكذا يمكننا القول أن الأزمة بدأت في أمريكا مع انهيار سوق الأسهم الأمريكية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٩ والمسمى بالخميس الأسود.. وكان تأثير الأزمة مدمراً على كل دول العالم تقريباً.. الفقير منها والغني.. وانخفضت معدلات التجارة العالمية ما بين ٥٠ إلى ٦٥ ٪ وبالتالي انخفض متوسط دخل الفرد.. وعائدات الضرائب.. والأسعار والأرباح.. وكانت المدن هي الأكثر تأثراً بالأزمة.. وخاصة التي تعتمد منها على الصناعات الثقيلة.. كما توقفت أعمال البناء تقريباً في معظم الدول وتأثر المزارعون بهبوط أسعار المحاصيل بحوالي ٦٠٪ من قيمتها.

وكانت المناطق المعتمدة على قطاع الصناعات الأساسية كالزراعة والتعدين وقطع الأشجار هي الأكثر تضرراً وذلك لنقص الطلب على المواد الأساسية.. بالإضافة إلى عدم وجود فرص عمل بديلة.. كما أدت إلى توقف المصانع عن

الإنتاج.. ونتج عنها أن أصبحت عائلات بكاملها تنام في أكواخ من الكرتون.. وتبحث عن قوتها في مخازن الأوساخ والقمامة.

وقد سجلت دائرة الصحة في نيويورك أن أكثر من ٢٠٪ من عدد الأطفال يعاني من سوء التغذية.

زوال الأزمة

بدأت الأزمة في الزوال من كل الدول في أوقات مختلفة.. بعد أن أعدّت كلٌ منها برامج مختلفة للنهوض من الأزمة.. وكانت قد تسببت الأزمة في اضطرابات سياسية دفعتها لتكون إما من دول اليمين.. أو اليسار.. ودفعت أيضاً المواطنين اليائسين إلى الديماجوجية[1] - ومن أشهرهم أدولف هتلر - وكانت هذه من أسباب اندلاع الحرب العالمية الثانية.

قصعة الغبار

كانت الأزمة شديدة.. ومع أن الأسهم في أبريل لعام ١٩٣٠ بدأت في الرجوع لمستويات بدايات ١٩٢٩ إلا أنها ظلت بعيدة عن مستويات سبتمبر ١٩٢٩ بحوالي ٣٠٪ ومع أن الإنفاق الحكومي زاد خلال النصف الأول لعام ١٩٣٠ إلا أن إنفاق المستهلكين قل بنسبة ١٠٪ وذلك بسبب الخسائر الفادحة بسوق الأسهم بالإضافة إلى موسم جفاف شديد عصف بالأراضي الزراعية الأمريكية في بداية صيف عام ١٩٣٠ عُرِفَ بـ «قصعة الغبار».

وفي بدايات عام ١٩٣٠ كان الائتمان وفيراً وبفائدة قليل إلا أن الناس كانت محجمة عن إضافة ديون أخرى بالاستدانة.

---

(١) الديمَاجوجِية هي كلمة يونانية قديمة مكونة من مقطعين (دِيمَا) من "دِيمُوسْ وتعنى الشعب.. و(جوجيا) وتعنى (قيادة) وهي استراتيجية لإقناع الآخرين بشيءٍ ما بالاستناد إلى مخاوفهم وأفكارهم المسبقة.. عن طريق الخطابات والدعاية الحماسية مستخدمين المواضيع القومية والشعبية محاولين استثارة عواطف الجماهير .. أما وفقاً للتعريف السائد اليوم فهي تدل على مجموعة الأساليب والخطابات والمناورات والحيل السياسية التي يلجأ إليها السياسيون لإغراء الشعب أو الجماهير بوعود كاذبة أو خداعة وذلك ظاهرياً من أجل مصلحة الشعب.. وعملياً من أجل الوصول إلى الحكم.

وفي مايو ١٩٣٠ كانت مبيعات السيارات قد انخفضت لمستويات منتصف ١٩٢٨ وبدأت الأسعار في التراجع إلا أن الرواتب ظلت ثابتة.. ولكنها لم تصمد طويلاً وانخفضت بمنتصف عام ١٩٣١ أما المناطق الزراعية فكانت الأكثر تضرراً بهبوط أسعار السلع عامة.

ومن ناحية أخرى كانت الأزمة في مناطق التعدين.. ومناطق قطع الأخشاب بسبب البطالة.. وعدم وجود فرص عمل بديلة..

تعريفة سموت هاولي

وفي محاولات محمومة طبقت بعض الدول سياسات وقائية فقد قامت الحكومة الأمريكية عام ١٩٣٠ بفرض تعريفات جمركية على أكثر من ٢٠ ألف صنف مستورد وعرفت باسم تعريفة "سموت هاولي" وردت بعض الدول بفرض تعريفات انتقامية جديدة مما زاد من تفاقم انهيار التجارة العالمية.. وبنهاية عام ١٩٣٠ واصل الانهيار بمقدار ثابت إلى أن وصل إلى القاع في مارس ١٩٣٣.

روزفلت.. وكيف تخطت الولايات المتحدة الأزمة؟

بنى «روزفلت»[١] حملته الانتخابية للفوز برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية لسنة ١٩٣٢ على الأسباب والحلول الممكنة للخروج من الكساد الكبير.. مهاجماً الجمهوريين.. والرئيس «هربرت هوفر»[٢] الرئيس الأمريكي الجمهوري في ذلك الوقت الذي كان سيء الحظ.. بحيث حدثت كارثة الكساد الكبير

(١) فرانكلين ديلانو روزفلت «٣٠ يناير ١٨٨٢ - ١٢ أبريل ١٩٤٥».. رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثاني والثلاثون.. وكان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي. شغل فرانكلين روزفلت منصب حاكم على ولاية نيويورك ما بين يناير من سنة ١٩٢٩ إلى ٣١ ديسمبر من سنة ١٩٣٢تولى منصب رئيس الولايات المتحدة من تاريخ ٤ مارس ١٩٣٣ إلى ١٢ أبريل ١٩٤٥ وذلك لأنه أعيد انتخابه أربع مرات متتالية.. إذ توفي في العام الأول من ولايته الرابعة.. صنف من أعظم ثلاث رؤساء لأمريكا. عاصر الحرب العالمية الثانية حيث قاد الحلفاء إلى النصر على الرغم من شلله.. له مقولة مشهورة : "الشيء الوحيد الذي يجب أن نخاف منه هو الخوف نفسه"

(٢) هربرت كلارك هوفر «١٠ أغسطس ١٨٧٤ - ٢٠ أكتوبر ١٩٦٤» هو الرئيس الحادي والثلاثين للولايات المتحدة.. وكان مهندس مناجم ناجح..

بعد دخوله البيت الأبيض بحوالي ثمانيه أشهر فقط.. وشدد على أن هذه الكارثة حدثت بسبب السياسات الفاشلة للجمهوريين خلال العشرينات..

وبعد أن أسفرت الانتخابات الرئاسية عن فوز ساحق لروزفلت الديموقراطي على هربرت هوفر الجمهوري.. استعدت الولايات المتحدة للدخول في مرحلة جديدة من التغيير السياسي والاقتصادي.

سياسة "العهد الجديد" The New Deal

وفي عام ١٩٣٣ أعلن الرئيس الجديد روزفلت عن برنامجه الاقتصادي المعروف باسم The New Deal ما أثار دهشة المحللين والمراقبين هو السرعة التي نفذت فيها خطة الـ New Deal والتي عادة تستغرق أجيالاً لتطبيقها.. وعندما تسلم السلطة كان النظام المصرفي والائتماني في حالة شلل تام.. وكانت البنوك مغلقة.. فأمر روزفلت بفتح المصارف التي لم تتعرض للإفلاس بشكل تدريجي واعتمدت الحكومة سياسة معتدلة تجاه تضخم العملة وتوفير الإغاثة لبعض المدينين في حين وفرت الحكومة تسهيلات ائتمانية سخية إلى الصناع والمزارعين وشَرَعَتْ أنظمة مشددة على بيع الأوراق المالية في البورصات.

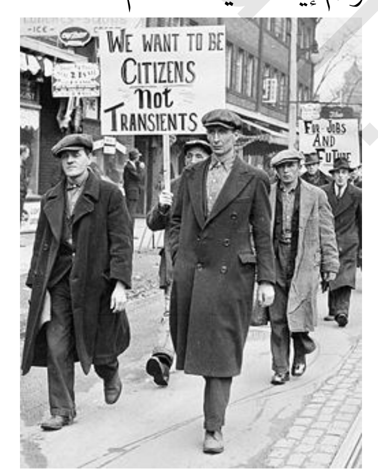
لم يبدأ الانتعاش في الولايات المتحدة إلا عام ١٩٣٣ مع سياسة "العهد الجديد" التي وضعها الرئيس فرانكلين روزفلت.. الذي تبنى سياسة اقتصادية جديدة تقوم على الدخول في مشاريع كبرى بهدف تشغيل أكبر عدد ممكن من العمال لحل مشكلة البطالة.. ولأجل ذلك تم إنشاء مكاتب التوظيف والتوسع في المشاريع الإنمائية والاجتماعية.. وعمل على اتخاذ الخطوات التالية:

- وضع حلول للأزمة المصرفية عام ١٩٣٣.
- إعادة فتح البنوك السليمة.
- إصدار قوانين عامي ١٩٣٣ و١٩٣٥ التي تمنع البنوك من التعامل بالأسهم والسندات..
- إنشاء مؤسسات لرعاية ضحايا الأزمة من العاطلين..

- إصدار قوانين تحقق الاستقرار في قطاع الزراعة.
- إصدار قانون الإصلاح الصناعي عام ١٩٣٣..
- تصحيح استخدام الأوراق المالية من خلال إنشاء لجنة تبادل الأوراق المالية عام ١٩٣٤.

كذلك اقتضى البدء بمعالجة الأزمة توافر السيولة المالية لتحريك السوق.. ولتأمين السيولة لذلك وجب سحب الودائع الأمريكية من المصارف العالمية.. وخصوصاً الأوروبية.. هذا الإجراء أسهم في انفراج الأوضاع الاقتصادية الأمريكية إلى حد ما.. ولكنه أسهم في تدويل الأزمة.. فانتقلت إلى سائر الدول الرأسمالية في العالم وخصوصاً بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

أول خطوات الإصلاح الاقتصادي توجهت نحو العاطلين عن العمل من خلال تشريع سَنَّهُ الكونجرس تضمن إيصال المساعدة للشباب العاطلين عن العمل الذين تقع أعمارهم بين ١٨ و ٢٥ سنة.. وسُمي هذا المشروع بـ Works Administration Progress أو الـ WPA ويهدف المشروع إلى توجيه تلك القوى العاطلة تجاه العمل في المشروعات الحكومية الخاصة بالبنية التحتية وتشييد المباني والطُرق.. وقد اشترك حوالي ٢ مليون شاب بهذا البرنامج الذي تم العمل به في نوفمبر ١٩٣٣ وتم إيقافه في ١٩٣٤م.



مسيرة سلمية للعمال المسرحين في مدينة تورونتو الكندية

كيف استدرجت الولايات المتحدة دول العالم إلى أكبر مذبحة اقتصادية؟

وهكذا بدأت الولايات المتحدة إصلاح شأنها الاقتصادي الداخلي.. بينما تركت الأزمة الاقتصادية الكبرى تأثيراً كبيراً في الأنظمة الرأسمالية الأخرى بشكلٍ عام.. فقد تحول النظام الاقتصادي الرأسمالي الحر إلى اقتصاد موجه.. وخضعت بعض القطاعات الحيوية كشركة إنتاج الفحم الإنجليزية وشركة المترو الفرنسية لنظام التأميم.. كما تدخلت الدولة لتوجيه الصناعيين والمزارعين والمستثمرين وتوعيتهم.

وأسهمت الأزمة في وصول الأنظمة الدكتاتورية إلى السلطة في بعض البلدان كالنازية في ألمانيا.. وأغلقت أسواق كثيرة في وجه التجارة العالمية.. وتوقف التبادل التجاري.. واتبعت دول كثيرة سياسة الاكتفاء الذاتي مثل النظامين الفاشي في إيطاليا.. والنازي في ألمانيا.. كما أن انهماك الكثير من الدول في معالجة أزماتها الاقتصادية جعلها تغفل عن خطورة ما يجري على الصعيد العالمي من انتهاك لقرارات المنظمة الدولية.. وعودة إلى مبدأ التسلح.. وخرق المعاهدات الدولية.. ولقد قوت الأزمة بطريقة غير مباشرة النظام الشيوعي الذي لم يتأثر بها بغض النظر عن أزماته الداخلية.

هكذا كانت الأزمة الاقتصادية الكبرى نتيجة من نتائج الحرب العالمية الأولى وسبباً من أسباب قيام الحرب العالمية الثانية.



الفصل الرابع



أمريكا.. والمذبحة الكبرى

«نجازاكى.. وهيروشيما»

كان للولايات المتحدة الأمريكية الدور الفاعل في إشعال الحروب داخل الكرة الأرضية ومنها الحرب العالمية الأولى التي أدت عقب انقضاءها إلى تولد حالة من الكره بين الأمريكيين وبقية دول العالم أسفر عنها وقوع سلسلة من التفجيرات الانتقامية في عام ١٩١٩م واتخذتها الإدارة الأمريكية مبرراً لشن إعتقالات ولترحيل المئات من المواطنين المهاجرين.

أما الحرب العالمية الثانية فقد شرعت خلالها أمريكا إلى منح بريطانيا ٥٠ مدمرة بالإضافة إلى ماقيمته ١٣,٥مليار دولار من التجهيزات الحربية كما دعمت الاتحاد السوفيتي بنحو ١٩مليار دولار.. وركزت الإدارة الأمريكية عام ١٩٤١م طاقاتها على دعم مشروع «مانهاتن» البالغ السرية والذي خصصت له نحو ٢مليار دولار ليتمخض عنه القنبلة الذرية التي تم إنتاجها في عام ١٩٤٥م.

وخلال عملية إنتاج القنبلة النووية سعت أمريكا إلى اعتقال ١١٠ ألاف مواطن أمريكي من أصول يابانية يقطنون في ولايات أمريكا الغربية وشرعت في تعذيبهم واتهامهم بالخيانه والتجسس.

وفي السادس من أغسطس من العام ١٩٤٥م وجه الرئيس الأمريكي «ترومان»[1] أوامره باستخدام القنبلة النووية ضد هيرشيما وضد مدينة ناجازاكي اليابانية مما أدى إلى مقتل ٢٠٠ ألف مدني.. واستسلام اليابان..

فكيف دارت أحداث أبشع.. وأسرع.. وأكبر جريمة ومذبحة بشرية عرفها التاريخ؟

خلال المراحل الأخيرة للحرب العالمية الثانية في عام «١٩٤٥م».. قامت الولايات المتحدة بشن ضربتيها النوويتين ضد اليابان في مدينتي هيروشيما وناجازاكي.. وذلك بعد ستة أشهر من القصف الاستراتيجي المكثف لـ٦٧ مدينة يابانية أخرى..

---

(١) هاري ترومان « ٨ مايو ١٨٨٤ - ٢٦ ديسمبر ١٩٧٢ » هو الرئيس الأمريكي الثالث والثلاثين « ١٩٤٥- ١٩٥٣» وهو من أمر بإلقاء القنبلتين الذريتين على مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين خلال الحرب العالمية الثانية. القنبلة الأولى المسماة بالولد الصغير التي ألقيت في ٦ أغسطس ١٩٤٥ على مدينة هيروشيما.. أما القنبلة الثانية المسماة بالولد السمين التي ألقيت في ٩ أغسطس ١٩٤٥ على مدينة ناغازاكي الأمر الذي أدى إلى مقتل أكثر من مائتي ألف قتيل في كلتا المدينتين.. وإنهاء الحرب العالمية الثانية.

حدث هذا بعد تعمد نظام الإمبراطور الياباني «هيروهيتو»[1] تجاهل المهلة التي حدّدها إعلان بوتسدام[2].

الولد الصغير.. والرجل البدين

وبموجب الأمر التنفيذي الذي أصدره الرئيس هاري ترومان.. قامت الولايات المتحدة بإطلاق السلاح النووي «الولد الصغير» على مدينة هيروشيما في يوم الاثنين الموافق ٦ أغسطس عام ١٩٤٥ ثم تلاها إطلاق قنبلة «الرجل البدين» على مدينة ناجازاكي في التاسع من شهر أغسطس..

قتلت القنابل ما يصل إلى ١٤٠ألف شخص في هيروشيما.. و٨٠ ألف في ناجازاكي بحلول نهاية عام ١٩٤٥.. حيث مات ما يقرب من نصف هذا الرقم في نفس اليوم الذي تمت فيه التفجيرات.. ومن بين هؤلاء.. مات ١٥- ٢٠ ٪ متأثرين بالجروح أو بسبب آثار الحروق.. والصدمات.. والانعكاسات الإشعاعية.. يضاعفها الأمراض.. وسوء التغذية والتسمم الإشعاعي.. ومنذ ذلك الحين.. توفي حتى الآن عدد كبير بسبب سرطان الدم.. والسرطانات الصلبة التي تأتي نتيجة التعرض للإشعاعات المنبثقة من النووي.. وكانت معظم الوفيات من المدنيين في المدينتين.

وبعد ستة أيام من تفجير القنبلة على ناجازاكي.. في الخامس عشر من أغسطس.. أعلنت اليابان استسلامها لقوات الحلفاء.. حيث وَقَعَت وثيقة الاستسلام في الثاني من شهر سبتمبر.. مما أنهي الحرب في المحيط الهادئ

---

(١) هيروهيتو «٢٩ أبريل ١٩٠١ - ٧ يناير ١٩٨٩» هو إمبراطور اليابان رقم ١٢٤ حسب الترتيب الخلافة اليابانية التقليدية.. حكم ما بين ١٩٢٦ وحتى ١٩٨٩ بعد وفاته أصبح يعرف في اليابان باسم شووا «شووا تينو» كانت فترة حكمه أطول فترة في تاريخ اليابان شهد المجتمع الياباني خلالها تغييرات مهمة.. في بداية فترة حكمه كانت اليابان بشكل بدائي.. وأدى تحضر اليابان في الثلاثينات إلى اشتراكها في الحرب العالمية الثانية التي انتهت باستسلام اليابان وسقوطها تحت الاحتلال.. ثم تعاون مع قوات الاحتلال أثناء احتلال اليابان وعاش ليرى اليابان تتحول إلى دولة حديثة من أعظم القوى الاقتصادية في العالم.

(٢) إعلان بوتسدام هو إعلان أعلنته قوات الحلفاء بعد مؤتمر بوتسدام وكان نصه أن تستسلم اليابان استسلاماً كاملاً بدون أي شروط .. إلا أن رئيس الوزراء الياباني سوزوكي رفض هذا التقرير وتجاهله.

رسمياً.. ومن ثم نهاية الحرب العالمية الثانية.. بعدها وقعت ألمانيا وثيقة الاستسلام في السابع من مايو.. مما أنهي الحرب في أوروبا.. وجعلت التفجيرات اليابان تعتمد المباديء الثلاثة غير النووية بعد الحرب.. والتي تمنع الدول من التسلح النووي.

كيف كانت القنبلتان

وكانت الولايات المتحدة قد قامت بالتعاون مع المملكة المتحدة وكندا خلال مشاريعهم السرية في مختبرات نهر تشوك.. بتصميم وبناء أول قنبلة نووية في إطار مشروع مانهاتن.. وقام الفيزيائي الأمريكي روبرت أوبنهايمر[1] بإدارة البحث العلمي.. فتم صُنع قنبلتى هيروشيما.. وهي قنبلة ذات انشطار مُصوّب تسمى بـ"ليتل بوي".. من اليورانيوم ٢٣٥ وهو نظير نادر لليورانيوم.. وتم اختبار القنبلة الذرية للمرة الأولى في ترينيتي.. في السادس عشر من شهر يوليو عام ١٩٤٥ بالقرب من ألاموجوردو.. نيو مكسيكو.. وقنبلة ناجازاكي "فات مان" من الأنواع ذات الانشطار الداخلي.. وتم صناعتهما من البلوتونيوم ٢٣٩ وهو عنصر اصطناعي.

معايير اختيار الأهداف

رشحت لجنة تحديد الهدف.. بقيادة روبرت أوبنهايمر.. كيوتو.. وهيروشيما.. ويوكوهاما.. وكوكورا كأهداف محتملة.. واعتمد اختيار الهدف على المعايير التالية:

---

(١) روبرت أوبنهايمر «٢٢ أبريل ١٩٠٤ - ١٨ فبراير ١٩٦٧» المُلقب بأبي القنبلة الذرية الأمريكية.. هو فيزيائي أمريكي ومدرس الفيزياء النظرية بجامعة كاليفورنيا.. وهو المدير العلمي لمشروع مانهاتن لتصنيع السلاح النووي الأول في الحرب العالمية الثانية.. وقد اشتهر أوبنهايمر بمقولته: الآن أصبح الموت .مدمر العالم.. بعد الانتهاء من صنع القنبلة النووية. بعد الحرب أصبح أوبنهايمر الرئيس المشرف على اللجنة الأمريكية للطاقة النووية واستخدم منصبه للضغط والتحكم في استخدامات الطاقة النووية وتجنب سباق التسليح النووي مع الاتحاد السوفيتي.. حصل على جوائز من الرؤوساء الأمريكيين جون كينيدي وليندون جونسون.. كعالم يشتهر أوبنهايمر بمؤسس المدرسة الأمريكية للفيزياء النظرية أثناء عمله بجامعة كاليفورنيا.. عمل كمدير معهد الدراسات المتقدمة خلفاً لأينشتاين.. كما حقق أوبنهايمر انجازات مهمة للفيزياء مثل «تقريب بورن - أوبنهايمر» وعمل على نظرية «البروتون - إلكترون» وعملية أوبنهايمر - فيليبس والثقوب السوداء وميكانيكا الكم ونظرية مجال الكم والأشعة الكونية.

- يجب أن يكون قطر الهدف أكثر من ثلاثة أميال وهدفاً مهماً في منطقة حضرية كبيرة.
- يجب أن يؤدي الانفجار إلى أضرار فعلية.
- يجب على أي هدف عسكري صغير ودقيق أن يقع في منطقة كبيرة لتتعرض للأضرار الناجمة عن الانفجار.. ومن أجل تجنب مخاطر الأسلحة النووية التي لا داعي لها.. وفقدها نتيجة وضع القنبلة في المكان الخاطئ".

كانت هيروشيما توصف بأنها "مستودع عسكري هام وميناء يمكن المغادرة من خلاله في وسط منطقة صناعية حضرية.. كما أنها هدف راداري مهم.. وحجمها كبير بحيث سيتعرض جزء كبير من المدينة لأضرار جسيمة.. وستؤدي التلال المجاورة إلى إحداث تأثير تركيزي.. ومن ثم زيادة ضرر الانفجار.. ولكن وجود الأنهار لا يجعلها هدفاً مثيراً للنيران " فقد كان الهدف من استخدام هذا السلاح هو إقناع اليابان بالاستسلام دون شروط.. وفقاً لما جاء في إعلان بوتسدام.

وذكرت لجنة تحديد الأهداف أن "للعوامل النفسية أهمية كبيرة في اختيار الهدف. ومن هذه الجوانب:

(١) التأثير النفسي على اليابان بقدر المستطاع..

(٢) جعل الاستخدام الأولي للسلاح مثيراً.. وذلك ليعترف العالم أجمع بأهميته عندما يتم إطلاقه.

وفي هذا الصدد تتمتع هيروشيما بحجمها الكبير والجبال القريبة.. ومن ثم يمكن تدمير جزء كبير من المدينة. ويحظى قصر الإمبراطور في طوكيو بشهرة أكبر من أي هدف آخر.. ولكنه ذات قيمة إستراتيجية أقل.

وخلال الحرب العالمية الثانية.. كان إدوين رايشاور[١] ويعتقد البعض خطأً بأنه تمكن من منع الهجوم على مدينة كيوتو.. ففي سيرته الذاتية.. دحض رايشاور هذا الادعاء المشهور قائلاً:

(١) هو الخبير الياباني المسئول عن مخابرات الجيش الأمريكي...

"...إن هنري ستيمسون.. وزير الحرب آنذاك.. هو الشخص الوحيد الذي يستحق التقدير لإنقاذ مدينة كيوتو من الدمار.. فقد أُعجب بمدينة كيوتو منذ عقود قليلة حيث قضى شهر العسل هناك".

وفي الثامن والعشرين من شهر يوليو.. أعلنت الصحف اليابانية أن الحكومة قد رفضت إعلان بوتسدام.. وفي ظهر ذلك اليوم.. أعلن رئيس الوزراء الياباني «كانتارو سوزوكي» في مؤتمر صحفي أن إعلان بوتسدام عبارة عن إعادة صياغة لإعلان القاهرة.. ومن ثم تجاهلتهُ الحكومة عمداً.. واعتبرت الصحف اليابانية والأجنبية هذا التصريح بمثابة رفض واضح للإعلان.. ولم يسعى الإمبراطور «هيروهيتو» لتغيير موقف حكومته.. وكان ينتظر الرد السوفيتي على النوايا اليابانية المبهمة نحو السلام.

وفي الحادي والثلاثين من شهر يوليو.. صرح الإمبراطور لمستشاره كويتشي كيدو أنه يجب الدفاع عن الرموز الإمبراطورية اليابانية بأي ثمن.

وفي مطلع شهر يوليو.. أعاد ترومان النظر في استخدام القنبلة النووية أثناء ذهابه إلى مدينة بوتسدام.. وفي النهاية.. قرر ترومان مهاجمة اليابان باستخدام القنابل النووية معلناً عن نيته في إصدار أوامره بشن الهجوم بحجة إنهاء هذه الحرب سريعاً عن طريق إلحاق الدمار وزرع الخوف داخل الشعب الياباني.. ومن ثم إرغام البلاد على الاستسلام.



هيروشيما



طائرة الإينولاجاي وطاقمها.. التي أسقطت القنبلة "الولد الصغير" على مدينة هيروشيما.

كانت مدينة هيروشيما تتمتع ببعض الأهمية الصناعية والعسكرية في الوقت الذي تم تدميرها فيه.. فكان هناك عدد من معسكرات الجيش.. بما في ذلك مقر الشعبة الخامسة والمقر العام الثاني للجيش الخاص بالمشير شونروكو هاتا المسئول عن الدفاع عن جميع الأجزاء الجنوبية في اليابان.. كما كانت هيروشيما مُزَوِّداً ثانوياً وقاعدة لوجستية للجيش الياباني.. وكانت المدينة مركزاً للاتصالات.. ونقطة تخزين.. ومنطقة تجميع للقوات.. وكانت المدينة واحدة من المدن اليابانية العديدة التي كانت بمنأى عن القصف الأمريكي.. مما جعل أهلها يستشعرون الضرر الناجم عن القنبلة الذرية بحرقة شديدة.

وتقع في وسط المدينة عدة بنايات خرسانية قوية وهياكل أخف وزناً.. وخارج المركز.. تزدحم المنطقة بمجموعة من ورش العمل الخشبية الصغيرة التي تقع بين البيوت اليابانية.. كما نجد بعض النباتات الصناعية التي تقع بالقرب من ضواحي المدينة.. وكانت معظم البيوت مبنية من الخشب.. وتم بناء كثير من المباني الصناعية على إطارات خشبية.. وبالتالي.. فإن المدينة بأكملها كانت سريعة التأثر بالنيران.

وصل عدد سكان هيروشيما إلى ذروته لأكثر من ٣٨١ ألف نسمة في أوائل الحرب.. ولكنه انخفض باطراد قبل القصف الذري بسبب الإخلاء المنهجي الذي قامت به الحكومة اليابانية.. تراوح عدد السكان في وقت الهجوم عليها بين حوالي٣٤٠ : ٣٥٠ ألف نسمة.. وظل عدد السكان آنذاك غير مؤكداً بسبب احتراق الوثائق الرسمية وسط الدمار.

كيف سارت الأمور؟

كانت هيروشيما الهدف الأساسي للتفجير النووي الذي تم كما قلنا في السادس من شهر أغسطس.. بينما كانت كوكورا أو ناجازاكي الهدف الآخر.. وتم اختيار السادس من هذا الشهر لأن الغيوم قد سبق وحجبت الهدف.. انطلق سرب الطائرات B٣٩٣ ٢٩d إينولا جاي من «القاعدة» الجوية الشمالية بجزيرة تينيان.. غرب المحيط الأطلسي يقوده قائد المجموعة رقم ٥٠٩ الكولونيل

بول تيبتس.. ورافق إينولا جاي «التي سميت باسم أم الكولونيل تيبتس» اثنين من الـ (B٢٩) فقامت القاذفة الأولى وتسمى الفنان الكبير.. بقيادة الرائد تشارلز دبليو سويني.. بنقل المعدات.. بالإضافة إلى طائرة أخرى سميت بعد ذلك بالشر الضروري «طائرة التصوير الضوئي».. والتي كان يقودها الكابتن جورج ماركوارت.

وبعد مغادرة جزيرة تينيان.. اتخذت كل طائرة طريقها على حِدا إلى لايو جيما.. حيث تقابلا على ارتفاع ٢٤٤٠ متر «٨٠٠٠ قدم» وانطلقا إلى اليابان.. ووصلت الطائرة إلى الهدف.. وكانت الرؤية واضحة على ارتفاع ٩٨٥٥ متر «٣٢٣٣٠ قدم» وأثناء الرحلة.. قام الكابتن وليام بارسونز بتسليح القنبلة.. حيث لم يكن تم تسليحها بعد لتقليل المخاطر أثناء الإقلاع.. وأزال مساعد الكابتن.. اللفتنانت الثاني موريس جيبسون.. أجهزة السلامة قبل الوصول إلى الهدف بثلاثين دقيقة.

كانت الطاقة المنبعثة قوية جداً بما يكفي لاختراق الملابس.. فالأجزاء السوداء في الملبس الذي يرتديه الضحية وقت وقوع الانفجار انتشرت على الجسد.. وقبل الانفجار بحوالي ساعة.. اكتشف رادار الإنذار الياباني اقتراب بعض الطائرات الأمريكية من الجزء الجنوبي الياباني.. وتم تنبيه البلاد.. وتوقف البث الإذاعي في مدن كثيرة.. من بينها مدينة هيروشيما.. وقرابة الساعة الثامنة صباحاً.. حدد الرادار في مدينة هيروشيما اليابانية عدد الطائرات القادمة بأنه لا يتعدى الثلاث طائرات.. ومن ثم تم رفع حالة التأهب.. وللحفاظ على الوقود والطائرات.. قرر اليابانيون عدم اعتراض مثل هذه التجمعات الصغيرة.. حذّرت الإذاعة الناس أنه قد يكون من المستحسن الذهاب إلى ملاجئ تحميهم من الغارات الجوية إذا ما شاهدوا الطائرات B ٢٩ تقترب.. ولم يتوقعوا حدوث أي غارات حيث اعتقدوا أن الطائرات في رحلة استطلاعية فقط.

"ليتل بوي" الولد الصغير

انطلقت القنبلة الساعة الثامنة والربع «بتوقيت هيروشيما» كما كان مخطط.. وهي قنبلة تعمل بقوة الجاذبية تسمى "ليتل بوي".. وكانت قنبلة ذات انشطار مُصَوّب.. وتحمل ٦٠ كيلوجراماً «١٣٠ باوند» من اليورانيوم ٢٣٥ واستغرقت القنبلة ٥٧ ثانية لتسقط من الطائرة وتصل إلى الارتفاع الذي ستنفجر فيه.. وهو حوالي ٦٠٠ متر «٢٠٠٠ قدم» فوق المدينة.. حولت القنبلة مسارها بحوالي ٨٠٠ قدم «٢٤٠ متر» بسبب الرياح المتعامدة.. لتسقط على عيادة تسمى عيادة "شيما" للجراحة بدلاً من الهدف المخطط له.. وهو جسر إيوا.. ونتج عن ذلك انفجار يعادل حوالي ١٣ ألف كيلو من الـ«T.N.T» وبلغ نصف قطر دائرة الدمار حوالي ميل واحد تقريباً.. بالإضافة إلى الحرائق التي انتشرت في أنحاء مختلفة على مساحة ٤,٤ ميل مكعب تقريباً[1].

وتشير التقديرات الأمريكية إلى تدمير ٤,٧ ميل مكعب «١٢ كيلومتر مكعب» من مساحة المدينة.. بينما حدد المسئولون اليابانيون خسارة المباني في هيروشيما بـ ٦٩ ٪.. بالإضافة إلى إلحاق الضرر بـ ٦- ٧ ٪ من مباني أخرى.

لَقِيَ ٧٠ : ٨٠ .ألف شخص.. أي حوالي ٣٠ ٪ من سكان هيروشيما حَتْفَهُم على الفور.. وجُرِحَ ٧٠.ألف آخرون.. كما مات أكثر من ٩٠ ٪ من الأطباء و٩٣ ٪ من الممرضين في هيروشيما أو أصيبوا بجروح.. حيث كان معظمهم في منطقة وسط المدينة التي تأثرت بالانفجار أكثر من أي منطقة أخرى.

على الرغم من أن الولايات المتحدة قد سبق وألقت منشورات تُحذر فيها المدنيين من الغارات الجوية على اثنتا عشر مدينة يابانية أخرى.. لكن لم يتم تحذير سكان هيروشيما من إسقاط القنبلة الذرية.

إدراك اليابانيين بحدوث الانفجار

لاحظ مشغل التحكم بطوكيو.. التابع لهيئة الإذاعة اليابانية.. اختفاء محطة هيروشيما.. ومن ثم حاول إعادة بناء برنامجه باستخدام خط هاتفي آخر.. ولكن باءت محاولته بالفشل.. وبعد حوالي عشرين دقيقة.. أَيقن مركز تلغراف

(١) القياس بالمتر المكعب معناه أن الحفرة كانت ذات عمق كبير.. وليست مسطحة فحسب..

السكك الحديدية بطوكيو تَوَقُف الخط الرئيسي للتلغراف عن العمل شمال مدينة هيروشيما.. وبعد توقف بعض السكك الحديدية على بعد ١٦ كم من المدينة.. جاءت تقارير غير رسمية تتحدث عن حدوث انفجار رهيب في مدينة هيروشيما.. وتم نقل كل هذه التقارير إلى مقر قيادة هيئة الأركان العامة للجيش الياباني الإمبراطوري.

وحاولت القواعد العسكرية مراراً الاتصال بمحطة مراقبة الجيش بمدينة هيروشيما.. وأدهش ذلك الصمت التام للمدينة الرجال في المقر.. فهم يعلمون أنه لا يوجد أي غارات من قبل العدو.. ولا يوجد أي مخزون من المتفجرات في مدينة هيروشيما آنذاك.. وصدرت الأوامر إلى ضابط شاب من هيئة الأركان العامة اليابانية كي يغادر فوراً إلى هيروشيما.. ليهبط بالطائرة على الأرض.. ويمسح المنطقة.. ثم يعود إلى طوكيو ومعه معلومات موثوق بها للهيئة. فكان هناك شعور عام في المقر بأنه لم يحدث شيئاً خطيراً.. وأن الانفجار لا يعد سوى شائعة سخيفة.

تَوَجَّه الضابط إلى المطار.. وأَقلعت الطائرة مُتجِهة إلى جنوب غرب البلاد. وبعد الطيران لمدة ثلاث ساعات تقريباً.. وقبل الوصول إلى هيروشيما بحوالي مائة ميل «١٦٠ كم».. رأي الضابط والطيار سحابة كبيرة من الدخان نتيجة سقوط القنبلة.. وفي فترة ما بعد الظهر.. كان ما تبقى من هيروشيما مشتعلاً.. وسرعان ما وصلت طائرتهم إلي المدينة.. وأخذوا يطوفون فوقها في حالة من عدم التصديق.. وكان هناك قطعة كبيرة من الأرض لا تزال مشتعلة.. تغطيها سحابة كبيرة من الدخان.. وكان ذلك كل ما تبقى من المدينة المنكوبة.. هبطت الطائرة جنوب المدينة.. وقام الضابط على الفور بتنظيم وسائل الإغاثة.. بعد أن أبلغ طوكيو بما شاهد.

أخدودٌ حتى الموت

وبحلول اليوم الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٤٥ ذكرت الصحف الأمريكية أن هناك تقارير من الإذاعة اليابانية تقوم بوصف الدمار الذي لحق بمدينة هيروشيما.. "من الناحية العملية جميع الكائنات الحية.. الإنسان والحيوان.. وكانت حرفياً أخدوداً حتى الموت .."

ما بعد الهجوم

وفقاً لمعظم التقديرات.. أدى الانفجار إلى مقتل ما يقرب من ٧٠.ألف شخص في الحال بمدينة هيروشيما.. وتشير التقديرات إلى أن مجموع الوفيات بحلول نهاية عام ١٩٤٥ نتيجة الحروق.. والإشعاعات.. والأمراض ذات صلة.. والآثار التي تفاقمت بسبب نقص الموارد الطبية.. كان يتراوح بين ٩٠ ألف إلى ١٤٠ ألف شخص.. وتشير بعض التقديرات الأخرى إلى وفاة ٢٠٠ألف شخص بحلول عام ١٩٥٠.. بسبب السرطان وغيره من الآثار طويلة المدى.. بينما ذكرت دراسة أخرى أن ما يقرب من ٩ ٪ من الوفيات بسبب سرطان الدم بين الناجين من القنبلة بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٩٠.

بينما لم تتأثر بعض المباني الخرسانية الصلبة في هيروشيما كثيراً.. حيث أنها شُيدت بطريقة قوية جداً لتحمل مخاطر الزلازل في اليابان.. وبالتالي لم يتعرض هيكلها للانهيار.. على الرغم من أنها كانت قريبة إلى حدٍ ما من مركز الانفجار.

وبعد قصف هيروشيما.. أعلن الرئيس ترومان قائلاً:

إذا لم يقبلوا بشروطنا.. يجب أن يتوقعوا أمطاراً من الخراب تأتيهم من الهواء.. لم يراها أحدٌ من قبل على هذه الأرض.

وفي هذا الوقت كان كل من الإمبراطور هيروهيتو.. والحكومة.. ومجلس الحرب يبحث أربعة شروط للاستسلام:

- الحفاظ على الكوكوتاي «وهو المؤسسة الإمبراطورية ونظام الحكم الوطني»..
- وتَوَلِّي المقر الإمبراطوري مسؤولية نزع السلاح والتسريح..
- ولا يجب احتلال أيٍ من الجزر اليابانية.. أو كوريا.. أو تايوان..
- ويجب معاقبة مجرمي الحرب بواسطة الحكومة اليابانية.

أبلغ مولوتوف[1] وزير الخارجية السوفيتي.. طوكيو بإنهاء بلاده للحلف الحيادي السوفيتي الياباني في الخامس من شهر إبريل.. وبعد منتصف الليل بدقيقتين في التاسع من شهر أغسطس بتوقيت طوكيو.. شنّ الاتحاد السوفيتي عملية الهجوم الاستراتيجي على منشوريا باستخدام المشاة والمُدرّعات والقوات الجوِّية.. وبعد مرور أربع ساعات.. علمت طوكيو بأن الاتحاد السوفيتي قد أعلن الحرب على اليابان.. بدأت القيادة العليا للجيش الياباني استعداداتها لفرض الأحكام العرفية على البلاد.. وذلك بدعم من وزير الحرب كوريتشيكا أنامي.. من أجل وقف أي محاولة نحو السلام.

توقيت التفجير الثاني

كانت مسؤولية تحديد توقيت التفجير الثاني تقع على عاتق الكولونيل تيبتس.. باعتباره قائد الفرقة رقم ٥٠٩ في تينيان.. وكان من المقرر شن الهجوم على مدينة كوكورا في الحادي عشر من شهر أغسطس.. ولكن تم تقرير الهجمة قبل ذلك بيومين لتجنب فترة من الطقس السيئ ستبدأ في العاشر من شهر أغسطس وتستمر لمدة خمسة أيام.

وتم نقل ثلاث قنابل مُجَمّعة إلى تينيان.. وسميت القنابل F٣١.. وF٣٢.. و-F٣٣. وفي الثامن من شهر أغسطس.. أجري الميجر تشارلز سويني بروفة في تينان مستخدماً طائرة الـ Bockscar. استمر اختبار الـ F٣٣ وخصصت الـF٣١ لمهمة التاسع من شهر أغسطس.



(١) فياتشيسلاف ميخائيلوفيتش مولوتوف «٩ مارس ١٨٩٠ - ٨ نوفمبر ١٩٨٦» هو سياسي ودبلوماسي سوفييتي وأحد أبرز قيادي الحكومة السوفييتية.. امتد نشاطه السياسي من بداية الثورة البلشفية حتى عام ١٩٥٧عمل كذلك في السلك الدبلوماسي كوزير خارجية.. وكان رئيساً للحكومة السوفيتية منذ عام ١٩٣٧- ١٩٤١ حيث استطاع أن يسيطر على الأوضاع الداخلية المتردية بقيامه بتعديل الدستور السوفيتي الذي سُميَّ فيما بعد بـ «تعديل مولوتوف» وبموجب هذا التعديل تمتعت الجمهوريات المكونة للاتحاد السوفيتي بحق التمثيل الخارجي.. وعقد المعاهدات الدولية.. وإرسال البعثات الدبلوماسية إلى الخارج.. وعضوية المنظمات الدولية.. تُوُفِّيَ عام ١٩٨٦ ونشرت مذكراته عام ١٩٩٣...

ناجازاكي



الطائرة Bockscar وطاقمها.. التي أسقطت القنبلة "الرجل البدين" على ناجازاكي.

كانت مدينة ناجازاكي واحدة من أكبر الموانئ البحرية التي تقع جنوب اليابان. وكان لها أهمية إستراتيجية كبيرة بسبب نشاطها الصناعي.. حيث كانت تُنتج الذخائر.. والسفن.. والمعدّات العسكرية.. والمواد الحربية الأخرى.

وعلى عكس العديد من الجوانب الحديثة في مدينة هيروشيما.. كانت جميع المباني في ناجازاكي مبنيّة على الطراز الياباني القديم.. حيث تتألف من الأخشاب.. كما كان العديد من المنشآت التجارية والصناعية مصنوعة من الخشب أو غيره من المواد التي لا تتحمل الانفجارات.. كانت مبانيها عشوائية فشُيدت المساكن بجوار المباني الصناعية.. وكانت تقع قريبة من بعضها البعض قدر المستطاع في جميع أنحاء الوادي الصناعي.

وفي الأول من شهر أغسطس عام ١٩٤٥ سقط عدد من القنابل التقليدية شديدة الانفجار على المدينة.. ضرب عدد قليل من القنابل أحواض بناء السفن ومناطق تحميل وتفريغ السفن في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة.. بينما أصابت عدة قنابل مصانع ميتسوبيشي للصلب والأسلحة.. كما أنهالت ست قنابل على كلية الطب بناجازاكي والمستشفى.. وتعرضت المباني لثلاث ضربات مباشرة. على الرغم من أن الضرر الناجم عن هذه القنابل كان ضئيلاً نسبياً.. فقد خلق ذلك قلقاً كبيراً في ناجازاكي بين كثير من الناس.. وخاصة على مدارس الأطفال.

وبالتالي.. تم نقل الأطفال إلى المناطق الريفية من أجل سلامتهم.. ومن ثم خفض عدد السكان في المدينة في وقت الهجوم النووي.

وكان هناك في شمال ناجازاكي يقع معسكر يحتجز أسرى حرب الكومنولث البريطاني.. وكان بعضهم يعمل في مناجم الفحم.. ولم يعرفوا شيئاً عن الانفجارات إلا عندما عادوا إلى السطح.

إسقاط الرجل البدين

نموذج لقنبلة "الرجل البدين" وفي صباح اليوم التاسع من شهر أغسطس عام ١٩٤٥.. أقلعت القاذفة الأمريكية B-٢٩ Bockscar بقيادة الميجور تشارلز دبليو سويني.. وهي تحمل القنبلة النووية التي اطلق عليها اسم "الرجل البدين".. متجهة إلى «كوكورا» باعتبارها الهدف الرئيسي.. ثم إلى «ناجازاكي» باعتبارها الهدف الثانوي.. وكانت خطة القيام بالهجوم الثاني مطابقة تقريباً لهجوم هيروشيما.. فتكوّن السرب من طائرتين B-٢٩ انطلقوا قبل الهجوم بساعة لاستكشاف الطقس.. واثنتين إضافيتان بقيادة سويني لحمل آلات التصوير وتقديم الدعم للبعثة.

طار سويني بالقنبلة التي تم تسليحها.. ولكنه لم ينزع مقباس السلامة فأَقَرّ المراقبون الجوِّيُون بأن كِلا الهدفين واضحين.. وعندما وصل سويني إلى نقطة التجمع قبالة ساحل اليابان.. فشلت الطائرة الثالثة Big Stink في اللحاق بهم. وكان يقودها رئيس العمليات اللفتنانت كولونيل جيمس هوبكنز الابن.. وظلت الطائرة Bockscar وطائرة الأجهزة تحلقان لمدة أربعين دقيقة من دون تحديد مكان هوبكنز.. وبما أنهم تأخروا لمدة ٣٠ دقيقة عن الموعد المقرر.. قرر سويني الطيران بدون هوبكنز.

وعندما وصلوا إلى (كوكورا) متأخرين بنصف ساعة.. كان هناك سحب تعادل ٧٠٪ من الغطاء السحابي تحجب المدينة.. وتعذر الهجوم.. وبعد القيام بثلاث جولات فوق سماء المدينة.. بدأ الوقود ينفذ بسبب فشل نقل الطائرة على الخزان الاحتياطي قبل الإقلاع.. ومن ثم اتخذت الطائرات طريقها إلى الهدف

الثـانوي.. ناجـازاكـي.. أشـارت حسـابات اسـتهلاك الوقـود إلى أن الطـائرة Bockscar ليس لديها وقود يكفي للوصول إلى أيو جيمـا.. وسوف تضطر إلى التحويـل إلى أوكينـاوا.. وقـررت المجموعـة مبـدئياً حَمْـل القنبلـة إلى أوكينـاوا والـتخلص منهـا في المحيط إذا لـزم الأمـر.. إذا كـان هنـاك سـحب تحجـب رؤيـة ناجـازاكي عنـد الوصـول إليهـا.. ثـم قـرر القائـد البحـري فريـدريك آشـوورث استخدام الرادار إذا كـان الهدف غير واضح.

وفي حوالي الساعة الثامنة إلا عشـر دقـائق بتوقيت اليابـان.. كـان هنـاك حالـة تأهـب للغـارة الجوية علـى ناجـازاكـي.. ولكـن تم إعطـاء الإشـارة الواضـحة في الساعة الثامنة والنصف وعندما إكْتُشِفَت القاذفتان B-٢٩ في السـاعة الحاديـة عشـر إلا سبع دقائق إعْتَقَدَ اليابـانيون بـأن الطـائرتين يَقُمـانْ برحلـة اسـتطلاعية.. ومن ثم توقف نداء الخطر.

وبعد مرور بضع دقائق.. وفي تمام الساعة الحادية عشر أسقطت الطـائرة The Great Artiste مـن طـراز B-٢٩ بقيـادة الكـابتن فريـدريك بـوك.. صـكوك معلقـة علـى ثـلاث مظـلات.. تحتـوي هـذه الصـكوك علـى رسـالة غـير موقعـة للبروفيسـور ريوكيتشـي سـاجاني.. عـالم الفيزيـاء النووية بجامعة طوكيـو الـذي درس مع ثلاثة من العلماء المسؤولين عن القنبلـة الذرية في جامعة كـاليفورنيا في بيركلي.. تَحُث تلك الرسالة البروفيسور أن يُعَرِّف الشعب بالمخاطر الكـامنة في استخدام أسـلحة الـدمار الشـامل هـذه.. عثـرت السـلطات العسـكرية علـى تلـك الرسـائل.. ولم يـتم تسـليمها إلى سـاجاني إلا بعـد مـرور شـهر كـامـل.. وفي عـام ١٩٤٩.. تقابل أحد كتّاب هذه الرسالة.. لويس الفـاريز.. مع سـاجاني.. ووَقَّع على الرسالة.

وفي الساعة الحادية عشر ودقيقة واحدة تمكـن الكـابتن كيرميت بيهـان مـن رؤية الهدف في آخر دقيقة من انكسـار السحب فوق ناجـازاكي فأسـقط علـى الفـور "الرجـل البـدين".. الـذي يحتـوي علـى ٦،٤ كيلـوجرام مـن البلوتونيـوم ٢٣٩ تلقفه الوادي الصناعي بالمدينة.. وبعد مـرور ثلاثـة وأربعـين ثانيـة.. انفجـرت القنبلـة

على ارتفاع ٤٦٩ متر فوق سطح الأرض.. تحديداً في منتصف المسافة بين شركة ميتسوبيشي للصلب والأسلحة في الجنوب ومصنع ميتسوبيشي Urakami للذخائر «التوربيدو» في الشمال.. وكان ذلك على بعد ٣ كيلومتر تقريباً شمال غرب المركز المخطط للسقوط فيه.. اقتصر الانفجار على وادي أوراكامي.. بينما حمت التلال جزء كبير من المدينة.. ووصلت قوة الانفجار إلى ما يعادل ٢١ كيلوطن من الـTNT وقُدِّرَت الطاقة الحرارية التي ولَّدَها الانفجار بـ٩٠٠ درجة مئوية «٧.ألف درجة فهرنهايت».. بينما بلغت قوة الرياح إلى ١٠٠٥ كم/ساعة .

وتراوح عدد الوفيات المباشرة بين ٤٠ : ٧٥.ألف شخص.. ووصل إجمالي عدد الوفيات بنهاية عام ١٩٤٥ إلى ٨٠ ألف شخص مات منهم ما لا يقل عن ثمانية من أسرى الحرب من جراء القصف.. وبلغ نصف قطر دائرة الدمار حوالي ميل كامل.. تلاه حرائق منتشرة في الجزء الشمالي من المدينة على بعد ميلين «٣ كم» من جنوب القنبلة.

وتم تدمير مصنع «ميتسوبيشي – أوراكامي» للذخائر أثناء القصف.. وكان ذلك المصنع ينتج الطوربيدات ٩١ التي هاجمت ميناء بيرل هاربور.

التخطيط لمزيد من الهجمات النووية على اليابان

كانت الولايات المتحدة تنوى استخدام المزيد من القنابل النووية الأخرى في الأسبوع الثالث من شهر أغسطس.. بالإضافة إلى ثلاثة آخرين في شهر سبتمبر.. وثلاثة قنابل إضافية في شهر أكتوبر.

وفي العاشر من شهر أغسطس.. أرسل الجنرال ليسلي غروفز.. المدير العسكري لمشروع مانهاتن.. مذكرة إلى الفريق أول جورج مارشيل.. رئيس أركان الجيش.. كتب فيها :

"ينبغي أن تكون القنبلة القادمة جاهزة للتسليم في أول فرصة يكون فيها الطقس مناسباً.. بعد السابع عشر أو الثامن عشر من شهر أغسطس".

وفي نفس اليوم.. وَقَّع المارشال على المُذكِّرة مُعلِّقًا : "لن يتم إطلاقها على اليابان إلا بإذن صريح من الرئيس."

وكان هناك بالفعل مناقشات في وزارة الحرب حول حفظ القنابل قيد الإنتاج حتى بداية الغزو المتوقع لليابان.. وبافتراض أن اليابان لن تستسلم.. فإن المشكلة الآن تكمن في إما مواصلة إسقاط القنابل واحدة واحدة.. أو إطلاقهم جميعاً في وقت قصير.. لن نطلقهم جميعاً في يوم واحد.. ولكن خلال فترة قصيرة. ويجب أيضاً أن نأخذ في الاعتبار الهدف الذي نسعى إليه.. وألا ينبغي علينا التركيز على الأهداف التي ستساعدنا على الغزو بقدر كبير.. بدلاً من الصناعة.. ورفع المعنويات.. وعلم النفس.. وما شابه؟ فاستخدام التكتيك خيرٌ من أي وسيلة أخرى.

استسلام اليابان واحتلالها

كان مجلس الحرب لا يزال مُصِرّاً على شروطه الأربعة للاستسلام حتى التاسع من شهر أغسطس.. وفي ذلك اليوم.. أمر هيروهيتو كيدو "بالسيطرة على الموقف بسرعة... وعلى حسب تعبيره "لأن الاتحاد السوفيتي أعلن الحرب علينا". ثم عقد مؤتمر إمبراطوري.. وكلّف الوزير توجو بإخطار الحلفاء بأن اليابان ستقبل شروطهم بشرط واحد: ألا يشمل الإعلان أي طلب تحيزي لصلاحيات جلالة الإمبراطور كحاكم سيادي".

وفي الثاني عشر من شهر أغسطس.. أبلغ الإمبراطور العائلة الإمبراطورية بقراره بالاستسلام. وسأله أحد أعمامه وهو الأمير «أساكا» عما إذا كانت الحرب ستستمر في حالة عدم القدرة على الحفاظ على كوكوتاي؟

وأجاب هيروهيتو ببساطة:

"بالطبع" بما أن شروط الحلفاء لن تمس مبدأ الحفاظ على العرش.. "

عموماً في يوم ١٤ أغسطس أعلن الإمبراطور الاستسلام.. وتم إعلانه رسمياً على الشعب الياباني في اليوم التالي.. بعده حدث تمرد محدود على يد العسكريين المعارضين للاستسلام.

وأشار هيروهيتو في إعلانه إلى:

"طالما يملك العدو سلاحاً جديداً.. ومريباً.. ويستطيع حصد العديد من الأرواح البريئة وتدمير البلاد.. فإذا استكملنا القتال.. سيؤدي ذلك إلى القضاء على

اليابانيين والحضارة الإنسانية ككل.. وبالتالي.. كيف لنا أن نحمى ملايين المواطنين من الموت المحتوم؟ ولذلك.. فقد قمنا بإعلان استسلامنا.

أما في "رسالته إلى الجنود والبحارة" التي سَلَّمَهَا في السابع عشر من شهر أغسطس.. شَدَّدَ الإمبراطور على أثر الغزو السوفيتي وعلى قراره بالاستسلام.. ولم يَذكُر أي شيء عن القنابل.

وفي السنة التالية للانفجارات.. احتل نحو ٤٠ ألف من القوات الأمريكية هيروشيما.. بينما احتل ٢٧ ألف جندي مدينة ناجازاكي.

لجنة ضحايا القنبلة النووية

إلى هنا لم تتوقف آثار المذبحة التاريخية الفظيعة التي قام بها أبناء العم سام.. فقد توالت الانعكاسات السلبية لذلك حتى على الجنود الأمريكيين أنفسهم.. ففي ربيع عام ١٩٤٨ تأسست لجنة ضحايا القنبلة النووية «ABCC» وفقاً لتوجيهات رئاسية من هاري ترومان إلى الأكاديمية الوطنية للعلوم والمجلس الوطني للبحوث.. لإجراء تحقيقات حول آثار الإشعاعات على الناجين من قصف هيروشيما وناجازاكي.. وتم العثور على العديد من الضحايا غير المقصودة.. بما في ذلك أسرى الحروب التابعين للحلفاء.. وكوريا.. والعمال الصينيين.. وطلاب من ملايو.. وحوالي ٣٢٠٠ مواطن أمريكي من أصل ياباني.

وكانت إحدى الدراسات الأولى التي أجرتها لجنة الـ ABCC عن نتائج حالات الحمل التي حدثت في هيروشيما وناجازاكي وفي مدينة كورى.. التي تقع على بعد ١٨ ميل «٢٩ كيلومتر» جنوب هيروشيما.. وذلك لتحديد الظروف والنتائج ذات الصلة بالتعرض للإشعاعات.. وزعم البعض بأن لجنة الـABCC لا يمكنها تقديم العلاج الطبي للناجين إلا في القدرات البحثية فقط.

وفي عام ١٩٧٥ تم إنشاء مؤسسة بحوث الآثار الإشعاعية لتحديد مسؤوليات لجنة الـ ABCC

هيباكوشا

سُمِيَ الضحايا الناجين من التفجيرات النووية بـ "هيباكوشا".. وهي كلمة يابانية تترجم حرفياً بمعنى"السكان المتضررين من الانفجار" وبلغ عددهم ما

يقرب من ٢٣٦ ألف ياباني[1] يعيش معظمهم في اليابان حوالي ١ ٪ منهم يعانون من أمراض ناجمة عن الإشعاعات.

كما احتوى النصب التذكاري الموجودة في هيروشيما وناجازاكي على قوائم بأسماء الضحايا الذين لقوا حتفهم منذ وقوع التفجيرات.. ويتم تحديثها سنوياً في ذكرى التفجيرات.. وسجلت النصب التذكارية في شهر أغسطس عام ٢٠٠٩ أسماء أكثر من ٤١٠ ألف قتيل في هيروشيما.. وحوالي مئة وخمسين ألفاً في ناجازاكي.

الناجين الكوريين

وخلال الحرب.. جلبت اليابان الكثير من المجندين الكوريين إلى هيروشيما وناجازاكي للعمل هناك.. ووفقاً للتقديرات الأخيرة.. قُتل حوالي ٢٠ ألف من الكوريين في هيروشيما.. ومات حوالي ٢٠ ألف في ناجازاكي.. كما أشارت التقديرات إلى أن واحداً من بين سبعة ضحايا في هيروشيما كانوا من أصل كوري.. ولسنوات عديدة.. قضى الكوريون وقتاً يقاتلون من أجل الاعتراف بهم كضحايا للقنبلة النووية.. وحُرِموا من الفوائد الصحية. ومع ذلك.. تم حل النزاع في معظم القضايا من خلال الدعاوى القضائية في السنوات الأخيرة.

الضحية المزدوج

وفي الرابع والعشرين من شهر مارس لعام ٢٠٠٩ ذكرت الحكومة اليابانية بأن مواطنها الذي يدعى "تسوتومو ياماجوتشي" حالة فريدة حيث كان على بعد ٣ كيلومترات من نقطة الانفجار في مدينة هيروشيما أثناء قيامه برحلة عمل خاصة هناك.. وأصيب بحروق خطيرة على جانبه الأيسر.. فأمضى الليل في مدينة هيروشيما.. ثم عاد إلى منزله في مدينة ناجازاكي في الثامن من شهر أغسطس.. أي قبل انفجار القنبلة في ناجازاكي بيومٍ واحد ليعيش نفس المأساة مرةً ثانية.. وهو أول ناجي مؤكد من التفجيرين.

---

(١) تحديداً ٢٣٥،٥٦٩ مواطن وذلك في بيان للحكومة اليابانية أُعلِنَ يوم الحادي والثلاثين من شهر مارس لعام ٢٠٠٩.

الفصل الخامس



مذابح العم سام.. في براري فيتنام!!



في كتابه «التاريخ الشعبى للولايات المتحدة» وتحت عنوان «فيتنام.. النصر

الأمريكي" هوارد زن إن "تاريخ بلاده الأسود.. وهذه المرة يحدثنا عن "غزو بلاده

لفيتنام ابتداءً من عام ١٩٦٤ حتى تقلص الغزو الأمريكي عام ١٩٧٢ واصفاً إياه بقوله:

"لقد قامت أعتى وأقوى دولة في التاريخ ببذل أكبر جهد عسكري لم تنقصه سوى القنابل النووية لكي تهزم حركة ثورية قومية في بلد زراعي صغير وفشلت".

مضى موضحاً أنه "عندما حاربت الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام كانت تمثل التكنولوجيا الحديثة المنظمة.. في مقابل البشر المنظمين وانتصر البشر".

ونعود للوراء قليلاً لنجد أن حرب فيتنام أو"الحرب الهندو- صينية الثانية" بدأت كصراع داخلي بين شطري الدولة الفيتنامية الواحدة.. كالتالي:

- شمالاً.. أو ما يُعرف بجمهورية فيتنام الديموقراطية «الشمالية».. متحالفة مع جبهة التحرير الوطنية.. ومن وراءهم الصين والاتحاد السوفييتي اللذان كانا يمدان فيتنام الشمالية والفيت كونج بالأسلحة والإمدادات.
- وجنوباً ضد جمهورية فيتنام «الجنوبية» ومن وراءها حلفائها التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية واحدةً منهم.. وترسل إليهم دوماً مستشارين مدنيين وعسكريين لفيتنام الجنوبية.. وكان هناك دول أخرى بجانب الولايات المتحدة متحالفة مع فيتنام الجنوبية.. مثل كوريا الجنوبية.. وتايلاند.. وأستراليا.. ونيوزيلندا.. والفلبين..

واستمرت عجلة الحرب بين الطرفين الأساسيين.. ومن وراءهم خلال الفترة من١٣ سبتمبر ١٩٥٦ إلى ١٧ يونيو ١٩٧٥ وكانت بدايتها كالتالي:

في عام ١٩٥٧ بدأت قوات «الفيت منه»[1] في الجنوب في التمرد على حكومة ديم.. وقد عُرف هؤلاء بالفيت كونج..

وفي عام ١٩٥٩ أعلنت فيتنام الشمالية تأييدها لهذه الفئة وأمرتها بشن كفاح شامل ضد حكومتها..

وفي عام ١٩٦٠ شكل الثوار جبهة التحرير الوطنية التي أوكلت إليها مهمة قيادة الثورة.. ورويداً رويداً تشعبت الحرب وازدادت ضراوة..

وبحلول عام ١٩٦٥ بدأت أمريكا في إرسال قوات عسكرية.. وشن غارات جوية على فيتنام الشمالية.. واستمر التورط الأمريكي في هذه الحرب حتى عام ١٩٧٣.

وانتهي الغزو الأمريكي في ١٧ يونيو ١٩٧٥ باتحاد فيتنام الشمالية والجنوبية.

أسباب اندلاع الحرب

شكلت كل من فيتنام.. ولاوس.. وكمبوديا مستعمرة الهند الصينية الفرنسية.. وذلك بداية من أواخر القرن التاسع عشر إلى الأربعينيات من القرن العشرين.. واحتلت اليابان الهند الصينية خلال معظم فترة الحرب العالمية الثانية.. فانتهز الثوار الفيتناميون فرصة هزيمة اليابان واحتلوا هانوي عاصمة البلاد مرغمين الإمبراطور الفيتنامي (باو داي) على التنحي عن الحكم.. وحاولت فرنسا إعادة سيطرتها على الهند الصينية بعد هزيمة اليابان في عام ١٩٤٥ ولكن "هو شي منه"[2].. وهو ثائر فيتنامي شيوعي.. نظّم ثورة في فيتنام الشمالية وأعلن استقلال فيتنام.

حاربت فرنسا ضد الفيت منّه.. التابع لـ "هو شي منه".. لمدة ثماني سنوات من «١٩٤٦ إلى ١٩٥٤» لكنها هُزمت عام ١٩٥٤ بعد معركة "ديان بيان فو".. ووقعت اتفاقية سلام في جنيف بسويسرا في عام ١٩٥٤ بحضور وفدي فيتنام ووفود فرنسا.. وبريطانيا.. والاتحاد السوفيتي.. والصين الشعبية.. والولايات المتحدة..

(١) هذا هو المسمى المتعارف عليه للحلف الثوري لاستقلال فيتنام.

(٢) نتحدث عنه بتفاصيل أكثر في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان).

ولاوس.. وكمبوديا.. وقضت الاتفاقية بتقسيم مؤقت لفيتنام إلى شطرين يفصل بينهما خط عرض ١٧ ولكنها نادت بانتخابات على مستوى الدولة في عام ١٩٥٦ لإعادة توحيد البلاد.. ورغم حضور الطرفين في جنيف فإن الولايات المتحدة وحكومة سايجون الموالية لها لم توقعا على الاتفاق.. وفور رحيل فرنسا من فيتنام بدأت الولايات المتحدة تساعد حكومة سايجون عسكرياً.

حكومة شيوعية

شكل "هوشي منّه" حكومة شيوعية في فيتنام الشمالية.. وفي ٢٤ أكتوبر ١٩٥٤ منح الرئيس الأمريكي أيزنهاور مساعدة مالية سخية لحكومة سايجون ظلت تتزايد مع الزمن.. كما بدأ المستشارون العسكريون الأمريكيون يتوافدون على فيتنام الجنوبية بدءاً من فبراير ١٩٥٥من أجل تدريب الجنود هناك.

وفي ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥ ظهرت أول حكومة في فيتنام الجنوبية منتخبة بقيادة "نيجو دينه ديم".. وكان أول قرار اتخذته حكومته هو الامتناع عن أي استفتاء من شأنه أن يؤدي إلى اتحاد الشطرين الفيتناميين.. مبررة ذلك بعدم حرية السكان في الجزء الشمالي.

لابد من توحيد البلاد

ظلت أمريكا تساند حكومة ديم.. في حين كانت حكومة هانوي الشيوعية في شمال فيتنام مصممة على توحيد شطري البلاد.. وفي يناير ١٩٥٧ أعلنت اللجنة الدولية المكلفة بمراقبة اتفاق جنيف بين طرفي النزاع الفيتنامي.. أن كلا الجانبين يخرق الاتفاقيات الحدودية باستمرار.. فقد شجع الشماليون العناصر الشيوعية الجنوبية على التغلغل في الجنوب انطلاقاً من حدودها.. كما لم يتورع الجنوبيون عن تجاوز تلك الحدود وهم يتعقبون ويطاردون أولئك الثوار.

وفي فبراير ١٩٥٩ أسس الثوار الجنوبيون "فيت كونج" وهي أول منظمة في دلتا نهر ميكونج.

وفي ١٠ ديسمبر ١٩٦٠ تم تأسيس جبهة التحرير الوطني.. وهي الإطار التنظيمي السياسي والعسكري الذي سيتولى مهمة الحرب ضد أمريكا وحكومة سايجون.

إعلان قانون الطوارئ

فما كان من الرئيس الجنوبي ديم إلا أن أعلن قانون الطوارئ.. وتأجج الصراع وبلغ مداه حين أعلن الحزب الشيوعي الفيتنامي الحاكم في الشمال مساندة الثورة الجنوبية وإمدادها بالعدة والعتاد عبر لاوس وكمبوديا.. وعُرفت شبكة الطرق والممرات هذه بممر هوشي منّه.

التدخل الأمريكي

أعلنت الولايات المتحدة وقوفها التام خلف حكومة سايجون.. بل أن الرئيس الأمريكي «جون كيندى»[1] وقع معاهدة صداقة وتعاون اقتصادي بين بلاده وفيتنام الجنوبية في أبريل ١٩٦١ وفي ديسمبر من نفس السنة.. أعلن كينيدي عزمه مساعدة حكومة الرئيس ديم اقتصادياً وعسكرياً.. فوصلت طلائع الجيش الأمريكي إلى سايجون وكانت في البداية ٤٠٠ جندي كانت مهمتها وقتئذ قاصرة على تشغيل المروحيات العسكرية.

وفي السنة التالية.. بلغ عدد الجنود الأمريكيين في فيتنام الجنوبية ١١ ألف جندي.. كما أسست قيادة أمريكية في سايجون اعتباراً من يناير ١٩٦٢ وفي عام ١٩٦٣ أصبح هناك أكثر من ١٦ ألف مستشار عسكري أمريكي في فيتنام الجنوبية.

وقام الأمريكيون وحلفاؤهم الجنوبيون بقطع تواصل جبهة التحرير الوطني مع قواعدها عبر إقامة بعض القرى للمزارعين الموالين لحكومة الرئيس ديم.

ولم تنته سنة ١٩٦٣ حتى بلغ عدد تلك القرى سبعة آلاف تضم ثمانية ملايين شخص.. غير أن هذه الدروع البشرية أو الحواجز السكانية لم تمنع ثوار جبهة التحرير من السيطرة على ٥٠٪ من أرض فيتنام الجنوبية.

هل تورطت أمريكا في تصفية الرئيس ديم؟

---

(١) جون كينيدي هو رئيس الولايات المتحدة الخامس والثلاثين. تولى الرئاسة خلفاً للرئيس دوايت أيزنهاور وقد خلفه نائبه ليندون جونسون وُلِدَ في ٢٩ مايو.. ١٩١٧ وتوفي مقتولاً في ٢٢ نوفمبر.. ١٩٦٣ في دلاس.. تكساس.. قاتله كان يدعى لي هاري اوسولد..

لم تكن سياسات الرئيس ديم قادرة على تنظيم البيت الداخلي في الجنوب الفيتنامي.. فقد عارضه السياسيون ذوو النزعة الليبرالية لديكتاتوريته.. كما عارضه البوذيون لميوله الكاثوليكية.. وبناءاً على ذلك أطيح به في أول نوفمبر ١٩٦٣ في انقلاب عسكري.. بل وتم تصفيته جسدياً في ظروف غامضة.. وترى كثير من المصادر أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عما جرى له ولنظامه.

وفي عام ١٩٦٤ كانت وحدات الجيش الفيتنامي الشمالي تعمل في الجنوب.. وسيطر الفيت كونج على نحو ٧٥ ٪ من سكان فيتنام الجنوبية.

ادعاءات جونسون غير المؤكدة

في أغسطس من عام ١٩٦٤ أعلن رئيس الولايات المتحدة «ليندون جونسون»[١] أن مدمرتين أمريكيتين قد هوجمتا في خليج تونكن.. بعيداً عن ساحل فيتنام الشمالية.. ارتاب بعض الأمريكيين في أن يكون الهجوم قد حدث.. ولم يؤكد الهجوم فيما بعد على الإطلاق.. ولكن الرئيس جونسون أمر بهجمات جوية أمريكية ضد فيتنام الشمالية.

عشر حكومات عسكرية متعاقبة

وخلال الـ ١٨ شهرا التالية للإطاحة بالرئيس ديم.. عرفت سايجون عشر حكومات عسكرية متعاقبة لم تستطع أي منها ضبط النظام وخاصة العسكري.. واستغل ثوار جبهة التحرير الوضع المتأزم في الجنوب.. فشنوا الهجمات لإضعاف حكومات سايجون الضعيفة أصلاً.

---

(١) بينيس جونسون «٢٧ اغسطس ١٩٠٨ - ٢٢ يناير ١٩٧٣» هو الرئيس السادس والثلاثين للولايات المتحدة «١٩٦٣ - ١٩٦٩» تولى الرئاسة بعد عمله لفترة طويلة بالكونجرس الأمريكي.. وأصبح نائب الرئيس رقم «٣٧» ونجح في تولى الرئاسة بعد اغتيال جون كينيدي.. كان من أهم قادة الحزب الديموقراطي والمسئول عن تصميم المجتمع العظيم وذلك بإصداره تشريعات ليبرالية من ضمنها قانون الحقوق المدنية وميديكير «الرعاية الصحية لكبار السن» وميديكيد «الرعاية الصحية للفقراء» والمعاونة على التعليم والحرب على الفقر.. وفي نفس الوقت زاد من التدخل الأمريكي في حرب فييتنام من ١٦٠٠٠ جندي أمريكي عام ١٩٦٣ إلى ٥٥٠٠٠٠ جندى في أوائل عام ١٩٦٨ تم انتخابه كرئيس عام ١٩٦٤ بإكتساح.. ولكن تدهورت شعبيته بعد عام ١٩٦٦ وانهارت فرصه في الانتخابات نتيجة اضطرابات في حزبه واضطر للانسحاب من سباق الانتخابات وذلك عام ١٩٦٨ ركز على صنع السلام.. وكان معروفاً بشخصيته الاستبدادية ولوي ذراع الشخصيات السياسية القوية.

عرفت سايجون في صيف ١٩٦٤ مزيداً من الانشقاقات بين العسكريين الحاكمين.. وكذلك بين الطائفة البوذية المستاءة من التحكم الكاثوليكي في الحكم.. هذا فضلاً عن التقدم العسكري الملحوظ لجبهة التحرير الوطني.. وانطلاقاً من هذه العناصر وصل الاقتناع الأمريكي إلى أن تدخلاً عسكرياً شاملاً هو المخرج لهم من هذه الحالة.

بداية المذبحة

ومنذ فبراير ١٩٦٥ توالى القصف الأمريكي لفيتنام الشمالية..

وفي ٦ مارس.. تم أول إنزال للبحرية الأمريكية في جنوب دانانج.. وظل الوجود العسكري الأمريكي يزداد في فيتنام ليبلغ في نهاية ١٩٦٥ ما يناهز ٢٠٠ ألف جندي.. ثم وصل في صيف ١٩٦٨ إلى ٥٥٠ ألفا.. انضموا إلى نحو ٨٠٠ ألف من قوات فيتنام الجنوبية وما يقرب من ٦٩ ألف جندي من أستراليا ونيوزيلندا.. والفلبين.. وكوريا الجنوبية وتايلاند.. وظلت أمريكا تضغط على هانوي من أجل ترك دعم الثوار الجنوبيين.. غير أن الأخيرة كانت ترفض أي تفاوض مع الولايات المتحدة ما دامت مستمرة في قصفها المتواصل.

وعلى الرغم من تفوق الولايات المتحدة وحلفائها عددًا وعدة على الفيت كونج وفيتنام الشمالية وامتلاكهم لأسلحة أحدث.. إلا أنهم لم يحاولوا غزو فيتنام الشمالية.. واكتفوا بقصفها بالقنابل.. وتدمير المنشئات الأرضية.. وأدت الطائرات العمودية دروًا مهمًا في القتال.

التجميع القسري للسكان

لم تترك أمريكا أي وسيلة عسكرية للضغط على هانوي إلا استعملتها بدءاً بالتجميع القسري للسكان.. ومروراً بتصفية الثوار الشيوعيين الموجودين في الأرياف الجنوبية.. واستعمال طائرات B.52 لتحطيم الغطاء النباتي.. وانتهاء بتكثيف القصف للمدن والمواقع في الشمال الفيتنامي خاصة تلك الواقعة بين خطي العرض ١٧ و٢٠.

الفيتناميون صامدون

ومع ذلك لم يؤثر الرعب الأمريكي والآلة الحربية المتطورة في معنويات الفيتناميين.. ولا في مقاومتهم بل تفرقوا في الأرياف.. ومراكز الإنتاج الزراعي وازدادت فيهم معنويات المقاومة.. ولم تستطع أمريكا - رغم محاولاتها المستمرة- أن تقطع طريق "هو شي منه" الذي تمر منه الإمدادات نحو ثوار الجنوب.

ذروة المعارك

وفي أكتوبر ١٩٦٦ أعلنت أمريكا وحلفائها المشاركين بجنودهم في الحرب في مانيلا استعدادهم للانسحاب من فيتنام بعد ستة أشهر إذا ما خرجت فيتنام الشمالية من الحرب.. وهو إعلان رفضه الشماليون بصرامة.. ولم تثمر دعوة جونسون الزعيم السوفيتي كوسيجين إلى الضغط على هانوي لتنهي الحرب حين التقيا في يونيو ١٩٦٧ بل ظلت نيران الحرب مشتعلة.. فما كان من جونسون إلا أن أعلن عزمه زيادة الجنود الأمريكيين في فيتنام ليصل عددهم عام ١٩٦٨ إلى ٥٢٥ ألفا كما أصبح القصف الأمريكي للمواقع الشمالية قاب قوسين أو أدنى من الحدود الصينية.

العصا والجزرة

ولم تنفع سياسة العصا والجزرة مع الفيتناميين.. حيث لم تردعهم هجمات الولايات المتحدة المتكررة وقصفها المتواصل كما لم تغرهم دعوات جونسون للتفاوض.. فظلت الحرب مشتعلة وعدد الضحايا في ازدياد.

وظلت المعارك خلال الحرب الفيتنامية.. تدور في الجبال منتهجين استراتيجية حرب العصابات.. التي اتبعها الفيتناميون المتكيفون أصلاً مع الأوضاع الطبيعية والمناخية الصعبة.

هجوم "تيت"

وفي ١٩٦٨ أطلق الثوار الشيوعيون ما عرف بهجوم "تيت"[١] على مجموعة عمليات عسكرية شديدة استهدفت أكثر من مائة هدف حضري.. وقد استطاع

(١) الاحتفالات الفيتنامية بالعام الجديد يطلق عليها هناك «عيد التيت».

الثـوار أن يتغلغلـوا في الجنـوب حتـى بلغـوا عاصـمة الجنـوب سـايجون فتعـرض الأمريكيون للهجوم.

ومـع أن الثـوار الفيتنـاميين فقـدوا حـوالي ٨٥ ألـف شـخص فـإن التـأثير النفسـي للمعارك كان بالغ الأثر على الولايات المتحدة.

الاستياء الشعبي الأمريكي من الحرب

في ٣١ مـارس ١٩٦٨ أعلـن جونسـون وقـف القصـف الأمريكـي لشـمال فيتنـام.. كما أعلن في نفس الوقت تقدمه لولاية رئاسية ثانيـة.. وفي منتصف مـايو ١٩٦٨ بدأت المفاوضات بين الفيتناميين والأمريكيين في باريس.

لم يكد نيكسون ينجح في انتخابات رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ حتى أعلن أن ٢٥ ألف جندي أمريكي سيغادرون فيتنام في أغسطس ١٩٦٩ وأن ٦٥ ألفا آخرين سيجري عليهم نفس القرار في نهاية تلك السنة..

غير أن الانسحاب الأمريكي من فيتنام.. وموت الزعيم الشمالي "هو شي منه" يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٩ أوقفا الحرب الضارية.. وشهدت مفاوضات باريس تصلب الفيتناميين الذين طالبوا وبإلحاح بضرورة الانسحاب الأمريكي التام كشرط أساسي لوقف إطلاق النار.

مذابح يندى لها الجبين

ومع ما تكبدته أمريكا من خسائر بشرية ومادية.. انقسم الناس في الولايات المتحدة بسبب تورط بلادهم في الحرب.. والممارسات البشعة وغير الإنسانية التي عامل بها الجيش الأمريكي المواطنين الفيتناميين.. لدرجة اتهام قوات الولايات المتحدة باستخدام مبيدات الحشائش لتجريد مناطق شاسعة من الأدغال الفيتنامية من أوراقها.. ومن أشهر تلك المظاهر الوحشية:

مذبحة قرية ماى لاي



صورة ضحايا مي لاي

ففي في صبيحة يوم ١٦ مارس ١٩٦٨ قام ملازم أمريكي يدعى ويليام كايلي وجنوده بتطويق قرية ماي لاي.. ثم قام بجمع القرويين العُزل.. وأمر بإضرام النار في بيوتهم وقتل كافة السكان.

يومها لقى ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ مدني مصرعهم في هذه المجزرة التي تواصلت حتى اكتشفها إثنان من المقاومة كانا يحلقان فوق المنطقة فتدخلا لإيقاف العملية.

وبعد مرور عام على تلك الأحداث قام الجندي رينولد ريدنهاور ببعث رسائل إلى عدة شخصيات ومؤسسات رسمية مبلغاً بذلك عن ملازمه.. وفي يوم ٢٠ نوفمبر قامت وسائل الإعلام بكشف القضية وبنشر صور الضحايا.

فأُقيمت محكمة عسكرية أقرت بالحكم على (ويليام كايلي) بالسجن مدى الحياة غير أنه تم إطلاق سراحه بعد ٥ سنوات عندما منحه الرئيس نيكسون عفواً خاصاً سنة ١٩٧٤.

وفي ٢٥ يناير ١٩٧٢ أعلن نيكسون طبيعة المفاوضات الأمريكية الفيتنامية وما قدمته الإدارة الأمريكية بشكل سري للفيتناميين.. كما كشف اللثام عن مخطط جديد للسلام مكون من ثماني نقاط بينها إجراء انتخابات رئاسية في الجزء الجنوبي من فيتنام.

أما فيتنام الشمالية فكان مخططها للسلام يقوم على ضرورة تنحي الرئيس الفيتنامي الجنوبي "تيو" عن السلطة كشرط أساسي للسلام.. والامتناع عن تسليم الأسرى الأمريكيين إلا بعد تنازل الولايات المتحدة عن مساندة حكومة سايجون.

مفاوضات سرية

ثم أخذت الحرب منحى خطيراً حين قامت فيتنام الشمالية يوم ٣٠ مارس ١٩٧٢ بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة "كانج تري" متجاوزة بذلك المنطقة المنزوعة السلاح.. وكان رد الفعل الأمريكي مزيداً من القصف الجوي.. وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت المفاوضات السرية بين الطرفين.. حيث اجتمع مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي يومها «هنري كيسنجر»[1] بمندوب فيتنام الشمالية دوك تو.

قصف هانوي وهايبونج

ووسط انتعاش الآمال بالوصول إلى حل نهائي.. وفي محاولة للضغط على الفيتناميين وكسب انتصارات ميدانية تقوي من موقفه.. أمر الرئيس نيكسون يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ بقصف هانوي وهايبونج.. وهوالميناء الرئيسي في فيتنام الشمالية.. فصبت طائرات بي ٥٢ نيرانها على المدينتين في قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيراً له.. وفقدت أمريكا ١٥ من هذه الطائرات.. كما فقدت ٩٣ ضابطاً من سلاح الطيران الأمريكي.

(١) هنري ألفريد كسنجر والأصح هاينز ألفريد كسنجر باحث سياسي أمريكي وسياسي وُلِدَ في في ولاية فورث بألمانيا في «٢٧ مايو ١٩٢٣ » كان أبوه معلماً.. وبسبب أصله اليهودي هرب هو وأهله في عام ١٩٣٨ من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً من النازيين الألمان.. ثم حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٨ والتحق بالجيش في نفس العام.. شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٧ وكان مستشار الأمن القومي في حكومة ريتشارد نيكسون.. لعب دوراً بارزاً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة مثل سياسة الإنفتاح على الصين وزيارته المكوكية بين العرب وإسرائيل والتي انتهت باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨.

وقف إطلاق النار

أعلن في ٢٣ يناير ١٩٧٣ عن التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار الذي دخل حيز التنفيذ يوم ٢٨ من نفس الشهر.. وتضمن الاتفاق التالي:

١- توقف جميع أنواع العداء.

٢- انسحاب القوات الأمريكية من جنوب فيتنام خلال الشهرين التاليين لتوقيع الاتفاق.

٣- وإطلاق سراح الأسرى من الطرفين خلال ١٥ يوماً من التوقيع.

٤- الاعتراف بالمنطقة المنزوعة السلاح بين الشطرين على أنها مؤقتة لا أنها حدود سياسية.

٥- إنشاء لجنة دولية «مكونة من ممثلين عن كندا والمجر وإندونيسيا وبولندا» مكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاق.

٦- بقاء ١٤٥ ألف جندي من شمال فيتنام في الجنوب.

ولم ينته مارس ١٩٧٣ حتى غادر آخر جندي أمريكي فيتنام.

غير أن فضيحة ووترجيت التي أجبرت نيكسون على الاستقالة في ٩ أغسطس ١٩٧٤جعلت أمريكا غير قادرة على مساندة حكومة سايجون.. فانتهز الشماليون فرصة انشغال واشنطن بـ "ووترجيت" ومعاداة الرئيس الفيتنامي الجنوبي تيو للشيوعيين الجنوبيين.. فشنوا هجوماً كاسحاً على الجنوب محتلين مدينة فيوك بنه في يناير ١٩٧٥ وتابعوا هجومهم الكاسح الذي توج بدخول سايجون يوم ٣٠ إبريل من نفس السنة.

كشف حساب المذابح الأمريكية في فيتنام

قُدرت خسائر الفيتناميين خلال الحرب بالأرقام التالية:

- ٢ مليون قتيل..
- ٣ مليون جريح..

- ١٢ مليون لاجئ..

أما الأمريكيون فقدرت خسائرهم بـ:

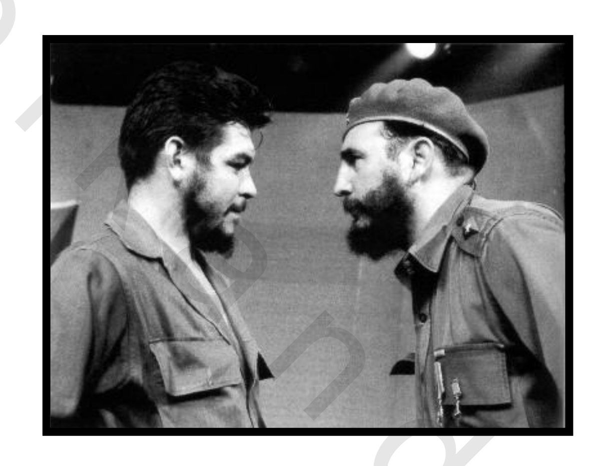
- ٥٧ ألف قتيل..
- ١٥٣ ألف و٣٠٣جريح..
- ٥٨٧ أسيراً بين مدني وعسكري وقد تم إطلاق سراحهم..

من أهم نتائج تلك الحرب

جعلت الحرب لفيتنام الشمالية نفوذًا حاضراً في جنوب شرقي آسيا.. وساعدتها في تشكيل حكومات شيوعية في لاوس وكمبوديا في عام ١٩٧٥ وفي عام ١٩٧٦ استطاعت أن توحِّد شمالي وجنوبي فيتنام في دولة فيتنامية واحدة.. وأعادت فيتنام ببطء بناء اقتصادها.. واستأنفت بعض العلاقات مع الغرب.. كانت لحرب فيتنام آثار بعيدة المدى على الولايات المتحدة.. فهي الحرب الخارجية الأولى التي فشلت الولايات المتحدة في أن تحقق فيها أهدافها.. وما زال الأمريكيون إلى اليوم منقسمين بسبب القضايا الرئيسية للحرب.. وعما إذا كان يجب على بلدهم أن تتورط فيها أم لا.



الفصل السادس



THE BLACK REPORT OF USA

أمريكا.. وكوبا..

وما صنع الحداد!! !!

جمعت المصالح المشتركة الولايات المتحدة الأمريكية وكوبا قبل ظهور الحركات الاستقلالية في كليهما.. فلطالما اقترحت الأولى شراء جزيرة كوبا في عديد من المرات.. وسرعان ما اكتسبت الولايات المتحدة الأمريكية مكانة نافذة اقتصادياً وسياسياً في هذه الجزيرة.. حيث كان لها نصيب الأسد من الاستثمارات الخارجية هناك.. كما أنها كانت تسيطر على مجموع الصادرات والواردات فيها.. وأيضاً كانت داعماً أساسياً لعلاقاتها السياسية.. ثم تدهورت العلاقات بشكل جذري عقب الثورة الكوبية عام ١٩٥٩ واتسمت بالكثير من الحساسية والتوتر[1].

مشكلة جوانتانامو

وبالرغم من التوتر الحادث في العلاقات بين الدولتين ما زالت الولايات المتحدة الأمريكية تدير قاعدة بحرية في خليج جوانتانامو في شبه جزيرة «جوانتانامو» التابعة لكوبا.. والتي لا تزال محل خلاف بين البلدين منذ استقلال كوبا عام ١٩٠٢.

وعلى مدار العقود اللاحقة على الثورة الكوبية.. وحتى اليوم يُنظر دولياً للبلدين باعتبارهما ألد الأعداء في الخريطة السياسية للعالم.. وكان للولايات المتحدة باعٌ طويل في التسبب لكوبا في العديد من المشاكل.. بعضها تطور للمواجهة العسكرية وأسفر عن سقوط الألاف من الضحايا كان لكوبا النصيب الأكبر منها.. وبعضها كانت مواجهات مخابراتية استهدفت في المقام الأول تصفية الثورة الكوبية.. واغتيال رمزها الأكبر والباقي «فيدل كاسترو»[2].. بعد أن تمكنت من اغتيال رفيق دربه.. وكفاحه "أرنستو تشي

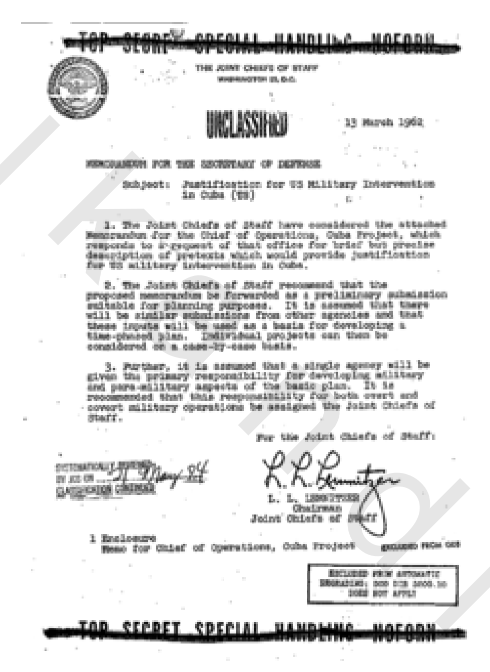
(١) في الوقت الحالي لا تقيم الولايات المتحدة الأمريكية أية علاقات دبلوماسية مع كوبا.. بل أنها فرضت حظراً اقتصادياً يحرم عليها التعامل مع المتاجرة والتعاون مع كوبا.. هذا وتتولى دائرة المصالح الأمريكية في هافانا مسألة التمثيل الدبلوماسي.. وتعادلها دائرة للمصالح الكوبية هناك في العاصمة واشنطن.. وكلا الدائرتين يتبعان للسفارتين السويسرية في البلدين.

(٢) نتحدث عن كاسترو باستفاضة في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان).

جيفارا" الثائر الأشهر في تاريخ الثورة في كل بقاع العالم.. والذي تحول بمرور الزمن إلى أيقونة[1] ثورية أسطورية.

عملية نورثوود

لعل من أبرز المواجهات بين الجانبين هو ما يعرف بـ "عملية نورثوود" وهي خطة عسكرية أمريكية سرية[2] وضعت من قبل قيادة أركان الجيش الأمريكي سنة ١٩٦٢ ووافق عليها في حينه الرئيس الأمريكي كينيدي.



~~TOP SECRET SPECIAL HANDLING NOFORN~~

THE JOINT CHIEFS OF STAFF
WASHINGTON 25, D.C.

UNCLASSIFIED

13 March 1962

MEMORANDUM FOR THE SECRETARY OF DEFENSE

Subject: Justification for US Military Intervention in Cuba (TS)

1. The Joint Chiefs of Staff have considered the attached Memorandum for the Chief of Operations, Cuba Project, which responds to a request of that office for brief but precise description of pretexts which would provide justification for US military intervention in Cuba.

2. The Joint Chiefs of Staff recommend that the proposed memorandum be forwarded as a preliminary submission suitable for planning purposes. It is assumed that there will be similar submissions from other agencies and that these inputs will be used as a basis for developing a time-phased plan. Individual projects can then be considered on a case-by-case basis.

3. Further, it is assumed that a single agency will be given the primary responsibility for developing military and para-military aspects of the basic plan. It is recommended that this responsibility for both overt and covert military operations be assigned the Joint Chiefs of Staff.

For the Joint Chiefs of Staff:

L. L. LEMNITZER
Chairman
Joint Chiefs of Staff

1 Enclosure
Memo for Chief of Operations, Cuba Project

EXCLUDED FROM AUTOMATIC REGRADING; DOD DIR 5200.10 DOES NOT APPLY

~~TOP SECRET SPECIAL HANDLING NOFORN~~

إحدى وثائق المذكرة

فحوى هذه المذكرة هي خطة تقوم فيها الحكومة الأمريكية بضرب بعض مصالحها في الداخل والخارج وإلصاق التهمة بكوبا لحشد التأييد الجماهيري لغزو كوبا.. وكانت الخطة تحتوي على عدة اقتراحات كخطف أو تفجير طائرات ركاب أو تفجير قواعد عسكرية أمريكية وإلصاق التهمة بكوبا.

---

(١) الأيقونة هي كلمة دارجة تعنى الرمز الذي يتفاعل به الناس.

(٢) بعد فترة تكتم دامت أكثر من ٣٠ سنة تقريباً كشفت الوثيقة للعموم عن طريق جهود منظمة Freedom of Information Act في ١٩٩٨.

مذبحة خليج الخنازير
Bay of Pigs Invasion



تسميها المصادر التاريخية بعملية "غزو" ونراها نحن إحدى مذابح أبناء العم سام القاسية.. كانت محاولة فاشلة من جانب القوات التي دربتها وكالة المخابرات المركزية من الكوبيين المنفيين لغزو جنوب كوبا وقلب النظام على فيدل كاسترو.

البداية

بداية التخطيط لتلك الحادثة في ١٧ مارس ١٩٦٠ عندما وافق الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور علي اقتراح «C.I.A» بدعم المعارضة الكوبية ضد النظام الشيوعي الجديد في كوبا بزعامة كاسترو.. ويبدو أن الأمريكيين استبعدوا من توقعاتهم نجاح المعارضة في ذلك نظراً لتجاربهم السابقة في ذلك..

العملية Zapata

وقاموا بتدريب قوات المعارضة الكوبية بجواتيمالا.. وتم تشكيل ما يسمي باللواء ٢٥٠٦ وتم إعطاء اسم كودي للعملية هو Zapata وكلف مدير المخابرات الأمريكي آنذاك" ألن دالاس" بتولي مسئولية العملية.. ولكن أنباء تلك الخطة وصلت إلى الكوبيين عن طريق شبكة عملائهم السرية والمخابرات السوفيتية الـK.G.B.

كانت تقوم العملية على إنزال قوات الكوماندوز التابعة لـ C.I.A وهي قوات مُشَكلة من المرتزقة المأجورين ومن العناصر المضادة للثورة الشعبية في كوبا

وقد تم تدريب هذه العناصر على أيد C.I.A في جواتيمالا وكانت هذه العملية تقوم على إنزال عدد كبير من هؤلاء الجنود في ترينيداد في الصباح الباكر.. ولكن جرى تعديل على هذه الخطة ليتم الإنزال في خليج كوتشينوس غربي ترينيداد ليلاً بسبب أن خليج كوتشينوس أقل تعداداً من ناحية السكان.. وأصغر مساحة من ترينيداد.. وكون المنطقة أكثر ملائمة لعمليات الإنزال.. وبحسب توقعات قادة الـ C.I.A فإن أعداداً كبيرة من المواطنين الكوبيين سيقدمون الدعم لقوات المرتزقة الأمريكية.. وأن دعم العملية سيأتي من الداخل والخارج على حد سواء.

كان مخطط العملية يقوم على البدء بضرب أهم القواعد الجوية الكوبية قبل يومين من عملية الإنزال بطائرات تحمل إشارة الطيران الحربي الكوبي.. ويقودها طيارون كوبيون.. وتوجه ضربة ثالثة لهذه القواعد الجوية في صبيحة يوم الإنزال بهدف شل حركة الطيران الكوبي.. وتمهيد الطريق للتدخل.. ومن ثم ضرب الجسور البرية والحديدية في هافانا والمناطق المجاورة.. فضلت أمريكا في تلك الفترة البقاء بعيدة عن أضواء العملية والتظاهر بأن العملية منظمة من قبل القوات المسلحة الكوبية وليست بتوجيه من الخارج.

كان من المفترض أن تنطلق الطائرات من «القاعدة» الجوية الأمريكية في «نيكاراجوا» وأن يتم التمويه لإنطلاقها أمام وسائل الإعلام.. وفي ١٥ أبريل بدأ الهجوم السابق للإنزال بالقاذفات الأمريكية B-26 على مطارات كوبا وأحياء الهافانا وسانتياجو والعديد من المناطق المجاورة بدت الغارة الأولى وكأنها نجحت في تحقيق هدفها كما ظن قادة العملية ولكن في الحقيقة قبيل العملية كانت قيادة الجيش الثوري في كوبا قد غيرت مواقع العديد من الطائرات إلى مطارات احتياطية.

رغم أن الطيارَين الذَين قاما بالغارة الأولى قد نفذا الخطة كما رُسمت لهما فبعد الغارة عادا إلى مطاري «كي ويست ميامي» والإدعاء بأنهما قد هربا من القوات الحربية الجوية الكوبية وانضما إلى القوى المعادية للثورة.

عناد كينيدي

ورغم إخفاق العملية في أولى غاراتها إلا أن الرئيس الأمريكي كينيدي لم يلغ خطة الإنزال.. بل أصدر قراراً باستمرار العملية.. وبدأ الإنزال من السفن المتواجدة على شواطئ كوبا:

- هيوستون..
- ليك تشارلز..
- ريو ايسكونديدو
- كاريبه اتلانتيكو..

بدأ الإنزال ليلاً واستمر حتى فجر ١٧ أبريل.. وبعد إنجاز الإنزال انتشر المئات من المرتزقة على الشواطئ.. واتجهوا إلى الداخل حيث تصدت لهم الميليشيات الشعبية التي قاومت بعنف في محاولة لمنع هذه المجموعات من التقدم وكسب الوقت لحين قدوم قوات الجيش الثوري.

قامت ٤ طائرات[(١)] بنقل ١٥١١ من عناصر المعارضة الكوبية المدربين جيداً وتم إنزالهم في خليج الخنازير علي الساحل الجنوبي لكوبا وكان بحوزتهم طائرتي[(٢)] LCIs وبها تجهيزات وتعيينات للعملية.

بعد ساعتين من الإنزال قامت ٥ طائرات C-46 وطائرة C-45 بإنزال ١٧٧ مظلي من اللواء ٢٥٠٦ بمنطقة هور كواتا.. وفي الوقت نفسه تم إنزال مجموعة أخرى إلي منطقة جيرون لضمان السيطرة علي الطريق من سان بلاس حتي جيرون.. وتمكنت مجموعات التدخل من التغلغل لعدة كيلومترات داخل الجزيرة.. واستطاعت السيطرة على عدد من المواقع المهمة على الجزيرة.. ولكن

(١) هذه الطائرات حملت أسماء Houston Rio Escondido.. Caribe.. and Atlantico.

(٢) هذه الطائرات حملت أسماء تحمل أسماء Blagar and Barbara.

سرعة ودقة القيادة الرئيسية للقوات المسلحة الثورية في كوبا كانت أقوى.. إذ استطاعت إيقاف تقدم المرتزقة الأمريكان والاستيلاء على المواقع المحتلة من قبل هذه المجموعات.

أسلحة محرمة دولياً

وفي يوم ١٨ أبريل تم شن غارات جوية من ٦ طائرات B-26 ضد مواقع الميليشيا الكوبية.. واستخدمت خلالها القنابل والصواريخ والنابالم المحرم استخدامه دولياً.. وأحدثت إصابات عديدة تقرب من ١٨٠٠ إصابة.

وفي الساعة ٨ صباحاً كانت قدرات الميليشيا الكوبية تتزايد وتتدفق عليهم المدفعية والدبابات وعانت قوات اللواء ٢٥٠٦ من إصابات جسيمة وذلك أثناء محاولات الميليشيات الكوبية زحزحتهم نحو الشاطئ.

الهجوم

في يوم الهجوم في ١٩ أبريل تم القيام بآخر الغارات الجوية وسميت Mad Dog Flight من ٤ طائرات B-26 ولكن الكوبيون أسقطوا طائرتين منها وقتل ٤ أمريكيين..

ثم تم إسقاط طائرة B-26 أخرى في منطقة جيرون..

ومع ظروف غياب الدعم الجوي.. ونفاذ الذخيرة انسحبت قوات اللواء ٢٥٠٦ إلي الشاطئ.. وقامت سفن الدعم القريبة من الشاطئ بمحاولة إخلاء تلك القوات.. إلا أنها لم تتمكن من ذلك.. وانتهت بذلك عملية خليج كوتشينوس «أو خليج الخنازير» بالفشل الأمريكي الذريع.. واستطاع الجيش الثوري الكوبي أسر ١١٧٩ شخصاً من مجموعات الإنزال.. والاستيلاء على خمس دبابات ثقيلة «شيرمان».. وعشرات من الأسلحة الفردية.. وثمانية رشاشات ثقيلة.. والكثير من الرشاشات.. والأسلحة المضادة للطائرات.. وعشر سيارات نقل عسكرية.. وتم إغراق أربع سفن.. وإسقاط ١٢ طائرة قاذفة.. وبالتحقيق مع الأسرى تبين أنهم جميعاً من أنصار باتيستا الزعيم الكوبي السابق.. وصرحوا جميعاً بأن

الاستخبارات الأمريكية قد دربتهم.. وكان فشل العملية صدمة حقيقية للقيادة الأمريكية وللرئيس الأمريكي جون كينيدي ذاته.

ردود الأفعال

لم تنجح «C.I.A» بالتستر على اشتراكها في العملية فقد صرّح وزير الخارجية الكوبي «راؤول روا» في الجلسة السياسية الخاصة للأمم المتحدة:

«إنني اتهم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أمام الرأي العام العالمي بأنها شنت حرباً ضد كوبا من أجل أن تمتلك من جديد ثرواتها ومن أجل أن تحول كوبا مرة ثانية إلى تابع لها».



الفصل السابع



«الورطة»

أمريكا.. وما حدث في أفغانستان!! !!

في ٥ نوفمبر من عام ٢٠٠٨ قامت القوات الأمريكية بالاشتراك مع القوات البريطانية في قلعة "جانجي" في مزار شريف في أفغانستان بقتل ٤٥٠ أسيراً مكبلين من خلف ظهورهم.. القتلى كانوا قد سلّموا أنفسهم للأمم المتحدة وليس للولايات المتحدة.. وقد نقلت صورهم القناة الثانية الفرنسية.. وشهد هذه المذبحة بعض مراسلي الصحف منهم مراسل"صنداي تايمز" الذي وصفها بأنها كانت على قدر كبير من الوحشية.

اعتبر "هنري كلارك" وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هذه المذبحة بأنّها جريمة حرب.. وذكر أنّه لم يحقق في هذه الجريمة لأنّ الكل يخشى أن يوصف بالإرهاب إن دافع عن حقوق هؤلاء الأسرى؟

وقتلت الإدارة لأمريكية في حربها لأفغانستان في الفترة من ٧ أكتوبر إلى ٣ ديسمبر عام ٢٠٠١م «٣٧٦٧ » قتيلاً من الأطفال والنساء والشيوخ والعزل من المدنيين.. هذا ما ذكره البروفسور الأمريكي "مارك دبليو هيرالود" من جامعة "نيوهامشير".. إضافة إلى تدمير آلاف القرى.. وهدم المنازل.. وخروج الملايين من بلادهم بحثاً عن الأمان؟

وهذه بلا شك إحصائية متواضعة عن عدد قتلى المسلمين من الحرب الأمريكية لأفغانستان.

الورطة

بعد الإعلان الأمريكي عن عجز تجاري بلغ خلال شهر أغسطس ٢٠١٠ بلغ فقط ٤٦,٣ بليون دولار.. نتذكر «القاعدة» التاريخية التي تقول أن:

"الإمبراطوريات حين تنهار يبدأ انهيارها بالتدهور الاقتصادي"

.. وهو ما جرى قديماً مع الإمبراطورية الرومانية.. فتوسع الإمبراطوريات ودخولها في مغامرات عسكرية وعلى جبهات عدة.. يورط الاستراتيجيين ويدفعهم إلى الانتقال من ورطة إلى أخرى.. وهو ما يذهب بسماتهم الشخصية المميزة هم وحضورهم الدبلوماسي الذي كان أيام العز والجاه.. مرهوب الجانب ومسموع الكلمة.. فأمريكا بكل عنفوانها اليوم رهينة بشكل مباشر أو غير مباشر

للتعاون الباكستاني معها في استمرارية الحرب في أفغانستان.. أو في الخروج من المأزق الذي هي فيه.. فوجود أخطر الجماعات المهددة لأمريكا في مناطق القبائل الباكستانية.. أو في وجود طالبان أفغانستان الذين يقاتلون القوات الأمريكية.. التي تتهم الباكستانيين بالتنسيق معهم بشكل مباشر أو غير مباشر.. كل ذلك يعزز الحاجة الأمريكية لباكستان سلما أو حربا.

فشل الاستراتيجية الأمريكية في أفغانستان تجلى بشكل واضح بعد وصول أوباما[1] للحكم.. وذلك بنقل المعركة إلى باكستان.. واستهداف حلفائهم من الجنود الباكستانيين في مناطق القبائل المتاخمة لأفغانستان.. وما نجم عنه من إغلاق باكستان لحدودها أمام قوافل الإمداد الدولية في أفغانستان التي تحارب «القاعدة» وطالبان.. وهو ما أعاد للسياسيين والخبراء نظرية "زحف الحروب" أيام فيتنام.. حين نقلت واشنطن المعركة إلى كمبوديا ولاوس.. بعيداً عن فيتنام.. وزحفت معها أيضاً ممارسة عملية اللوم بين «البنتاجون» والبيت الأبيض والخارجية الأمريكية.

وظهر أيضاً أن الخسارة الأمريكية لم تعد في أفغانستان.. بعد أن كشفت استطلاعات الرأي في باكستان عن تقدم العداء الباكستاني لأمريكا على عداء الشعب الباكستاني للعدوة التقليدية الهند.

---

(١) باراك حسين أوباما « مواليد ٤ أغسطس ١٩٦١» وهو الرئيس الحالي ويحمل رقم ٤٤ للولايات المتحدة الأمريكية منذ ٢٠ يناير ٢٠٠٩.. وأول رئيس من أصول أفريقية يصل للبيت الأبيض.. حصل على جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠٠٩ نظير مجهوداته في تقوية الدبلوماسية الدولية والتعاون بين الشعوب.. وذلك قبل إكماله سنة في السلطة.. تخرج من كلية كولومبيا بجامعة كولومبيا وكلية الحقوق بجامعة هارفارد.. وكان من أوائل الأمريكيين من أصول أفريقية يتولى رئاسة مجلة هارفارد للقانون.. كما كان يعمل في الأنشطة الاجتماعية في شيكاغو قبل حصوله على شهادة المحاماة.. وعمل كمستشار للحقوق المدنية في شيكاغو.. وقام بتدريس مادة القانون الدستوري في كلية الحقوق بجامعة شيكاغو في الفترة من ١٩٩٢ إلى ٢٠٠٤ حاز على ثلاث فترات في مجلس الشيوخ بإلينوي وذلك في الفترة من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٤. وعقب محاولة غير ناجحة للحصول على مقعد في مجلس النواب عام ٢٠٠٠ رشح نفسه لمجلس الشيوخ عام ٢٠٠٤. واستطاع أن يحوز على مقعد بالمجلس في مارس ٢٠٠٤. واستطاع بهذا الفوز جذب انتباه الحزب الديمقراطي.. في الانتخابات العامة التي جرت في ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ استطاع أن يهزم المرشح الجمهوري جون ماكين.. ونصب رئيساً في ٢٠ يناير ٢٠٠٩.

التخبط الحاصل في السياسة الأمريكية إزاء أفغانستان وباكستان.. وتباين المواقف بين «البنتاجون» والبيت الأبيض والخارجية الأمريكية يعكس بشكل واضح وجلي مدى الخلاف والتباين في تقويمات كل طرف للأوضاع الأفغانية.. خصوصا مع تعهد دول أوروبية بالانسحاب من أفغانستان.. وهو ما أعطى رسائل سلبية للجنود الأمريكيين وغير الأمريكيين الذين يُقاتلون في أفغانستان من أن المعركة على وشك النهاية.. وبالتالي لا جدوى من التضحية ومن القتال ما دام الكل يحزم حقائبه.

ومنذ بدء عملية "الحرية الدائمة" إثر هجمات سبتمبر٢٠٠١ وحتى اليوم بلغت خسائر القوات الأمريكية في أفغانستان ما لايقل عن ألف قتيل.. وأضعافهم من الجرحى..

فماذا كسبت أمريكا؟

لا شيء!!

إيران تتحدى.. وتدخل بثقلها؟

أما مسألة الحديث عن هزيمة أمريكية محتملة في أفغانستان.. وما تشير إليه بعض التحليلات من كون حركة طالبان في تطور.. وصعود حقيقي.. في الوقت الذي تفقد فيه جيوش الأطلسي عامة وأمريكا خاصة سيطرتها على مناطق متزايدة الاتساع من البلاد.. وتتراجع إلى حدود بعض المدن الرئيسية.. مبددةً ما تبذله من جهد ميداني.

لاستعادة المبادرة أو تحقيق نوع من التوازن.. يُفرض وضعاً من الثبات العسكري يكبح طالبان ويجبرها على البحث عن حلول وسط سياسية.. تخرج أمريكا من مأزق أفغانستان دون أن تعرضها لهزيمة كالتي سبق لها أن عرفتها خلال حرب فيتنام.

وإذا افترضنا أن هذا صحيحاً.. يبقى سؤالٌ آخر:

هل هناك دول لها مصلحة في هزيمة أمريكا وحلف الأطلسي على يد طالبان؟..

وهل لإيران تحديداً مصلحة في وصول طالبان إلى السلطة من جديد؟..

وهل تلتقي مصالح روسيا والصين على ضرورة إلحاق هزيمة عسكرية بأمريكا.. تُعيد طالبان إلى الحكم في كابول؟.

هذه الأسئلة تطرح نفسها في ضوء ما يقال عن دور إيراني يقوض الجهود الأمريكية.. العسكرية والسياسية.. في أفغانستان أو يُربكها.. ودور روسي وصيني يعمل على إخراج واشنطن من هناك.. وذيلها بين ساقيها.. كما يقال.

قبل الإجابة على هذه الأسئلة.. هناك حقائق لا سبيل إلى إنكارها.. هي أن إيران ترى علاقاتها مع طالبان باعتبارها جزءاً من صورة أكبر يعينها التجاذب الدائر مع واشنطن.. وسعيها لجمع أكبر عدد من أوراق الضغط على أمريكا في يدها.. تستخدم إيران ورقة طالبان من أجل تسوية خلافاتها مع واشنطن لصالحها.. في مجال جغرافي.. سياسي أكبر بكثير من المجال الأفغاني.. وليس لأنها تريد عودة طالبان إلى السلطة في كابول.. خاصة وأن هذه العودة ستثير مصاعب كثيرة في وجهها.. بسبب ما يعرف عن طالبان من تشدد مذهبي.. وتمثله من خطورة على طهران ودورها: في الصراع الدائر اليوم على قيادة العالم الإسلامي.. ويكاد يكون محوره إيران ومكانتها منه هذه القيادة.. كما في سعي أطراف دولية مختلفة.. على رأسها أمريكا.. لشق هذا العالم مذهبياً وإيقاع فتنة واسعة بين طرفيه: السني والشيعي.. تمنح واشنطن قدرة هائلة على التدخل في صراعاته.. دون أن تكون طرفاً مباشراً فيها.. مثلما هو حالها اليوم.

في الحالة الأولى.. ستكون طالبان رأس خنجر مغروس في ظهر طهران.. ومصدر خطر محقق عليها.. وطرفاً مباشراً في أي عمل ضدها.. وفي الحالة الثانية جزءاً فاعلاً جداً من الطوق المضروب حولها.

وبما أن إيران تعي هذا وتخشاه.. فإنها تضغط على أمريكا بورقة طالبان.. دون أن يصل تأييدها لحركتها درجة الموافقة على انتصارها على أمريكا وعودتها إلى السلطة في بلادها.. لأن ذلك سيمنحها ثقة خطيرة بنفسها وبإمكاناتها ضد أي كان.. وسيشجعها من جديد على التحرش بطهران.. كما سبق لها أن فعلت عام ١٩٩٥ عندما كادت أن تجرها إلى حرب.. بعد أن تبادلت معها التهديدات

والحشود العسكرية.. وأدانت بلغة استفزازية الإسلام الإيراني واعتبرته خروجاً على الدين من الكفر السكوت عليه أو التعايش معه.

بدورهما.. تخاف روسيا والصين انتصار طالبان على أمريكا.. لأن انتصارها يضعهما أمام قوة سيصعب عليهما قهرها.. هزمت أعظم قوى العالم سلاحاً وتقنية.. وأكثرها عدوانية ونزوعاً إلى الحرب.. لن تتهاون في تفجيرهما من الداخل.. عبر إثارة مسلميهما ضد حكومتيهما غير الشرعيتين.. بما أن جنوب روسيا يشبه برميل بارود قابل للاشتعال إسلامياً.. والصين متورطة في صراع خطير الأبعاد مع مواطنيها الأنجور.. بدأ مؤخراً يأخذ طابعاً مسلحاً.. فإن قيادات البلدين.. التي تخشى هزيمة أمريكا في أفغانستان.. صرحت أكثر من مرة أنها لن تسمح بانتصار طالبان.. بل إن رئيس روسيا وافق قبل أيام على مساعدة حكومة كابول الأمريكية ضد التمرد.. بينما امتنعت الصين عن تقديم دعم واسع لأعداء أمريكا المقاتلين.. ورأت.. شأنها في ذلك شأن روسيا.. في حرب أمريكا هناك ضربٌ من الدفاع عن أمنها الداخلي.. يجعل من مصلحتها إما هزيمة طالبان أو هذا أفضل.. استمرار الحرب لمدى طويل تستنزف خلاله قوى الطرفين المتقاتلين.. يستحسن أن ينتهي بانتصار أمريكي يبقي العناصر العلمانية والإسلامية المعتدلة في الحكم.. ويخرج أفغانستان من رهانات الأصولية الإسلامية.

هل لأوروبا مصلحة في هزيمة أمريكا.. بينما تُقاتل قواتها في إطار حلف الأطلسي تحت قيادة عسكرية وسياسية أمريكية؟.. أم هل يريد العرب انتصار طالبان وحليفتها «القاعدة».. التي تقاتل اليوم في أكثر من موقع عربي.. وتمثل تهديداً يمس بأمن وسلامة معظم الدول والنظم العربية؟.

ماذا يعني تلاشي الرغبة للإقليمية والدولية في انتصار طالبان وهزيمة أمريكا؟.. وماذا يمكن أن يترتب على هذا من استنتاجات؟.

الحقيقة أنه كلما تعاظم خطر انتصار طالبان.. سيتناقص دعم إيران خاصة.. وروسيا والصين عامة.. المقدم لها.. إن كان هناك حقاً دعمٌ يُقدم كما يزعم الأمريكيون..

ثانياً: كلما طال أمد الحرب وتأكدت استحالة انتصار طالبان.. ستزداد ميل قيادتها.. أو أجزاء منها.. إلى التسوية والمصالحة.. أخيراً.. ليست الحرب الحالية حرب انتصار أو هزيمة.. إنها حرب تستهدف تحسين ظروف وأوراق أطرافها.. التي يريد كل طرف منها بلوغ تسوية نهائية تخدم مصالحه وتقوض مصالح خصومه.. تجعل من أفغانستان ما بعد الحرب بلداً ينفرد هو بالنفوذ الأكبر فيه.. أليست هذه هي خطة أوباما.. التي يقول هو نفسه إنها لا تستهدف حل المشكلة الأفغانية عسكرياً.. وتتركز على استخدام القوة لمنع طالبان من العودة إلى السلطة والانفراد بها.. بمنعها من إنهاء الحرب بطريقة تغلب حضورها ونفوذها على حضور ونفوذ بقية الأطراف السياسية والعسكرية المشاركة في الحرب.

من الصعب.. في ظل هذه الظروف وهذه الحسابات.. أن تُهزم أمريكا عسكرياً في أفغانستان.. من الصعب كذلك أن تنتصر طالبان عسكرياً أو سياسياً.. ويرجح أن يصل القتال بجميع أطرافه إلى طاولة مفاوضات لن تهدد نتائجها إيران وروسيا والصين.. أو تضيع جهود الغرب الأمريكي / الأوروبي.. أو تستبعد مشاركة طالبان في السلطة.. بعد حقبة من تعاون الجميع.. في الداخل والخارج.. على نزع أظافرها وأنيابها!.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل يخرج الصراع بين أمريكا وإيران عن حساباتهُ ومساراتهُ الراهنة.. المضبوطة جيداً إلى حد بعيد.. فتدعم طهران انتصاراً عسكرياً تحققه طالبان.. يفتح عليها أبواب حرب أمريكية لا تبقي ولا تذر.. أم تعمل أمريكا لتسوية مع طالبان تكون إيران هي الخاسر الرئيسى فيها.. فتمتد الحرب إلى ما لا نهاية في أفغانستان المسكينة؟.



من أفغانستان إلى ليبيا.. وما زال الإرهاب مستمراً

وقبل أن نبتعد عن ظاهرة الإرهاب.. ودعاوى الولايات المتحدة بشأنه.. ننتقل إلى ليبيا.. وقصف ليبيا.. ونقول هنا أنه مما لا شك فيه أن سياسة الرأسمالية الأمريكية تعد من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة الإرهاب عالمياً.. وما خلفتهُ حتى الآن من دمار.. ومآسي.. وضحايا.. وخسائر مادية للكثير من الدول.

وهذه الظاهرة كشفت عن حقيقة الصورة الوردية التي كانت تختفي وراءها الولايات المتحدة بشعاراتها الزائفة ومزاعمها بتأسيس مبادئ إنسانية وروحية..

فمن غرائب القدر.. أن قضية الإرهاب لم تنشأ إلا بدعم أمريكي حيث تؤكد العديد من المؤسسات الاستخباراتية أن أمريكا دعمت حركة طالبان عبر وكالة الاستخبارات الأمريكية إبان الحرب الأفغانية مع الاتحاد السوفيتي.. ناهيك عن علاقة الوكالة الأمريكية «C.I.A» بالفصائل الإسلامية في كشمير.. وقيام الولايات المتحدة الأمريكية بدعم الفصائل القتالية دفعت المراقبين إلى التحذير من خطورة مثل هذا الدعم الذي تم تسخيره من قِبل بعض الجماعات في تنفيذ عمليات تفجيرية داخل الدول الأوروبية ومنطقة الشرق الأوسط بتخطيط من الطواقم الأمريكية التي قامت بتجنيد خلايا مسلحة تابعة لأجهزة المخابرات الأمريكية لتبقي على أجواء الإرهاب والعنف الذي يرى فيه بوش والبيت الأبيض مكسباً لفرض الهيمنة والسيطرة على العالم وللفوز بالانتخابات الأمريكية التي جرت قبل أربعة سنوات.

وقد ركزت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية على مد نفوذها الاستعماري إلى العديد من دول العالم.. إما بصورة مباشرة كما في العراق وأفغانستان.. وإما بصورة غير مباشرة كما في أفريقيا وبعض البلدان العربية.. وكان لمنطقة الشرق الأوسط النصيب الأكبر من الاهتمام الأمريكي من خلال تدخلاتها المستمرة في تحديد معالم السياسة الإقليمية لدول المنطقة.

حكاية أمريكا.. وليبيا

في الخامس من أبريل ١٩٨٦ انفجرت قنبلة في "ديسكو لابيل" في برلين الغربية بألمانيا.. مما أسفر عن مقتل جنديين أمريكيين.. وسيدة تركية.. وجرح ٢٢

آخرين.. وفاجأت الولايات المتحدة العالم بإعلانها أنها حصلت على نسخة من برقية أرسلها عملاء ليبيون في ألمانيا الشرقية شاركوا في الهجوم.

كان ذلك بمثابة المبرر الذي صنعتهُ أمريكا لضرب ليبيا بعد مناوشات استمرت سنوات بين الطرفين بسبب المطالب الإقليمية الليبية بشأن خليج سرت.

وفي مارس ١٩٨٦ توغلت البحرية الأمريكية لمسافة ١٢ ميل بحري داخل المياه الإقليمية الليبية.. وأرسلت حاملة طائرات إلى هناك للقيام بمناورات عسكرية.. وكان الرد الليبي على المناورات عدوانياً.. مما أدى إلى أحداث خليج سرت.

وفي ١٥ أبريل ١٩٨٦ قامت ٦٦ طائرة أمريكية انطلق بعضها من قواعد بريطانية بشن غارة.. وقصف بعض الأهداف داخل العاصمة الليبية طرابلس ومنطقة بنى غازي.

لاري سبيكس المتحدث باسم البيت الأبيض وقتها قال أن الهجوم كان يستهدف مواقع عسكرية رئيسية.. ولكن التقارير تشير إلى ان الصواريخ ضربت أيضاً منطقة بن عاشور.. وهي ضاحية مكتظة بالسكان في العاصمة.. كما تم قصف المجمع السكني الذي يقيم فيه الرئيس معمر القذافي.. وقتلت فيه ابنته المتبناة حنا القذافي.. بالإضافة لذلك فقد قتل ٤٥ جندي ليبي و ١٥ مدنياً.

الرئيس الأمريكي آنذاك "رونالد ريجان"(١) برر الهجوم باتهام ليبيا بالمسؤولية المباشرة عن الإرهاب الموجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي.. وقال في خطابه التلفزيوني الذي أذيع بعد الهجوم بساعتين:

"عندما يتعرض مواطنونا لهجوم.. أو سوء المعاملة في أي مكان في العالم بناء على أوامر مباشرة من أنظمة معادية.. فإننا سنرد طالما أنا في هذا المنصب".

❖❖❖

(١) رونالد ريجان «٦ فبراير ١٩١١ - ٥ يونيو ٢٠٠٤» هو الرئيس الأربعين للولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٨١ إلى ١٩٨٩ وقبلها كان الحاكم رقم ٣٣ على ولاية كاليفورنيا من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٥ كان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي الذي بدأه في بداية الخمسينيات.. عند وفاته كان مصاب بالزهايمر.. ويعتبر أحد أكبر رؤساء أمريكا عمراً حيث بلغ عمره عند وفاته ٩٣ سنة و١١٩ يوماً.. بالإضافة إلى إنه كان الأكبر حين انتخابه فقد كان عمره حينها ٦٩ سنة و٣٤٩ يوماً.

الفصل الثامن



«الولايات المتحدة..
ومذابحها في نيكاراجوا !!

عام ١٩٨٦ عرضت على محكمة العدل الدولية قضية خرق الولايات المتحدة للقانون الدولي من خلال دعم المعارضة المسلحة في الحرب ضد حكومة «نيكاراجوا».. وتفخيخ الموانئ في «نيكاراجوا»..

وأقرت المحكمة بأن الولايات المتحدة قامت باستخدام القوة بشكل غير شرعي ضد «نيكاراجوا» مما أسفر عن سقوط نحو ٧٥ ألف ضحية بينهم ٢٩ ألف قتيل.. وتدمير البلد بكاملها".. وفي النهاية حكمت المحكمة لصالح «نيكاراجوا».. مما دفع أمريكا إلى رفض الحكم الصادر..

وفي حيثيات الحكم رفضت المحكمة الادعاء الأمريكي الزاعم بأن العمليات الأمريكية ضد «نيكاراجوا» كانت دفاعًا عن النفس..

وردت أمريكا بأن المسألة تقع خارج صلاحيات المحكمة.. فالولايات المتحدة من الدول الموقعة على معاهدة إنشاء المحكمة.. لكن باستثناءات وشروط خاصة اضطرت المحكمة لأخذها بعين الاعتبار مما يجعل القرارات غير ملزمة لكنها أصدرت قرارها بشأن القضية بأغلبية ١١ مقابل ٤.

وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا غير ملزم بهدف الضغط على أمريكا لتسديد الغرامات المالية التي فرضها قرار المحكمة.. وقد صوتت إلى جانب أمريكا كل من إسرائيل.. والسلفادور التي كانت تواجه خلافات ونزاعات خاصة مع «نيكاراجوا».. في حين صوت العالم لصالح «نيكاراجوا».. ورغم ذلك لم تسدد الولايات المتحدة الغرامات المستحقة.

الشهود

استمعت المحكمة لمجموعة من الشهود أفاد أحدهم بالظروف التي كانت عليها المعارضة قبل الدعم الأمريكي.. وكيف تحولت إلى مستوى آخر من الأداء بعد وصول الدعم الأمريكي الذي أقره الكونجرس والذي أوصى بـ ١٩ مليون دولار للعمليات في «نيكاراجوا».. وأمريكا الوسطى.. ثم وصل إلى ٣٠ مليون دولار عام ١٩٨٢ وقد وضح الشهود بأنه ونتيجة لهذا الدعم والتدريب الذي قدمته «C.I.A» قامت المعارضة بسلسلة من التدميرات عبر الحدود منها:

- تدمير جسرين رئيسيين في شمال «نيكاراجوا»..
- زرع القنابل في مطار «نيكاراجوا» المدني وميناءها..

ساهمت «C.I.A» بتأمين الاتصالات وتنسيقها وتوفير الدعم اللوجستي(١) مما ساعد العصابات على تنفيذ عمليات في العمق تجاه الأماكن الصناعية والمسكونة بهدف إضعاف الاقتصاد الوطني لـ«نيكاراجوا» وضرب مخزونها من البضائع.

عمليات نفسية في حرب العصابات

وفي سياق البرنامج التدريبي قامت «C.I.A» بإعداد وتوزيع كُتيب تحت عنوان "عمليات نفسية في حرب العصابات" ضم إرشادات تُركز على الطريقة التي يمكن "للفرق الدعائية المسلحة" أن تبني دعمًا سياسيًا داخل «نيكاراجوا» لصالح المعارضة من خلال الغش.. والتخويف.. والعنف.. وقد وضح الدليل الحالات المناسبة لاستخدام الإرهاب ضد أهداف محددة بما فيها المحاكم القضائية والشرطة.. ويدعو إلى اغتيال بعض الحكام المحليين بهدف التخويف.. وفيما بعد اعترف الرئيس رونالد ريجان في مؤتمر صحفي صراحة بأن موظفًا متعاقدًا مع «C.I.A» قام بإعداد الكُتيب.

وأضاف الشاهد بأن الولايات المتحدة تورطت في تلغيم مرافئ «نيكاراجوا» ما بين فبراير وإبريل١٩٨٤ بواسطة سفن تابعة للـ «C.I.A» أدارت العملية من المياه الدولية.. وبأن عشرات الألاف لقوا مصرعهم وجرحوا.. خلال ٤ سنوات منذ بدء هجمات العصابات المعارضة.. وقُدِرت الأضرار المادية بنحو ٣٧٥ مليون دولار.. وقال بأنه لولا الدعم الأمريكي لانتهي أمر العصابات في ثلاث أشهر لأنها قوة مصنوعة من قِبل أمريكا وتعتمد في وجودها وتوجهها وتدريبها وتسليحها وكل

(١) للوجستية « Logistics» هي جزء من سلسلة توريد المواد والتي تقوم بالتخطيط والتطبيق والتحكم بتدفق البضائع وتخزينها بشكل مرن وفعّال وذلك بين نقطة الإنتاج ونقطة الاستهلاك لهدف إرضاء المستهلك.. ويرجع أصل الكلمة إلى اللغة الإغريقية القديمة وتأتي من كلمة (لوجوس) وتعني "نسبة.. حساب.. سبب..خطاب" وقد انتقل استخدام الكلمة من حاجة الجيش إلى التزود بالإمدادات خلال تحركهم من قواعدهم إلى المواقع إلى المجال الاقتصادي.

شيء فيها على العون الأمريكي.. ولولا ذلك الدعم لتفرقت.. وتحللت.. وفقدت قدرتها العسكرية في وقت قصير جداً.

ونفي شاهد آخر أن تكون «نيكاراجوا» قد ساعدت جماعات مسلحة في السلفادور وأكد عدم وجود أي دليل على ذلك.

وأكد شاهد ثالث العثور على أدلة قوية تؤكد قيام الميليشيات المسلحة المعارضة في «نيكاراجوا» بممارسة عنف إرهابي موجه ضد مدنيين لا علاقة لهم بالحرب أو السياسية أو الجيش.. وتم استهدافهم بهدف نشر الرعب.

ووصف رجل دين يسمى «الأب ليسون» وهو أيضاً أحد الشهود الكثير من الأمثلة على ممارسة العنف الموجه ضد المدنيين في المنطقة التي يقطنها.. وقدم صورة مفادها أن المعارضة مارست خروقات وحشية لا تقرها أبسط معايير الإنسانية.. فوصف مقتل مدنيين عُزل بمن فيهم من الأطفال.. والنساء.. واغتصاب.. ثم تعذيب.. وقتل.. وتطابقت شهادته مع عدة تقارير أخرى صادرة عن منظمة حقوق الإنسان وغيرها.

وشهد وزير اقتصاد «نيكاراجوا» على الأثر الاقتصادي الذي لحق ببلاده بما في ذلك الخسارة في الوقود الناتج عن مهاجمة مخازن النفط.. والخسائر الاقتصادية الناجمة عن ضرب التجارة بسبب تلغيم المرافئ وأضرار أخرى.

نص الحكم

في يونيو ١٩٨٦ حكمت المحكمة بما يلي:

لقد خرقت الولايات المتحدة الأمريكية بقيامها بتدريب.. وتسليح.. وإمداد.. وتمويل القوة المعارضة أو تشجيعها.. ودعم.. وإعانة عمليات عسكرية ضد «نيكاراجوا».. وقيامها بأعمال عنف ضد جمهورية «نيكاراجوا» متجاهلةً نصوص القانون الدولي الذي ينص على عدم جواز التدخل في شؤون الدول الأخرى.

خرقت الولايات المتحدة القانون الدولي في عدة مناسبات ضد «نيكاراجوا» بخصوص ما ينص على عدم جواز استخدام القوة ضد دول أخرى.

وقد خرقت سلطة «نيكاراجوا» على أرضها عبر ما ذكر من انتهاكات ومن خلال انتهاكات أخرى.

إن قيام أمريكا بتلغيم المياه الداخلية أو الإقليمية لجمهورية «نيكاراجوا» خلال الأشهر الأولى من ١٩٨٤ يعتبر عمل عدائي ضد «نيكاراجوا».. وخرقاً لالتزامات تقضي بعدم استخدام القوة ضد الدول الأخرى.. وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.. وعدم خرق سيادتها على أراضيها.. وعدم انتهاك سلامة التجارة البحرية.. الهجمات الأمريكية على «نيكاراجوا» إضافة إلى ما ذكر أعلاه يعتبر خرقاً لمعاهدات الصداقة والتجارة الموقعة بين الأطراف عام ١٩٥٦.

إن قيام أمريكا بإصدار كُتيب "عمليات نفسية في حرب العصابات" ونشره وتوزيعه بين الميلشيات المعارضة.. حرضها على نشاطات تعارض مبادئ القانون الإنساني.. لكن القرار لم ينص على أنها تصرفات أو نشاطات مارستها الولايات المتحدة نفسها.. وعليه يجب أن تدفع الولايات المتحدة تعويضاً عن الخسائر التي تسببت بها.



الفصل التاسع



كوسوفو المأساة المتكاملة!!

كوسوفو.. وما حدث فيها بمباركة العم سام.. صفحة من أسوأ صفحات سجلهم الأسود.. والإجرامي.. وبادعاءات كاذبةحولت قنابلهم بمشاركة حلف شمال الأطلنطي[1] تلك الدولة الهادئة إلى مأساة متكاملة.. فقد زعم وقتها الرئيس الأمريكي "كلينتون" وتابعه "تونى بلير" رئيس الوزراء البريطاني أن الهجمات الجوية هي لأجل مساعدة شعب كوسوفو.. بينما حقيقة ما فعلوه هناك أنه لم يكن إلا شلالات من سفك الدماء.. ونشر الرعب في صربيا وكوسوفو.

ولا أحد يدري بالضبط كم عدد الضحايا المدنيين الذين قتلتهم آلاف القنابل والصواريخ التي أمطروا بها سماء تلك المدينة التي كانت هادئة حتى وطئتها أقدامهم السوداء.

كل ذلك بدعوى الإطاحة بنظام رئيس حتى وإن كان ديكتاتوراً فقد كانت كل جريمته فقط أنه لم يتعاون مع النظام الأمريكى.. الرئيس هو «سلوبودان ميلوسوفيتش»[2] الذي ذكر ذات مرة مراسل الـ «B.B.C» في تقرير له: "أن كل قنبلة كانت تسقط فوق بلاده كانت تقوي نظامه.. لا تقوضه"..

وفي حينه أيضاً علق أحد معارضي نظام ميلوسوفيتش على ذلك بقوله "إن الشعب ملتف الآن حول ميلوسوفيتش الذي صار يمثل رمز «المسيح المنقذ» للشعب الصربي في مواجهة الحلف الذي يعمل على تدمير الحضارة الصربية."

---

(١) منظمة حلف شمال الأطلسي اختصارا "الناتو" «NATO» هي منظمة تأسست عام ١٩٤٩ بناءاً علي معاهدة شمال الأطلسي والتي تم التوقيع عليها في واشنطن في ٤ ابريل سنة ١٩٤٩ ويوجد مقر قيادة الحلف في بروكسل عاصمة بلجيكا.. وللحلف لغتان رسميتان هما الإنجليزية والفرنسية.. والدور الرئيسي لهذا الحلف هو حراسة حرية وحماية الدول الأعضاء فيه من خلال القوة العسكرية.. ويلعب دور من خلال الأزمات السياسية وكل الدول الأعضاء فيه تساهم في القوى والمعدات العسكرية التابع له مما يساهم في تحقيق تنظيم عسكري لهذا الحلف.. ويوجد هناك دول ذات علاقات ممتازة بحلف الناتو إلا أنها ليست جزءاً منه بشكل رسمي وتسمى حليف رئيسي لحلف الناتو.

(٢) سلوبودان ميلوسيفيتش «٢٠ اغسطس ١٩٤١- ٢٠٠٦» كان رئيس صربيا ويوغوسلافيا من الفترة بين ١٩٨٩ و ١٩٩٧ ومثُل منذ عام ٢٠٠١ أمام المحكمة الدولية لجرائم الحرب في لاهاي.. مكث ميلوسوفيتش سنوات متنقلاً بين السجن والمحكمة والمستشفي.. وكان في كل جلسة من جلسات المحاكمة يسخر من قضاته ولا يعترف بشرعية المحكمة.. ويرفض توكيل محام عنه في ١١ مارس ٢٠٠٦ عثر عليه ميتاً في مركز الاعتقال الذي كان محتجزا به في لاهاي.

لكن ماذا عن خصوصية تلك المنطقة.. وما تشهده دوماً عبر كل تاريخها من قلاقل سياسية؟

نعود بالذاكرة التاريخية للوراء قليلاً.. لنجد أنه وعلى مدار المائة وعشرين عاماً الماضية دارت عجلة الحرب أكثر من مرة في البلقان.. وكانت دوماً مصحوبة بمجازر.. وتهجير لشعوب بأكملها.. وقد تدخلت القوى الإمبريالية دائماً بزعم مساعدة أحد شعوب البلقان.. وكانت نتيجة هذا التدخل في أفضل الأحوال تجميد الصراع بشكل مؤقت.. ليعاد بعد سنوات قليلة بشكل أعنف.. أما في أغلب الحالات فقد كانت النتيجة تصعيد للمجازر وآلاف القتلى وتسميم العلاقات بين شعوب المنطقة.

ففي هذه المنطقة الواقعة في جنوب شرق أوروبا يعيش عدد كبير من الشعوب.. فهناك السلوفيين.. والكروات.. والصرب.. والألبان.. والبوسنيين.. والمجريين.. وسكان الجبل الأسود.. والمقدونيين واليونانيين.. والبلغار.. والأتراك.. والبوماك.. والإيطاليين.. والغجر.. واليهود.. وغيرهم.. وقد عاشت هذه العرقيات المختلفة أغلب تاريخها في تآخي وسلام.. يتكلمون بلغات مشتركة ولم يكن العنف جزء من طبيعة حياتهم.

كانت منطقة البلقان من أفقر المناطق في أوروبا وكانت نقطة التقاء ثلاث إمبراطوريات ضخمة هم الروسية والنمساوية والعثمانية في القرن التاسع عشر.. ومع انتهاء ذلك القرن بدأت الدول الصناعية الحديثة مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا في الاهتمام بهذه المنطقة.

وقد واجهت كل الحركات التي ظهرت في البلقان في أواخر القرن التاسع عشر من أجل محاولة بناء دول قومية مستقلة عقبتان أساسيتان.. الأولى هي أن الدول الإمبريالية الكبرى كانت تريد تقسيم البلقان بينها.. والعقبة الثانية هي عدم إمكانية بناء دول قومية في منطقة بهذا التنوع العرقي والقومي دون الدخول في حروب بين القوميات المختلفة.. وهذا ما أشار إليه في كتاباته (ليون

تروتسكي) عن البلقان عام ١٩١٣ هذه العوامل كانت تعني أن الحركات القومية تأخذ جانب إحدى القوى الإمبريالية.. فقد قال تروتسكي :

"أنه في شبه جزيرة البلقان لا توجد مساحة للسياسات القومية إلا إذا تطابقت هذه مع السياسات الإمبريالية"..

وقد تمزقت هذه المنطقة بالنزاعات بين نصف دستة من الحركات القومية المختلفة وارتباطاتها مع القوى الإمبريالية"..

فحينما طالب الشعب البوسني بالاستقلال عام ١٨٧٥ تعارض هذا مع الإمبراطورية العثمانية التي كانت تسيطر على أغلبية أراضي البلقان.. ولكن حكام بلغاريا وجدوها فرصة لكسب بعض الأراضي من الأتراك.. أما روسيا القيصرية والتي كانت تزعم حماية الشعوب السُلافية في المنطقة فقد أعلنت الحرب على تركيا عام ١٨٧٧ أما القوى الإمبريالية الأخرى فقد فرضت معاهدة برلين عام ١٨٧٨ والتي أعادت تقسيم البلقان بشكل يتسق مع المصالح الإمبريالية.

وبالتالي أصبحت البوسنة مستعمرة نمساوية.. ومع قدوم ١٨٨٥ كانت بلغاريا وصربيا في حرب على الرغم من كونهما من أكثر من عانى على يد الجيش التركي.. ووقتها كما الآن.. كانت هناك تقارير عن النساء والأطفال الذين يموتون في المجاعة وعن اغتصاب النساء والتهجير القسري والفظائع الأخرى.

وتفجرت الحرب مرة أخرى عام ١٩١٢ عندما حاولت كل من اليونان وبلغاريا وصربيا طرد الدولة العثمانية الواهنة من المنطقة.. ثم دخلت في حروب مع بعضها البعض عام ١٩١٣ حول توزيع الأراضي.. ومرة أخرى تدخلت القوى الأجنبية وحولت الحركات القومية المختلفة على بعضهم البعض وفرضت معاهدة لندن وبروتوكول فلورنسا على مختلف القوى المتحاربة عام ١٩١٣ وقد أيدت كل من بريطانيا وألمانيا تكوين دولة ألبانية لتوازن التأثير الروسي على بلغاريا وصربيا.

وتفجرت المنافسة بين القوى الإمبريالية في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فبريطانيا.. والتي كان من المفترض أن تحمي الدولة الألبانية.. كانت قد وقعت

على اتفاقية سرية مع إيطاليا تقوم بموجبها بالتخلي عن ألبانيا في مقابل أن تؤيدها إيطاليا في الحرب ضد ألمانيا.. وعانت شعوب البلقان بشكل ضخم خلال الحرب نفسها.. فقد تم تهجير المدنيين الصرب مئات الأميال بعيداً عن موطنهم.. وقامت القوات النمساوية بقصف طوابير اللاجئين.. حتى أنه لم يعد هناك سوى مساحة من الخراب في وسطها آلاف البشر يعانون وبلا أمل".

وراح اللاجئون يلعنون من تخلوا عنهم وكان من الممكن سماع صيحات على شاكلة:

"لماذا لم تأتي روسيا؟ أين الفرنسيون؟ هل نسينا البريطانيون؟"

وأسفرت نهاية الحرب عن صعود سلسلة من الأنظمة المتسلطة سيطرت على البلقان في العشرينات والثلاثينات.. ادعت تمثيل أحد القوميات واضطهدت القوميات الأخرى.

ومع الحرب العالمية الثانية اجتاحت قوات المحور الألمانية المنطقة عام ١٩٤١ وأقامت حكومة نازية سيطر عليها الكروات تحت قيادة أوستاتشي.. وتحت قيادة هذا النظام أنزل القوميون الشوفينون الكروات والألبان أشد الانتقام من الصرب الذين كانوا القوة المهيمنة في مملكة الصرب والكروات ما قبل الحرب.

وقام نظام أوستاتشي بقتل ٦٠٠ ألف من الصرب واليهود والغجر الأمر الذي نال إعجاب أجهزة الاستخبارات النازية والذي ذكر في تقرير له عام ١٩٤٢:

"إن رجال أوستاتشي قامت بمجازر ليس فقط ضد الرجال في سن التجنيد ولكن ضد كبار السن والنساء والأطفال".

وجاء في كتاب «تاريخ كوسوفو»[1] إن الوحدة «٢١» المُشكلة من متطوعين ألبان قامت بقتل العديد من الصرب ومواطني الجبل الأسود في كوسوفو."

كما قامت القوميات الأخرى بتسوية حساباتها في مناطق عديدة..

---

(١) مؤلفته هي الكاتبة الغربية الشهيرة ميراندا فيكرز.

إذن نحن أمام حالة تاريخية تؤكد أن لقد فجرت القوى الإمبريالية العداوات بين شعوب المنطقة.

ولكن على الجانب الآخر.. فقد أوضحت حركة المقاومة ضد جميع القوى الظالمة داخلياً.. وخارجياً إلى أي درجة يريد العمال والفلاحين من مختلف العرقيات العيش سوياً في سلام على الرغم من ألاعيب الإمبريالية والحكام المستبدين.. فحركة الأنصار التي قادت فيما بعد يوغوسلافيا تشكلت أساساً من الصرب.. ولكنها ضمت كروات وألبان وبوسنيين ويهود وغيرهم.. وكان قائد الحركة هو «جوزيف بروز تيتو»[1] وهو نصف كرواتي وكان رئيس يوغوسلافيا الاتحادية التي تشكلت بعد الحرب حتى وفاته في منتصف الثمانينات.

وفي عهده احتوت يوغوسلافيا على الصرب والكروات والسلوفاك والمقدونيين وأهل كوسوفو والجبل الأسود وغيرها من القوميات وتمتعت القوميات المختلفة بدرجة من الاستقلالية والحكم الذاتي حتى عهد قريب..

ونظام تيتو لم يكن نظام اشتراكي أو شيوعي ولكنه كان أحد صور رأسمالية الدولة..

وفي ظل الانتعاش الرأسمالي العالمي فيما بعد الحرب استطاع تيتو أن ينمي الاقتصاد اليوغوسلافي كما استطاع أن يوازن علاقاته بين روسيا والولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة من خلال حركة عدم الانحياز.

لم تختف الخلافات القومية بشكل تام ولكن الازدهار الاقتصادي مكن الدولة المركزية من الموازنة بين القوميات المختلفة.

ولكن مع دخول الأزمة يوغوسلافيا في السبعينات ثم في الثمانينات سقط هذا التوازن.. وظهر سياسيون مثل سلوبودان ميلوسوفيتش في صربيا وفرانكو تودجمان في كرواتيا لعبوا على النعرات القومية من أجل احتواء وإجهاض

(١) نتحدث عه في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان).

الاحتجاجات العمالية والجماهيرية المتصاعدة التي كانت تهدد سيطرتهم على الحكم..

ومن خطوة.. إلى أخرى..

ومن مرحلة إلى التالية..

انتهي الأمر بالبلاد لحكم "سلوبدان ميلوسيفتش" فكيف جاءت نهايته؟

بداية النهاية لسلوبدان ميلوسيفتش

البداية قيام وحدات من الجيش الصربي بحرب همجية ضد جيش تحرير كوسوفو.. وراح ضحية هذه الحرب ما يزيد عن ألفي شخص من المدنيين وأعضاء الحركة.. ولكن تدخل حلف الأطلسي بدلاً من أن ينقذ المدنيين الألبان زاد أعداد الضحايا بينهم..

ولم يجلب تدخل الولايات المتحدة وحلف الناتو السلام لتلك البلاد.. بل زاد من التوتر في منطقة كانت من الأساس تزخر بأسباب التوتر.. فرئيس ألبانيا السابق صالح بريشا[١] كان يحرض في شمال البلاد للحرب مع صربيا.. وكان هناك إمكانية حقيقية لتفتيت مقدونيا حيث كان خُمس سكانها من الألبان الذين يطالبون بالانفصال والانضمام إلى ألبانيا.. ولكن كان معنى حدوث ذلك هو جر قوى أخرى مثل بلغاريا[٢] وبالطبع تركيا واليونان.

كيف تَكَون جيش التحرير؟

أما عن جيش تحرير كوسوفو فقد تم تكوينه عام ١٩٩٥ بعد تجاهل قضية كوسوفو في اتفاقيات السلام في البوسنة.. وكان يحظى بتأييد ضخم من الشعب الألباني في كوسوفو.. إلا أن الاستراتيجية الكارثية التي اتبعها قادة هذا الجيش قادتهم إلى الفشل.. وبدلاً من التحالف مع القوى الديمقراطية المعارضة

---

(١) ديكتاتور ألبانيا السابق أطاحت به الجماهير قبل عدة أعوام.. وسقط على يد الانتفاضة الشعبية في ألبانيا.

(٢) تمثل "جنوب بلغاريا" جغرافياً أغلب الأراضي المقدونية.

لميلوسوفيتش لجأوا للجناح الأكثر يمينية ورجعية من القوميين الألبان.. فتدريبات الجيش العسكرية كانت تجرى على أراض ملك صالح بريشا.. ثم تحالفوا مع الإمبريالية الأمريكية.. وتداخلت لديهم الرؤى لدرجة أن المتحدث باسم جيش تحرير كوسوفو صرح ذات مرة قائلاً :

"إن منقذنا الوحيد هو حلف شمال الأطلنطي"

وكان قادة الجيش على اتصال دائم بقوات حلف الناتو.. ومن هنا بدأت مأساة الألبان.. فعندما تواجه حركة للتحرر الوطني ضعيفة خصماً أقوى بكثير فإنها تلجأ إلى كسب مساندة أحد القوى العظمى.. لكنها في النهاية تقع فريسة هذه القوى العظمى ذاتها.. كما حدث.. ويحدث الآن في أفغانستان.

أمريكا .. ودورها الزائف هناك

وتلألأ في سماء الأحداث البريق الزائف للدعاية الغربية حول ما يسمونه "الدور الإنساني" الذي تقوم به أمريكا وبريطانيا.. ففي الوقت الذي تذهب فيه قوات الناتو للدفاع عن الألبان في كوسوفو نجد الأكراد يعانون الأمرين على أيدى جيش تركيا عضو الناتو.. وحليفة الولايات المتحدة وتابعها إسرائيل.. ولا يغض الأمريكيون الطرف عن فظائع تركيا ضد الأكراد فحسب.. ولكنهم ساعدوها على اختطاف زعيمهم أوجلان[1] وسجنه مدى الحياة.

ولكن لماذا تدخلت أمريكا في البلقان..

تدخل الحلف.. ومن وراءه الولايات المتحدة عندما تصاعدت حدة أصوات المعارضة لميلوسفيتش.. فلماذا تصاعدة ضده أصوات المعارضة.. وما هي شواهد لك؟

ضد الطاغية

- في إبريل ١٩٩١ أضرب ٧٠٠ ألف عامل في صربيا واضطر ميلوسوفيتش لاستخدام الجيش لاستعادة النظام..

THE BLACK REPORT OF USA

(١) نتحدث عنه في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان).

- وفي ١٩٩٦ خرج عمال وطلبة صربيا للتظاهر ضد تزوير ميلوسوفيتش للانتخابات واستمرت حركتهم لأسابيع عديدة وهددت النظام بشكل حقيقي وأجبرت ميلوسوفيتش على التراجع عن قراراته بإلغاء نتائج الانتخابات.

وتوالى مثول مجرمي الحرب الكروات أمام محكمة جرائم الحرب في لاهاي..جميعهم متهمون بقتل رجال ونساء وأطفال وتدمير المنازل والمساجد..

المفاجأة أنه من المعروف أن الولايات المتحدة وحلف الأطلنطي كانوا يساندون الكروات أثناء حرب البوسنة.

مع التفرقة.. وضد التوحد

كما ساندت الولايات والغرب اتفاق دايتون للسلام في البوسنة والذي قَسَمَ البلاد على أسسٍ قومية عرقية خالصة «جزءٌ للمسلمين.. وجزءٌ للصرب.. وجزءٌ للكروات» الأمر الذي يدلل على مساندة أمريكا والغرب لمبدأ التقسيم «والتطهير العرقي» كأساس للتصالح.. وقضى على أي محاولات بذلها بعض أعضاء القوميات المختلفة للوصول إلى حل للتعايش السلمي بين تلك القوميات.. وهو نفسه ما يحدث الآن في السودان.. وعلى يد نفس الشيطان القابع أسفل تمثال الحرية.

إن تاريخ تدخل القوى الإمبريالية في البلقان هو تاريخ بحت يشير لدورهم المتكرر في مساندة الطغاة.. وإذكاء الحروب القومية.. والفرقة بين أبناء الوطن الواحد هو روشتة العلاج التي يظهرونها دوماً للشعوب المستضعفة..

وكل ذلك لم يكن أبداً لوقف الظلم.. أو نصرة المقهورين.. ففي كل مرة كان المستفيد هو أحد المجموعات الحاكمة أو غيرها.. وكان الثمن يدفعه دوماً الفقراء من كل القوميات والأعراق.. ولم تكن حملتهم على كوسوفو استثناءاً من هذا التاريخ.

أما فاتورة الحساب التي تزاحمت فيها الأرقام.. ما بين عشرات الآلاف من الضحايا.. مدنيين.. وعسكريين.. أطفالاً.. وشيوخ.. فقد أُضيفت لحساب أبناء العم سام.. لتثقل ميزان أفعالهم.. وكوارثهم أكثر.. وأكثر.. وكان عنوانها الأساسي «الدمار.. الخراب.. التشتت»..

❖❖❖

الفصل العاشر



العراق.. ليست آخر الضحايا!!

لم تلتفت الإدارة الأمريكية إطلاقاً إلى كل صيحات المعارضة التي أطلقتها معظم شعوب ودول العالم في حربها ضد العراق..

لم تعتذر.. أو تحرك أحاسيسها المقتولة دماءُ أطفال «ملجأ العامرية» الذي تم قصفه بالطائرات الأمريكية..

كما لم تتحرك من قبل وهم يصدرون أوامرهم لطائراتهم العسكرية لقصف الأهداف المدنية.

لقد دفعت السياسة الأمريكية "الغبية" في حربها مع العراق "هانزفون شبونيك" منسق المنظمة الدولية للمساعدات الإنسانية في العراق إلى تقديم استقالته من منصبه اعتراضاً على الممارسات الأمريكية البشعة التي كانت تمارسها في العراق..

وبسبب موقفه كان الرجل الذي يشغلُ منصباً حساساً ودولياً مرموقاً.. ومشهودٌ له بسعة الأفق دائماً.. وأبداً موضع نقد ممن يرون أن استمرار العقوبات هو ما سيؤدي إلى حل سياسي.. وحاول التعبير عن موقفه لتدارك ذلك إلا أنه كان يُجابه بالصِعاب.. في حين كان موقفه الرافض لكل ذلك يزيد من إصراره على قول الحقيقة:

وقال المنسق في أسباب استقالته:

لقد أوضحت للأمين العام للأمم المتحدة وقتها أن أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتني إلى الاستقالة يتعلق بموقفي من القرار الذي أصدره مجلس الأمن حول عمل البرنامج الإنساني في العراق.. فذلك القرار غير قابل للتطبيق.. واعتقد أنه سيمضي وقت طويل بلا تنفيذ الجوانب الإيجابية منه.. فالفقرة «٢٤» من القرار المذكور تنص على تخصيص القدر الأكبر من العائدات النقدية لتغطية احتياجات الشعب العراقي.. لكنني اعتقد جازماً أنه في ظل الظروف السياسية الراهنة سيمضي وقت طويل قبل أن يشعر الشعب العراقي بفوائد هذه الفقرة.. وأنا لا أرغب في أن أكون جزءاً من المعاناة المستمرة للشعب العراقي.. لأن الهموم الإنسانية اختلطت بمسألة نزع السلاح.

كما أننا وصلنا إلى نقطة لم يعد بوسعنا حيالها الاستمرار في الصمت.. بل كان يتحتم علينا أن نتحدث بصوتٍ عال.. ولكن ليس كمتحدثين باسم وزارة الخارجية الأمريكية.. أو وفقاً لما تريده واشنطن.. فالأمر ببساطة لا نقبل أننا أمام شعبٍ - يقصد الشعب العراقي - يعاني من الحرمان.. ويجب وضع حد لمأساته.

وحول مدى تدهور الوضع الإنساني في العراق آنذاك قال «هانس فون سبونك»[1]:

كانت الأرقامُ تتزايد على مختلف الأصعدة.. فعندما ننظر إلى نسبة الوفيات نستطيع رؤية المنحنى يتصاعد منذ عام ١٩٩١ حيث كان يموت ٦٥ طفلاً تحت سن الخامسة من كل ألف طفل.. وبعد مرور عشر سنوات وحسب ما أشارت إليه أرقام «اليونسيف»[2] ارتفع الرقم إلى مائة وواحد وثلاثين من بين كل ألف طفل.. أما بالنسبة لسوء التغذية فإنني لازلت أقول كل يوم بأن طفلاً من كل خمسة أطفال يذهب إلى النوم وهو يعاني من سوء التغذية.

وإذا نظرنا إلى نظام التعليم في هذا البلد.. سيكون من الصعب تفهم الوضع القائم.. فلا يوجد ما يكفي من الكتب وأقلام الرصاص والأثاث الأساسي للعملية الدراسية.. وغير ذلك فالوضع فيه نقص تام من جميع الأوجه.

أين الغذاء مقابل النفط؟

وعن الضغوط والعراقيل التي كانت تضعها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها في طريق توفير المعونات الإنسانية للعراقيين في ظل ما عُرِفَ وقتها ببرنامج «النفط مقابل الغذاء» قال :

كانت الموارد الشحيحة التي تأتي ضمن برنامج النفط مقابل الغذاء يستفيد منها الشعب العراقي - إن حدث ذلك - في وقتٍ متأخر.. وفي الغالب بعد فوات الأوان.. وذلك بسبب التأخر في إبرام الكثير من العقود.

---

(١) في حلقة خاصة أجرتها معه قناة «الجزيرة» وحاوره خلالها المذيع «جميل عازر» بتاريخ١٧ فبراير ٢٠٠٠

(٢) منظمة الأمم المتحدة للطفولة – اليونيسف – تعمل من أجل حقوق الأطفال في جميع أنحاء العالم.. بقاءهم.. تطورهم وحمايتهم.. مسترشدة باتفاقية حقوق الطفل الدولية.

وكانت هناك قاعدة لتنظيم البرنامج تقول: أنه كل ستة أشهر كان يقوم مسؤولون في هيئات الطاقة بترتيبات لخطة توزيع المواد.. ويتم توزيعها بالفعل.. لكنهم كانوا يتجاهلون تماماً الحاجة لتقديم مواد أساسية لقطاعات متعددة.. وقد أهملوا وتجاهلوا عنصر التدريب ومسألة تعبئة الكوادر والطاقات.. وبالطبع كان هذا الحال يفتقر إلى التخطيط.. فالاقتصاد لأى دولة هو في النهاية كيان واحد مترابط.. ويجب أن يتم التوزيع فيه وفقاً لربط المواد مع طبيعة الاقتصاد.. وكان موقف التقييم لا يُعطي معلومات مؤكدة عن المواد التي ستنقص في ذلك الوقت.. وهذا لا يسمح التخطيط بشكل موضوعى.. وكافٍ لمعرفة العلاقة مثلاً بين توفير وتوزيع «مادةٍ ما» تخص قطاع الكهرباء بمادة أخرى تخص المياه.. أو الصرف الصحي.. أو أية قطاعات أخرى.. فقد كان كل شيء يسير منفرداً ضمن تخطيط داخلى لقطاع واحد.. وهذا حرم البلد من المحافظة على الترابط الاقتصادي المطلوب

ولكن يجب ألا نقلل من شأن عامل آخر كان له علاقة بالمعاناة الإنسانية بصورتها الآنية.. وهو أن مجلس الأمن يحتجز كثيراً من المبالغ المخصصة لهذا البرنامج.. ففي قطاع الكهرباء مثلاً كان هناك الكثير من المخصصات المحتجزة.. وبخصوص قطع الغيار اللازمة للصناعات النفطية كنا نجد الحالة ذاتها.. وحتى في قطاع التعليم كان هناك وقتها محتجزات مضى عليها فترات طويلة.

ومن الناحية العملية كان الأمريكيون باعتبارهم المسئولين عن معظم المواد المحتجزة.يؤخرون توقيع العقود.. ولأنه لا توجد حدود زمنية.. فالوقت كان بلا نهاية بالنسبة لتوقيع العقود.. وقد يسفر بعض التأخير عن احتجاز دائم لبعض المواد.. وكانت حجتهم في ذلك عدم وجود معلومات كافية سواء من الموردين التجاريين.. أو من الوزارات العراقية المختصة.. لكن الحقيقة التي لم يكن أحدٌ لينكرها هي أن كثيراً من أسباب التأخير كانت تُعزى إلى القرارات التي كانت تتخذها السلطات الأمريكية بشكل أساسي.

ومن هنا نأخذ الخيط لنرى كيف بدأت مأساة تدمير العراق!!

والبداية

فالبداية إدارة الرأى العام العالمي ضد النظام العراقي.. وتصويره على أنه نظام معادي للديمقراطية داخلياً.. يرأسه حاكم ديكتاتورى طاغية.. يوجه ثروات بلاده النفطية لبناء ترسانة أسلحة نووية.. وكيميائية تهدد العالم أجمع.. وليس نطاق بلده الإقليمي فحسب..

وتشكيل الرأى العام العالمي باتجاه أن هذا النظام يجب إسقاطه.. أو على الأقل تحجيمه من خلال حصاره اقتصادياً.. وفرض الحظر التجارى.. والجوي على العراق..

ثم في عهد الرئيس الأمريكي «كلينتون»[1] أقر الكونجرس تخصيص مبلغ «٢٥» مليون دولار لإسقاط نظام الرئيس الراحل «صدام حسين».. وبناءاً عليه قامت بتجنيد عملاء لها لإشعال الفتن.. والتمرد على السلطات هناك.

وشيئاً.. فشيئاً دارت عجلة الحرب.. وبعيداً عن تفاصيل معارك وحروب إسقاط «صدام».. ونظامه نتحدث عن فواتيرها..

فاتورة الحرب الأولى على العراق

استخدم الجيش الأمريكي في حربه الأولى على العراق حوالي«٣٢٠» طناً من الرصاص المعروف بـ "D.U" والذي تصنعه أمريكا من نفايات مادة اليورانيوم المشع والذي ينشر غباراً كيماويا ساماً.. ومحرم استخدامه دولياً.. ولا زالت آثاره

(١) ويليام جيفرسون كلينتون «١٩ أغسطس ١٩٤٦» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثاني والأربعين.. انتخب لفترتين رئاسيتين متتاليتين بين عامي ١٩٩٣ و٢٠٠١ يعد ثالث أصغر رئيس للولايات المتحدة بعد ثيودور روزفلت وجون كينيدي. تولى الرئاسة بعد نهاية الحرب الباردة.. وهو زوج وزيرة الخارجية الأمريكية الحالية والمرشحة السابقة لانتخابات الرئاسة الأمريكية هيلاري كلينتون..ويعد من الديمقراطيين الجدد.. وتعد سياسته بخصوص اتفاق التجارة الحرة في أمريكا الشمالية هي أبرز ملامح فترته الرئاسية.. وعند تركه الرئاسة كان هناك فائض بالميزانية قدره ٥٥٩ مليار دولار. في فترة ولايته الثانية تمكن الجمهوريون من الوصول إلى الكونجرس بعد أكثر من ٤٠ عاماً.. في فترة ولايته الثانية قام مجلس النواب باتهامه بالتزوير وإعاقة العدالة.. إلا أن مجلس الشيوخ برأه من هذه التهمة.. وأكمل فترة ولايته. وبعد نهاية ولايته اتضح أن ٧٠٪ من الأمريكين لا يتفقون مع هذه التهم «نيويورك تايمز في ٢١ ديسمبر ١٩٩٨» وعند مغادرته للرئاسة كان يحظى بنسبة تأييد بلغت ٦٥٪. وهي النسبة الأعلى من أي رئيس أمريكي بعد الحرب العالمية الثانية.. أسس بعد نهايه ولايته مؤسسة ويليام ج. كلينتون لتعزيز الوقاية ضد الأمراض مثل العلاج والوقاية من مرض الأيدز. في عام ٢٠٠٤ أصدر سيرته في كتاب بعنوان "ماي لايف"

حتى اليوم باقية في العراق.. حتى أن الأضرار الخطيرة لهذا النوع من الرصاص ظهرت على آلاف الجنود الأمريكيين أنفسهم الذين شاركوا في حرب الخليج.. فما بالنا بمن كانت توجه إليهم أساساً تلك الذخيرة؟

لصوص الحضارة

وليت الأمر توقف عند هذا.. بل أن تلك الحرب أدت إلى قيام ضباط وجنود من الوحدات الأمريكية بسرقة الكثير من القطع الأثرية من مواقع أثرية ومتاحف عراقية.. وذلك باعترافهم أنفسهم.. وكان من فجر تلك الفضيحة هي صحيفة "شيكا جوتربيون" الأمريكية عام ١٩٩٢م.

الخطة قديمة وهذه هي الأدلة

لماذا العراق؟!

تعتبر الوسيلة التي تم بها تدمير العراق خلال حُقبتي الثمانينيات والتسعينات من أكثر الخطط الحربية والاستخباراتية دهاءاً وذكاء.. كما لعب الإعلام في هذه الخطة «الأمريكية- الإسرائيلية» الدولية دوراً محورياً لايمكن تجاهله..

وإذا عدنا بالذاكرة للوراء قليلاً نجدُ ملامح ثورة «تموز» لإسقاط النظام الملكي في العراق قد بدأت بدعم أمريكي مباشر تجاه التوجه الشيوعي الذي كان متوهجاً بقيادة «عبدالكريم قاسم»[1] وبدعم من السوفييت وبملامح

---

(١) عبد الكريم قاسم بن جاسم بن بكر بن عثمان الزبيدي "١٩١٤ - ١٩٦٣" من أهالي مدينة الصويرة في واسط بالعراق.. وهو رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة.. ووزير الدفاع في العراق من ١٤ يوليو ١٩٥٨ وحتى ٩ فبراير١٩٦٣ حيث أصبح أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي.. كان عضواً في تنظيم الضباط الوطنيين أو "الأحرار" وقد رشح عام ١٩٧٥ رئيساً للجنة العليا للتنظيم الذي أسسه العقيد رفعت الحاج سري الملقب بالدين عام ١٩٤٩م ساهم مع قادة التنظيم بالتخطيط لحركة أو ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قام بتنفيذها زميله في التنظيم عبد السلام محمد عارف والتي أنهت الحكم الملكي وأعلنت قيام الجمهورية العراقية.. عُرِفَ بوطنيته وحبه للطبقات الفقيرة التي كان ينتمي إليها.. ومن أكثر الشخصيات التي حكمت العراق إثارةً للجدل حيث عرف بعدم فسحه المجال للاخرين بالإسهام معه بالحكم واتهم من قبل خصومه السياسيين بالتفرد بالحكم حيث كان يسميه المقربون منه وفي وسائل إعلامه "الزعيم الأوحد "ويعتقد أنه تم اغتياله على يد عبد الرحمن عارف وغيره من مساعديه.. حكم العراق ٤ سنوات و ٦ أشهر و ١٥ يوماً.. حدثت إبان حكم قاسم مجموعة من الاضطرابات الداخلية

طموحة ووثابة حيث كان هدفها ليس فقط تطوير العراقيين وتخليصهم من الجهل والفقر فحسب.. بل تحويل العراق إلى قوة إقليمية ودولية عظمى مشكلاً محوراً للتوازن في المنطقة مع إسرائيل.

ونجحت الثورة في عهد «أحمد حسن البكر»[1] في ذلك إلى حد كبير.. واستطاعت نشر التعليم ومكافحة الجهل في أوساط العراقيين.. حتى صار العراق البلد الوحيد في المنطقة التي تخلو من الأمية.. بل واستطاع خلق مناخ تعليمي متطوراً.. وفريداً من نوعه.. حتى صار التعليم فيه من الروضة وحتى مرحلة الدراسات الجامعية العليا مجاناً لكل فئات الشعب العراقي.. وهو شيْ مفتقد حتى بالنسبة لدولٍ عظمى كالولايات المتحدة.

ليس هذا فحسب بل قام بإنشاء مدارس خاصة للنابغين والموهوبين الذين كان يتم إرسالهم على نفقة الدولة لإتمام مراحلهم الدراسية في جامعات أمريكا وكندا.. وأوروبا.. والاتحاد السوفييتي.. ليرجعوا إلى بلدهم مُحملين بكل ما تعلموه في الخارج من علوم متقدمة.. وكان العلاج مجاناً كذلك لكل العراقيين.

جعلت فترة حكمه غير مستقرة على الصعيد الداخلي.. أما على الصعيد الإقليمي فقد أثار موقف عبد الكريم قاسم الرافض لكل أشكال الوحدة مع الأقطار العربية - ومنها رفضه الانضمام إلى الاتحاد العربي الذي كان يعرف بالجمهورية العربية المتحدة التي كانت في وقتها مطلباً جماهيرياً - خيبة أمل لدى جماهير واسعة من العراقيين ومراكز القوى والشخصيات السياسية العراقية والعربية ومنها الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

(١) انضم البكر إلى الأكاديمية العسكرية العراقية عام ١٩٣٨ بعد أن عمل كمعلم لمدة ٦ سنوات.. واشترك في بدايات حياته العسكرية في حركة رشيد عالي الكيلاني ضد النفوذ البريطاني في العراق عام ١٩٤١ التي باءت بالفشل.. فدخل السجن.. وأُجبرَ على التقاعد.. ثم أُعيدَ إلى عمله عام ١٩٥٧ وانضم إلى تنظيم الضباط الوطنيين الذي أطاح بالملكية في العراق عام ١٩٥٨ ثم أُجبرَ على التقاعد مرة أخرى عام ١٩٥٩ بسبب ضلوعه في حركة الشواف في الموصل ضد عبد الكريم قاسم.. وكان عضواً بارزاً في حزب البعث.. نظّم في ٨ فبراير ١٩٦٣ حركة مسلحة بالتعاون مع التيارات القومية وعسكريين مستقلين أدى إلى الإطاحة بالحكومة العسكرية لرئيس الوزراء عبد الكريم قاسم..وأصبح البكر رئيساً للوزراء لمدة ١٠ أشهر بعد حركة ١٩٦٣ حيث أطاح عبد السلام عارف بحكومة حزب البعث في حركة ١٨ تشرين بعد سلسلة من الإخفاقات والانشقاقات تعرض لها حزب البعث على خلفية أعمال العنف التي مارستها مليشيا حزب البعث الحرس القومي.

كان الشعب العراقي في ذلك العهد مرفهاً.. مستتيراً عكس كثيرٍ من الدول المجاورة له.. وكانت للعملة العراقية قوةً كبيرة مقارنةً بالدولار..

واندلعت نهضة صناعية وزراعية لم يسبق لهما مثيلاً.. حتى كادت ثورة يوليو أن تضاهي الثورة «المايوية»[1] في الصين الشعبية.. فأُنشأت المصانع الكبرى كالحديد والصلب.. والصناعات النفطية.. ومنشآت الأغلال والمحاصيل.. وتحقيق الاكتفاء الذاتي الزراعي عبر دعم المزارعين وتزويدهم بأحدث أدوات الزراعة والإنتاج والأسمدة الكيماوية..

وشُيدَتْ مصانع الأدوية.. والغذاء.. وأدوات البناء.. والطرق.. والشوارع.. والجسور.. وصار العراق على أعتاب التحول إلى دولة صناعية متقدمة وناهضة كـ «ماليزيا» و«تايوان».

وحرص العراق على ربط كل هذا التقدم برابط عسكري متين عبر تأسيس جيش عسكري.. وأمن داخلى قويان مما أثار مخاوف إسرائيل وحلفائها في كل مكان.

مرحلة صدام

وبرز التركيز على هذا الجانب العسكري في عهد «صدام» الذي اعتبر ثورة داخل ثورة في حد ذاتها.. فمنذ اللحظة الأولى من تقلده مقاليده مواقع اتخاذ القرار حرص على تخصيص «٥٪» وبشكل سري من عائدات النفط لصالح بناء برنامج نووي عراقي متكامل.. وقام بزيارة سرية أبان كان نائباً لـ«أحمد حسن البكر» إلى فرنسا لشراء أول مفاعل نووي عراقي.

وتعرضت فرنسا إلى ضغوط إسرائيلية وأمريكية رهيبة لإلغاء الصفقة.. ولكن لم ترضخ فرنسا للضغوط بسبب ضخامة الصفقة التي يسيل لها اللعاب أولاً.. واتفاق فرنسا السري مع إسرائيل على تزويد المفاعل بجهاز تتبع سري تكنولوجي يتيح للمقاتلات الإسرائيلية تحديد موقعه وتدميره مستقبلاً وهو ما

(١) نسبةً إلى الزعيم الشيوعي الصينى الكبير «ماو تسى تونج».

تم فيما بعد بالفعل عام ١٩٨٢ عندما استطاع الطيران الإسرائيلي تحديد موقع المفاعل السري بكل سهولة.. ومن ثم تدميره.

واهتم «صدام» بتزويد جيشه بأحدث الأسلحة والمعدات وتوفير أحسن التدريبات لضباطه في الخارج ولاسيما في الاتحاد السوفييتي..

وتلقى ضباط الأمن العراقيين تدريبات عالية المستوى على يد ضباط «K.G.B» السوفييت.. حتى صارت المخابرات العراقية واحدةً من أقوى أجهزة المخابرات في المنطقة.. وصار الموساد محبطاً وعاجزاً أمامها وهو يرى جواسيسه وعملاءه يتم القبض عليهم الواحد تلو الآخر.. ومن ثم إعدامهم من قِبل السلطات العراقية.. وصار للعراق جيشين:

جيش أمني وعسكري يشكل الحرس الجمهوري أقوى أعمدته..

وجيش آخر من العلماء والمهندسين والفنيين الذين بإمكانهم تصنيع قنبلة نووية إن أُتيحت لهم الظروف الملائمة والأدوات الضرورية..

كما قام العراق بإنشاء هيئة للتصنيع العسكري.. وهي منظومة فريدة من نوعها في المنطقة تقوم على مبدأ اكتفاء العراق ذاتياً من الأسلحة.. ومجابهة ظروف الحصار العسكري الذي فرضه المجتمع الدولي على العراق وإيران أثناء الحرب الأولى.

كما صار العراق منارةً للعلوم العسكرية يؤمها الضباط من مختلف الدول العربية ليتلقوا تدريبات مجانية على أيدى أكفأ الخبراء.

كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تراقبان العراق عن كثب وقلق.. فرغم محاولة إلهائه بحرب جانبية مع جارته إيران.. إلا أن هذه الحرب ساعدت على تقوية جيشه وأمنه أكثر من ذي قبل.. بل استغل الدعم السري غير المحدود الذي كان يأتيه من الغرب والدول العربية المعادين والمتخوفين من إيران لبناء ترسانة من أسلحة الدمار الشامل.. وكان العراق يتحجج حينها بأنه سوف يستخدمها تجاه الجيش الإيراني في أوقات الضرورة.. وأن هذه الأسلحة هي إجراء تكتيكي لردع إيران.. وأنه سرعان ما سيوقف إنتاج هذه الأسلحة فور انتهاء

الحرب.. وانتهت الحرب دون أن يتخلص منها.. وزادت المخاوف قبل ذلك عندما استخدم الجيش العراقي غاز الأعصاب ضد الأكراد في شمال العراق.

وتخوف الإسرائيليون من ذلك.. ودارت في مخيلتهم التساؤل التالي:

إذا كان هذا النظام لايتورع عن استخدام غاز الأعصاب ضد شعبه الأعزل.. فما الذي سيمنعه من استخدامها ضد الشعب الإسرائيلي إن أراد ذلك؟

ورصد الموساد رد «صدام» الشهير على شائعة رغبة إسرائيل بضرب منشآت عراقية بقوله أنه يستطيع بضغطة زرٍ واحدة أن يحرق نصف إسرائيل بالنار ـ أي الأسلحة الكيمائية ـ ومن المفارقات الغريبة التي حدثت فيما بعد أنه تم محاكمة «صدام» في نفس المكان الذي أطلق منه تهديده؟

ونعود للبداية

وثانيةً نعود للبداية: حيث تشير الحقائق أن خطة تدمير الجيش العراقي بدأ الترتيب لها منذ عام ١٩٨٥ عندما بدأ الجيش الأمريكي بالإعلان عن تقديم هبات مالية تعليمية لكل من يتقدم للحاق بصفوفه.. فعمل على تعبئة صفوفه دون أن يخطر على بال أحد أن الجيش الأمريكي كان يستعد لخوض حرب مستقبلية ضد الجيش العراقي الذي أثارت قوته غير المتوقعة مخاوف الأمريكيين والإسرائيليين.. ومورست ضغوط لتحجيم دور العراق إقليمياً.. وتعطيل نموه المُطرد الذي قد يدفع بعناصر يسارية وقومية عربية لاعتلاء سدة السلطة في البلدان النفطية.. ولكن لم تفلح تلك الجهود.. وكانت فكرة القيام بدعم عملية انقلابية مستحيلة تماماً في كنف نظام تلقى أفراد أمنه وجيشه تدريبات رفيعة المستوى بالاتحاد السوفييتي السابق.. وكان لابد من الحرب.

واستُخدِمَتْ الكويت كطعم لدفع العراق نحو حرب ساحقة.. فقامت الاستخبارات المركزية وبمساعدة الموساد باستقطاب دول عربية.. ودفعها لتعويم سعر النفط من أجل تدمير الاقتصاد العراقي.. وكانت بعض الدول سعيدة بالقيام بهذا الدور الذي يمكن أن يزيح عن كواهل زعمائها شعورهم المطرد

بالقلق تجاه النمو المتعاظم للعراق وما يمكن أن يشكله من تهديد للأنظمة العربية وخاصة الخليجية.

ولعبت الكويت الدور الرئيسي في هز أسعار النفط.. ومورست أدوارٌ استفزازية دقيقة اعتمدت على التحليل النفسي من قبل خبراء الوكالة لشخصية «صدام حسين».. وأتى ولي العهد الكويتي إلى «جدة» لمقابلة «عزة الدوري»[(1)] بعد أن حفظ عن ظهر قلب ترديد السباب الذي رأى خبراء وكالة الاستخبارات المركزية أنه بكفيل باستفزاز «صدام» ودفعه للقيام بعمل أحمق.. وتم السيناريو المرسوم بعناية.. وتظاهرت السفيرة الأمريكية في بغداد"جلاسبي" بالبراءة عندما ألمح «صدام» في اجتماعه معها على غزو الكويت.. وكانت صور الأقمار الصناعية المزورة قمة الدهاء في الخطة المرسومة والتي ألمحت للسعوديين من خلالها أن العراق يهم بغزو السعودية.

وما هي إلا أيام قلائل حتى توافدت الحشود الأجنبية إلى منطقة الخليج بسرعة فائقة.. وكأنها كانت تخشى أن يتراجع «صدام» عن غزوه فتنهار الخطة عن بكرة أبيها.. وكانت الاستجابة العسكرية تتمثل في سرعة «توافد الحشود» و(العقوبات الاقتصادية).. وبداية«الحصار الدولي» أكبر دليل أنه كانت هناك

(1) عزة إبراهيم الدوري «مواليد ١٩٤٢» كان الرجل الثاني إبان حكم صدام حسين حيث شغل مركز نائب رئيس مجلس قيادة الثورة وقبلها عدة مناصب من بينها منصب وزير الداخلية ووزير الزراعة.. وحمل رتبة النائب العام للقوات المسلحة بعد أحداث الكويت.. وقد كان مُلازماً لصدام مثل ظله منذ اندلاع ثورة ١٩٦٨ وحتى يوم إلقاء القبض على صدام حسين ومن بين المهمات التي أنيطت به قبيل دخول قوات الاحتلال الأمريكي إلى العراق في أبريل سنة ٢٠٠٣ القيادة العسكرية للمنطقة الشمالية.. ولدى اندلاع حرب الخليج عام ١٩٩١ نقلت عنه صحيفة نيويورك تايمز تحذيره للأكراد من إثارة أي متاعب للحكم في بغداد.. مذكرا بالهجمات الكيماوية على بلدة حلبجة عام ١٩٨٨ التي تسببت في مقتل آلاف الأكراد.. والحقيقة أن عزة إبراهيم كانت له علاقات مميزة مع كثير من الأكراد وكان يردد كثيراً في حياته هذه الحادثه لإبعادهم بشتى الطرق التي قد تؤدي إلى أحداث مثل أحداث حلبجة.. وكان المفاوض الرئيسي مع الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح من الكويت لحل المشاكل الحدودية.. والتي أدت إلى الحرب بين البلدين.. وجرت تلك المفاوضات برعاية خادم الحرمين الشريفين آنذاك الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.. وكان الوحيد من زعماء العرب الذي قام بمحاولة إصلاح البين عندما حصل الخلاف بين العقيد القذافي والامير عبد الله ولي عهد السعودية في قمة لبنان العربية.

دراية مسبقة بموعد هذا الغزو.. وبالتالي كان عليهم سرعة الاستعداد لتبعاته.. ووفقاً للخطة المرسومة فإن شعور العراق بالعزلة سوف يدفعه لإعادة النظر في غزوه الكويت.. وبالتالي تنهار خطة تدمير العراق.. لذا فتم تكليف بعض الزعماء العرب بلعب دور مسرحي يتمثل بالتظاهر بدعم العراق في غزوه.

إذن فإن حرب الخليج الثانية لم تكن بدافع طرد القوات العراقية من الكويت وإنما كانت بغرض تدمير الجيش العراقي وتدمير البنية التحتية للعراق بحيث لا يتمكن من إعادة بناء قدراته العسكرية وذلك استناداً إلى التالي:

أولاً: اللهجة العنيفة والشرسة من قبل الإدارة الأمريكية لحث «صدام» على الانسحاب.. وهي لهجة كانت تتسم بالعناد والخشونة ولاتتوافق مع شخصية «صدام حسين» العنيدة.. مالم يكن الغرض من تلك اللهجة هو إبقاء «صدام» على قواته في الكويت وتشجيعه على الاستمرار في الخطأ.

ثانياً: كان بإمكان الأقمار الصناعية الأمريكية رصد دخول القوات العراقية إلى الكويت ومحاولة إيقاف ذلك منذ البداية.

ثالثاً: تجاهل تلميحات «صدام» بغرضه بغزو الكويت والتعامل مع هذا الأمر بسهولة شديدة من قبل السفيرة الأمريكية في بغداد وإدارة بوش الاب.

رابعاً: إعلان بغداد وقف اطلاق النار والرغبة بالانسحاب من الكويت بعد قمة موسكو بين وزيري الخارجية العراقي والسوفييتي في فبراير ١٩٩١ ورغم ذلك استمرت قوات التحالف بشن عملياتها.

خامساً: المهلة الطويلة التي منحت للعراق للانسحاب من الكويت لم تكن بغرض إعطاء العراق الفرصة الأخيرة.. وإنما كانت بغرض إعطاء جنود التحالف فرصة كافية للتكيف مع الأجواء والصحراء العراقية.. والتدريب.

سادساً: استهداف غير مبرر لعدد من المنشآت المدنية والصناعية والبنية التحتية لم يكن هناك مايبرر تدميرهم.. كان لدى قوات التحالف اشتباه بأن

للعراق برامج تسلح سرية.. أو أنه كان يخفي شيئاً.. لذا فقد كانوا يقصفون أهدافاً عشوائية غير مركزة.

سابعاً: مجزرة طريق الموت التي نتجت عن قصف بقايا القوات العراقية الفارة والمنسحبة.

ثامناً: كانت منشآت تصنيع الأسلحة البيولوجية الهدف الأول خلال أيام القصف الأولى.. مما يكشف الأهداف الاساسية للحرب.

نستنتج مما سبق أن «صدام حسين» قد ارتكب أخطاءاً تكتيكية وسياسية فادحة تمثلت فيما يلي:

أولاً: فخ الكويت والدخول في حرب كان يمكنه تجنبها.

ثانياً: تأميم النفط الذي أضر بمصالح الكثير من الشركات الغربية والمعروف بسطوتها على حكوماتها.. فالحزب الشيوعي العراقي بقيادة «عبدالكريم قاسم».. والذي كان يسارياً أكثر من «حزب البعث» نفسه والذي كان مدعوماً من الاتحاد السوفييتي لم يكن يجرؤ على تأميم النفط لمعرفته بمدى خطورة ذلك على الأمن القومي العراقي.. كان بإمكان العراق أن يعمل على تأميم نفطه عندما يُكمل بناء منشآته التحتية.. ولكنه استمر على ذلك النهج الذي جلب له الدمار.

ثالثاً: عدم التخلص من الأسلحة الجرثومية فور توقف حربه مع إيران.

رابعاً: تبني مواقف قومية متشددة.. ولعب دور شرطي القومية العربية.. ما زاد من مخاوف إسرائيل الحليف الاستراتيجي لأمريكا.

خامساً: بقاءه في السلطة فور انتهاء الحرب.. ما برر استمرار الحصار ووقوع الغزو.

سادساً: فور انتهاء الحرب لم يقم بإجراء تغييرات جذرية تستهدف الانفتاح الاقتصادي وتحرير السوق والسماح بتشكيل أحزاب سياسية وفتح مجال الحريات.

سابعاً: كان يجب أن يصيغ طموحاته وفقاً للواقع وليس العكس.. أي تطويع الطموحات وفقاً للواقع المعاش.

«بلاك ووتر»: صعود أقوى جيش مرتزقة في العالم..

ثم جاء اجتياح أمريكا للعراق.. الذي تحول فيما بعد إلى ورطة كبيرة بالنسبة للجانب الأمريكي.. وبسبب صعوبة التورط الأمريكي المباشر في العديد من مناطق الصراع في العالم.. عندت الولايات المتحدة – والعديد من الدول الأوروبية أيضاً – إيكال العديد من مهام القتال القذرة لشركات مرتزقة أمريكية.. أبرزها «دين كورب» و«بلاك ووتر» – التي غيرت اسمها مؤخراً بعد الكشف عن مشاركتها في تعذيب محتجزين لديها إلى اسم جديد هو «X.e».

رغم أن شركة «بلاك ووتر» Black water «المياه السوداء» لخدمات المرتزقة والحماية.. نشأت عام ١٩٩٦- ١٩٩٧ فلم يسمع عنها أحد سوى حينما نشرت وسائل الإعلام العالمية في ٣١ مارس ٢٠٠٤ خبر وصور قتل أربعة من "المدنيين الأمريكان" الذين كانوا يجوبون وسط مدينة الفلوجة العراقية في سيارة رباعية الدفع.. وظهور صور جثثهم المحروقة والمسحولة على شاشات التلفزيون في جميع أنحاء العالم.. ليتبين لاحقاً أنهم من المرتزقة العاملين في هذه الشركة.. وليسوا مدنيين.

يومها كشفت صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" أن خصخصة الحرب الأمريكية في العراق قطعت شوطاً طويلاً منذ توقيع عقد بقيمة ٣٠٠ مليون دولار بين وزارة الخارجية الأمريكية و«بلاك ووتر» لحراسة «بول بريمر» الحاكم الأمريكي السابق للعراق والسفير الأمريكي في بغداد «زلماي خليل زادة».. وقالت أنه ومن أجل خلق الحوافز لجذب المرتزقة بعقود خاصة في ظروف الحرب.. تدفع شركة «بلاك ووتر» ٣٥٠ ألف دولار سنوياً للمتعاقد مقارنة بـ٣٦ ألف دولار سنوياً متوسط راتب الجندي في الجيش الأمريكي النظامي مما يغري المحترفين العسكريين علي اللحاق بها.

هنا فقط تذكر العراقيون مئات المذابح والتفجيرات التي جرت على يد هؤلاء المرتزقة وهذه الشركة.. التي لم ينسوها خصوصاً أن مرتزقة هذه الشركة عادوا للانتقام من سُنة الفلوجة العراقيين.. وحولوا "مدينة المآذن العراقية" لخراب.

فالجيش الأمريكي ومرتزقته من العسكريين المحترفين ضمن القوات الخاصة الأمريكية الذي سبق أن خدموا في الجيش والبحرية الأمريكية في عدة أماكن في العالم ومنها أفغانستان والصومال وكذا مرتزقة صهاينة.. قاموا عقب تلك الحادثة بحملتين عسكريتين كبيرتين أدتا إلى تدمير الفلوجة تدميراً كاملاً.. واستشهاد وتشريد عشرات الألوف من سكانها الذين استعمل المرتزقة ضدهم الأسلحة المحرمة دولياً.. بل إن الاحتلال الأمريكي عهد إلي هذه الشركة الأمنية - التي تعمل بسرية بالغة – بكل العمل القذر في العراق وتصفية وقتل العراقيين وتعميق الصراع بين السُنة والشيعة.. لأن مثل هذه الشركات ومرتزقتها لا تتحمل أي عواقب أو متابعات قانونية إذا ما اكتشفت أعمالها الإجرامية.. وسيسهل على الاحتلال الأمريكي نفي صلته بهذه الأعمال والزعم أنها من قِبل «إرهابيين»..

ومع أن موقع شركة «بلاك ووتر» على الانترنت لا يعطي الكثير من المعلومات عن نشأتها وأعمالها القذرة.. فقد نشر الصحفي الأمريكي "جيريمي سكاهيلل" كتاب مخصص عنها باسم : "**«بلاك ووتر»: صعود أقوى جيش مرتزقة في العالم**".. شرح فيه نشأتها وتحدث عن أنشطتها القذرة في العالم وخصوصاً العراق.

حيث يقول «جيريمي سكاهيلل» أن «بلاك ووتر» تأسست عام ١٩٩٦- ١٩٩٧ من قِبل "«إريك برنس»" الذي كان أحد أغنى الأغنياء الذي خدم في القوة البحرية الأمريكية الخاصة كـ «نيفي سيل».. وأن المكان الذي أسست فيه مؤسسة «بلاك ووتر» كانت قطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ هكتار قرب مستنقع ديسمال "كئيب" في ولاية كارولاينا الشمالية ومُولت من قبل الثروة الخاصة لـ«إريك برنس»..

رجل متعصب

ويقول «جيريمي سكاهيلل» أن «إريك برنس» من سلالة مسيحية يمينية غنية جداً في بلدة هولندا الواقعة في ولاية ميشيجان الأمريكية.. ووالده يدعى «إدجار

برنس».. وكان بدوره رأسمالياً طموحاً بنى مؤسسة كبيرة جداً تدعى «برنس مانيوفاكتشرنج كورب» لصناعة أجزاء مهمة تدخل في صناعة السيارات.

وقد نشأ الشاب «إريك برنس» طموحاً مندفعاً.. وكانت عائلته صارمة التدين.. وكان «إيريك» ميالاً إلى السياسة منذ صغره.. وراقب والده حينما كان يستعمل الشركة كمحرك لتوليد النقد المالي لتمويل نشوء وصعود ما يعرف اليوم بـ «اليمين المسيحي المتطرف» في الولايات المتحدة.

وقد تبرع والده «إدجار برنس» بالمال الوفير إلى «جاري بويير» لتأسيس ما سُمِيّ لاحقاً بـ«مجلس البحث العائلي» وهو مجلس ديني يستهدف الحفاظ على القيم المسيحية ويرفض العلمانية المسيحية.

وكان الشاب «إريك برنس» ضمن المجموعة الأولى من الذين انضموا لهذا المجلس.. كذلك تبرعت عائلته بأموال كبيرة إلى «جيمس دوبسون» ومجموعته التي تدعى «فوكاس أون فاميلي» أو «مركز نشاط العائلة» والتي تعتبر الآن شبكة تنظيم إنجيلية رئيسية في الولايات المتحدة تسمى «برابر وريارز» أي «جنود الصلاة».

ويقول الصحفي الأمريكي «جيريمي سكاهيلل» أن الشيء الذي يدعو إلى الاهتمام هنا هو أن أخت «إريك برنس» - اسمها "بيتسي"- متزوجة من «ديك ديفوس» الذي ينتمي إلى عائلة نافذة جداً في ميتشيجان.. وتمتلك مؤسسة «أميواي كورب» المختصة بصناعة منتجات الخدمات المنزلية وأن هذه العائلة تستعمل مؤسستها ليس لبيع إنتاجها وخدماتها فقط.. بل أيضاً لبيع ونشر أجنداتهم السياسية لتأُييد صعود اليمين المسيحي وما يسمى بـ «ثورة الجمهوريين».

وقد عمل «إريك برنس» – صاحب «بلاك ووتر» - كمتدرب في البيت الأبيض في عهد الرئيس «جورج بوش الأب» لكنه اشتكى من أنه لم يكن يميني محافظ" بدرجة كافية.. كذلك عمل كمتدرب لعضو الكونجرس اليميني المحافظ لولاية كاليفورنيا «دان رورباخر» الذي بعد تركه العمل مع الرئيس رونالد ريجان كمستشار وكاتب خطابات ذهب إلى أفغانستان للالتحاق بالمجاهدين الأفغان وقت أن كانت أمريكا تساعدهم بالسلاح لهزيمة الاحتلال السوفييتي.. وقبل أن يصبح عضواً في الكونجرس الأمريكي.. وذهب «إريك

برنس» أيضاً إلى أفغانستان في أيام شبابه قبل التحاقه بالقوات البحرية الخاصة "المارينز" وكان يتفاخر بأنه وقف بجانب المجاهدين الأفغان الذين يحاربهم الآن من خلال مرتزقة شركته«بلاك ووتر» .

وعندما أسس «إريك برنس» شركة «بلاك ووتر».. مستفيداً من جمعه بين عدة خبرات سياسية ودينية وعسكرية.. ضم معه عدداً من رجال القوات الخاصة السابقين من ذوى اليمين المسيحي المتطرف.. بهدف بيع الخدمات الأمنية والتدريب العسكري.. ولهذا نجحت علاقات غالبية هؤلاء المتعاونين معه ومع إدارة بوش اليمينية في تأمين عمل ضخم لهذه الشركة جعلها من كبري شركات المرتزقة في العالم.. بالرغم من أنها ليست الأولى العاملة في هذا المجال.

ومن المدراء التنفيذيين الأقوياء في شركة «بلاك ووتر» شخص اسمه «جاي كوفر بلاك» الذي عمل كمسئول كبير في إدارة بوش.. كما عمل سابقاً لمدة ثلاثين عاماً في جهاز المخابرات المركزية الأمريكية.. وكان «كوفر بلاك» هو أحد مسئولي المخابرات المركزية الرئيسيين في أفريقيا خلال العقدين السابع والثامن من القرن الماضي.. ووصل إلى السودان في أوائل التسعينيات متنكراً تحت غطاء دبلوماسي لمتابعة فعاليات واصطياد الإرهابي العالمي «كارلوس»[1]..

وتعرض «بلاك كوفر» لمحاولة قتل من جماعة «بن لادن» حينما علموا أنه كان يعمل لصالح المخابرات المركزية.. وفي نفس الوقت كانت المخابرات المركزية تُعِدُ العُدة لقتل «بن لادن» وإلقاء جثمانه في حديقة السفارة الإيرانية في الخرطوم لرمي اللوم على إيران وعملائها النشطين في السودان.

بعدها انتقل «كوفر بلاك» للعمل في أمريكا اللاتينية.. ولكن قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أُعيد إلى الولايات المتحدة.. وتم تعيينه رئيساً لمركز مكافحة الإرهاب التابع لوكالة المخابرات المركزية..

وهو أيضاً المسئول عن النشاط السري «إكسترا أوردينيري ريندشن» الذي تقوم به وكالة المخابرات المركزية.. ويشمل اختطاف ونقل السجناء العرب والمسلمين من مختلف الدول.. ونقلهم إلى سجون سرية في دول أخرى في أوربا الشرقية

(١) قصته بالتفصيل في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان).

وبعض الدول العربية والأفريقية لتعذيبهم والحصول منهم على معلومات استخباراتية تحت التعذيب.

ومن مخضرمي شركة «بلاك ووتر» أيضاً «روبوت ريتشر» وهو عضو في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً.. وبمساعدة «إيرك برنس» وقد أسسا شركة جديدة ضمن مجموعة «بلاك ووتر» تدعى «توتال إنتيليجينس سوليوشن» لخصخصة الحصول على المعلومات الاستخبارية.

وتمتلك شركة «بلاك ووتر» أسطول جوي مكون من أكثر من «٢٠» طائرة نقل بعضها مشابه للطائرات التي تستُعمل في عمليات"إكسترا أوردينيري ريندشن" وكذلك طائرات عمودية تعمل في العراق أيضاً لنقل الجنود.. والمرتزقة.. والقيام بعمليات عسكرية وأمنية لقتل العراقيين خارج نطاق فعاليات الجيش النظامي الأمريكي وبعيداً عن النظم والقوانين التي تتحكم بالعمليات العسكرية النظامية أو حتى المدنية منها.

وقد أهلت هذه العلاقات بين مسئولي الشركة والإدارة والمخابرات الأمريكية.. شركة «بلاك ووتر» للحصول علي عقود بأرقام وهمية للجيش الأمريكي بشكل مباشر.. وكذلك عقود مع وزارة الخارجية الأمريكية..

وشأنها شأن بقية شركات المرتزقة التي تتهرب من العدالة الدولية.. تعمل «بلاك ووتر» منذ عام ٢٠٠٤ على وضع مرتزقتها وقواتها تحت مجموعة القوانين الموحدة للعدالة أو القضاء العسكري.. المعروفة باسم نظام المجلس العسكري.. وتستفيد من تصنيفات سابقة ذكرها وزير الدفاع الأمريكي السابق «دونالد رامسفيلد» لمرتزقتها باعتبارهم ضمن تعداد القوات الأمريكية في العراق التي تقول إدارة بوش أنهم فوق المساءلة القانونية.

«بلاك ووتر» في العراق

ويعتبر عمل هذه الشركة في العراق هي الفرخة التي تبيض ذهبا لها.. فقد تسلّمت شركة «بلاك ووتر» ٥٠٥ مليون دولار على شكل عقود خاصة من الحكومة الأمريكية منذ عام ٢٠٠٠ ونجحت في بناء قاعدة لجيش خاص من المرتزقة في أماكن تواجدها.. مزودة بطائرة بوينج ٧٢٧ وطائرات هيلوكوبتر ومدرعات.. مع جيش يضم ٢٠ ألفاً من المرتزقة.

وتحرص الشركة ومثيلاتها على إقامة قواعدها في منطقة يزعمون أنها لا تعود لأحد غير خاضعين للقانون المحلي الأمريكي.. أو الدولي.. أو حتى معاهدة جنيف.. مما يجعل غياب الإطار القانوني فرصة سانحة لارتكاب كل ما يحلو لها من فظائع أثناء تنفيذها لمهام عملها.

وفرعها في العراق يرأسه ضُباط أمريكيون وتمتلك الأسلحة الثقيلة والمتوسطة واللوجستية.. ولديها صواريخ مضادة للدروع والدبابات غير مسجلة مع القوات متعددة الجنسيات الموجودة في العراق برعاية الولايات المتحدة.. وجندت الشركة ما يقرب من ٤٥٠ من المرتزقة من القوات الخاصة وعناصر العمليات الخاصة المتقاعدين في الجيش الأمريكي لتستخدمهم سلطات الاحتلال لحماية موظفيها العاملين في العراق.. وهم مرتزقة مدججون بالأسلحة والأجهزة الفتاكة.. ويرتدون ملابس مدنية.. ورغم السرية التي تحيط بها عملها فقد اتهمت الشركة بأنها وراء تفخيخ «١٧» سيارة مرةً واحدة في بغداد يوم الأربعاء ١٤سبتمبر سنة ٢٠٠٥م حيث أن التحليل المنطقي الذي استند عليه الخبراء في تحليلهم لهذه الأحداث والعمليات أنها تمت في توقيتات متلاحقة ومتقاربة جداً.. وفي مدينة واحدة رغم مراقبة الأقمار الصناعية وعلى مدار الـ٢٤ ساعة.. وتحت سمع وعيون جيش الاحتلال.. وإن ذلك يدل على أن من قام بذلك هي جهات مدربة ولها إمكانيات واسعة.. وليس مجرد مقاومة محاصرة.

كما أُتهمت الشركة بأحداث تفجيرات متعددة في مناطق «تل عفر» و«الرمادي» و«القائم» و«كربلاء» و«هيت» و«الحُصيبة» وغيرها من المدن العراقية.

لمحات من مذابحهم في العراق

مجزرة"عملية الرمح"

مع الساعات الأولى لأحد أيام الجمعة.. وَسَّعَتْ قوات الغزو الأمريكية/البريطانية من عدوانها على مدينة «القائم» والبلدان المجاورة لها.. وبدأ حوالي ألف جندي من قوات المارينز المدعومة بغطاء جوي.. وطائرات «١٦F» الأمريكية مضافاً لها طائرات تورنادو البريطانية.. وأعداداً كبيرة من الدبابات والمدافع وناقلات الجنود.. مجزرتها المسماة "عملية الرمح" بحق السكان المدنيين في منطقة غرب العراق الملاصقة للحدود السورية.. تحت ذرائع ممجوجة وواهية

من بينها: مقاتلة المحاربين الأجانب.. إنهاء حالة التمرد.. وضرب شبكة الدعم للمتمردين في منطقة الكرابلة ومحيطها..

مجزرة "الماتادور"

إنه نفس السيناريو الذي حرك قبلها نفس القوات قبل خمسة أسابيع فقط في مجزرة أخرى تسمى "الماتادور" وعند تصاعد العمليات الأمريكية الوحشية في ذات المنطقة في الحادي عشر من الشهر الحالي.. مما يؤكد على أن كل أشكال التدمير والقتل الفاشية التي تلجأ لها قوات الغزو في مواجهتها لرفض السكان للاحتلال ومقاومته لن تجدي نفعاً.

المجزرة الجديدة في القائم وبلداتها المجاورة.. خاصة في «الكرابلة».. أدت لاستشهاد أكثر من مائة مدني.. معظمهم من النساء والأطفال.. إضافة للعشرات الذين لايعرف مصيرهم لوجودهم داخل المنازل المدمرة.. مع وجود المئات من الجرحى في ظل نقص طواقم العلاج وقلة الإمكانيات والتجهيزات والأدوية.. كما أدت لحركة نزوح جماعية تقدر بالآلاف..

وقصفت بشدة المقاتلات الأمريكية الأحياء السكنية في بلدة «الكرابلة» على خلفية الاشتباكات العنيفة التي دارت بين المسلحين والجيش الأمريكي وهو ما أدى لسقوط عشرات القتلى من النساء والأطفال.

قنابل المدفعية والدبابات.. وصواريخ الطائرات الليزرية.. وقنابلها التدميرية أسقطت تسع منها بحمولة متفجرات تتراوح بين ٢٥٠ إلى ٥٠٠ كجم أدت إلى دمار واسع ببيوت المدينة التي لايتجاوز عدد سكانها ستون الفاً..

وفي اليوم الرابع للمذبحة.. تم تدمير كامل لثلاثة مساجد بالبلدة " القرني.. القدس الشريف.. الصحابة " إضافة لقصف المستوصف الوحيد مما أدى لاستشهاد أربعة أطباء وعدد من المرضى.. والقضاء على عائلاتٍ بكاملها بعد أن تهدمت المساكن على رؤوس أصحابها.

مذبحة "الخنجر"

ولم تمض ساعات على بدء مجزرة الرمح.. حتى انطلقت جماعات القتل الدموية "المارينز وحلفائها المحليين" في مذبحة جديدة أسموها "الخنجر" استهدفت هذه المرة منخفض وبحيرة الثرثار في المناطق المتلاصقة لمحافظتي الأنبار وصلاح

الدين.. الواقعة إلى الشمال الغربي من بغداد لتحقيق مجموعة أهداف تتلخص في ملاحقة المقاتلين.. وتدمير ملاجئهم.. ومخابىء أسلحتهم وقطع طرق إمداداتهم.. واستخدم الغزاةُ في جريمتهم الجديدة كل ما في ترسانتهم من أسلحة.. لكن المواجهات التي أدارها أبطال المقاومة في الكرابلة والقائم والثرثار.. كبلت قوات الغزو ومعداتها أفدح الخسائر.. كما في تل عفر وديالى وكركوك وبغداد والبصرة والعمارة والرمادي وهيت وبيجي وشرقاط والضلوعية والمحمودية وأبوغريب.. مما أكد بسالة وجاهزية واقتدار المقاتلين.. مما دفع بالكولونيل «ستيف ديفز» من وحدات القتل "المارينز" للقول وهو يتفقد أطلال ما ادعى أنه قاعدة للمقاومين في الكرابلة.. كما أعلن العديد من ضباطه وجنوده أنهم يتوجهون نحو جهنم..

مذبحة "الإسحاقي"

وهناك مذبحة مروّعة أخرى ارتكبتها قوات الاحتلال الأمريكي في العراق في مدينة الإسحاقي شمال بغداد.. أسفرت عن قتل ١١ مدنياً عراقياً.. من بينهم خمسة أطفال وأربع سيدات في مارس ٢٠٠٦.

وقالت وقتها دوائر الجيش الأمريكي: إن القتلى سقطوا بسبب انهيار أحد المنازل في البلدة.. ولكن شريطاً مصوراً تم العثور عليه فيما بعد كشف عن وجود مذبحة قام بها الجنود الأمريكان بدم بارد.

مذبحة مدينة "الحديثة" العراقية

قبل ذلك بعدة أسابيع ارتكبت نفس القوات مذبحة في مدينة «الحديثة» العراقية.. قتلوا خلالها ستة أطفال.. وسبع نساء.. وعدداً آخر من الشيوخ والرجال.. وقد صرح أحد جنود الاحتلال من مشاة البحرية بأنهم كانوا ينتقلون من منزلٍ إلى منزل.. يقتلون السكان بغض النظر عن استغاثة الأمهات.. وتوسلات الآباء.. وصرخات الأطفال.. قتلوا أطفالاً وشيوخاً عاجزين عن الحركة على كرسي متحرك.. وكانت العملية عبارة عن عملية إعدام منظم للمدنيين.. كرد على

مصرع أحد جنود الاحتلال يوم ١٩ نوفمبر ٢٠٠٥ بعد اصطدام مدرعة بشحنة ناسفة كانت مزروعة على جانب الطريق بالقرب من مدينة الحديثة.

وبديهي أن تلك القنبلة زرعها رجال المقاومة الذين لا يستطيع الأمريكان الوصول إليهم.. فانتقموا من المدنيين العُزل.. وهو أمر ينمّ عن الجبن والانحطاط الفردي والمؤسسي.. والحضاري لأمريكا.

مذابحهم لا تنتهي

يمكننا أن نرصد مذابح أخرى كثيرة كانت تحدث تقريباً كل يوم في بدايات الغزو.. فكل مدينة.. أو قرية عراقية شهدت ما يندى له الجبين على يد قوات الاحتلال الأمريكية أو البريطانية أو غيرهما.. وقد تم الكشف عن بعض تلك المذابح والانتهاكات.. ولكن غير المعروف وغير المكشوف منها أكبر بكثير جداً.. لدرجة أن رئيس وزراء العراق ذاته «نوري المالكي»[1] وهو من

(١) نوري المالكي «٢٠ يونيو ١٩٥٠» رئيس وزراء العراق منذ عام ٢٠٠٦ حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية أصول الدين في بغداد.. وشهادة الماجستير في اللغة العربية.. من جامعة صلاح الدين في أربيل.. غادر العراق عام ١٩٧٩ بعد صدور حكم بإعدامه.. ولجأ إلى سوريا التي ظل بها حتى عام ١٩٨٢ثم انتقل إلى إيران إلا إنه عاد إلى سوريا بعد انقسام حزب الدعوة إلى جناحين أحدهما مؤيد لإيران.. والآخر رفض الانضمام إلى الجيش الإيراني.. ومقاتلة الجيش العراقي خلال الحرب العراقية الإيرانية.. وبقي في سوريا حتى الغزو الأمريكي للعراق.. ثم انضم إلى حزب الدعوة الإسلامية في عام ١٩٧٠ وأصبح عضوًا في قيادة الحزب ومسؤولاً عن تنظيمات الداخل طيلة فترة تواجده في المنفي.. وتولى مسئولية الإشراف على "صحيفة الموقف" المعارضة والتي كانت تصدر من دمشق.. وكتب العديد من المقالات في المجالين السياسي والفكري.. كما تولى رئاسة "مكتب الجهاد" الذي كان مسؤولاً عن تنسيق الأنشطة داخل العراق.. وكان عضوًا فاعلاً في جميع مؤتمرات المعارضة العراقية التي عُقِدَتْ في شمال العراق وخارجه بعد إسقاط نظام صدام حسين في ٩ أبريل من عام ٢٠٠٣ عاد إلى العراق بعد هجرة دامت ربع قرن.. واختير كعضو مناوب في مجلس الحكم العراقي.. الذي أسس من قبل سلطة الائتلاف المؤقتة برئاسة بول بريمر.. كما شغل منصب نائب رئيس المجلس الوطني المؤقت.. وأسهم في تأسيس كتلة الائتلاف العراقي الموحد والتي كان هو الناطق الرسمي باسمها.. وهي التي رشحته لتولي مسؤولية رئاسة لجنة الأمن والدفاع في الجمعية الوطنية وشارك في لجنة صياغة الدستور العراقي.. انتُخِبَ لتشكيل أول حكومة عراقية دائمة منتخبة في شهر مايو من عام ٢٠٠٦ وذلك بعد أن تخلى رئيس حزب الدعوة الإسلامية رئيس الحكومة إبراهيم الجعفري عن ترشيحه للمنصب.. وكان الوضع الأمني في بداية ولايته أكثر سوءاً.. حيث بدأت عمليات الخطف والتهجير والقتل الطائفي.. فأطلق في عام ٢٠٠٧ خطة لفرض القانون.. كما إنه أحد الموقعين على إعدام الرئيس الأسبق صدام.. وقام بتنفيذ الحكم بسرعة.. وعلى الصعيد الدولي.. وفي نهاية عام ٢٠٠٨ وقع اتفاقية مع الولايات المتحدة لتنظيم

التحالف العراقي المتعاون مع أمريكا.. قال: إن عمليات القتل الأمريكي للعراقيين أصبحت بمثابة ظاهرة يومية.. وأن العنف ضد المدنيين العراقيين أصبح ظاهرة روتينية يمارسها جنود الاحتلال الذين لا يحترمون الشعب العراقي.. وأن هؤلاء الجنود يدهسون الناس بعرباتهم.. ويقتلونهم لمجرد الشك فيهم.

ولنا أن نتصور مدى ما وصل إليه الحال من مثل هذا التصريح من رئيس الوزراء العراقي المتحالف والمتعاون والمستند أصلاً في وجوده في السلطة إلى القوات الأمريكية المحتلة.

في كل مرة يتم الكشف عن مذبحة أمريكية أو انتهاك لحقوق الإنسان يُقال: إن القوات الأمريكية كانت تبحث عن المتمردين.. أو أن أهالي تلك القرية أو المدينة يؤون الإرهابيين أو الثوار أو يساعدونهم.. أو أن تلك المذابح تمّت من أجل البحث أو القبض على الثوار..

حدث هذا الأمر.. ونفس المبررات في مذابح الأمريكان في قرية «ماي لاي» الفيتنامية ١٩٦٨ التي سبق وتحدثنا عنها..

وفي قلعة جانجي حين قتلوا مئات الأسرى الأفغان.. وفي قندهار.. في أفغانستان عام ٢٠٠١ وفي سجن أبي غريب ٢٠٠٤.

والغريب أن الصفاقة الأمريكية لا حدود لها.. ففي كل مرة كان يتم الإعلان عن تشكل لجنة تحقيق.. ومحاكمات.. وتصدر إدانات يتم فيها تقديم كبوش فداء.. دون النظر إلى أن ذلك يتم في حقيقته بأوامر من قيادات عُليا في الجيش الأمريكي.. بل والقادة السياسيين أنفسهم.. وفي كل مرة يعلن القادة

عملية انسحاب القوات الأمريكية.. وعلى الرغم من إنه صرح في يوم الانتخابات بأنه عازم على تسليم السلطة بشكل سلمي.. لكنه تراجع عن تصريحاته بعد إعلان النتائج وتأخره بمقعدين.. وبعد ٨ أشهر من إجراء الانتخابات استطاع الفوز بمنصب رئيس الوزراء لفترة رئاسية جديدة وذلك بعد حل المشاكل العالقة ومنها تأسيس المجلس الوطني للسياسات الاستراتيجية على أن توكل رئاسته لرئيس القائمة العراقية «إياد علاوي» وكُلِفَ رسميًا بتشكيل الحكومة في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٠ وذلك قبل يوم واحد من انتهاء المهلة الدستورية الممنوحة لرئيس الجمهورية جلال طالباني لتكليف من يتولى رئاسة الوزراء.. واعتبر هذا التأخير بالتكليف الرسمي بهدف منحه أكبر وقت ممكن للتفاوض حول تشكيلة الحكومة وتوزيع المناصب الوزارية خلال مدة ثلاثين يوماً..

الأمريكيون عن ضرورة تنظيم دورات تدريبية للجنود على أخلاقيات وقواعد الاشتباك.

جريمة حضارية وإنسانية متكاملة

ومع ذلك كانت وما زالت تتكرر المذابح وتزداد انتشاراً..

والأمر في نهايته بمثابة «جريمة حضارية وإنسانية متكاملة».. لأن هذه الجرائم الجديدة لا يمكن عزلها عن الجرائم التاريخية الممتدة في الزمان والمكان.. والتي ارتكبتها أمريكا في حق السود.. أو الهنود الحمر.. أو الفلسطينيين.

مما يؤكد أننا بصدد وجود مناخ عنصري داخل الحضارة الغربية يقود إلى مثل هذه الجريمة.. ويسوغها أحياناً ويتغافل عنها أحياناً أخرى.. أو يقدم «كبش فداء صغير» لنسيانها أو تخفيف الضغط حولها.. أو عدم وصول الشعوب إلى حقيقة أن الطريق الوحيد للتحرر هو المقاومة.. وليس البحث عن إمكانية وجود ضمير لن يوجد أبداً لدى هؤلاء الطُغاة.

إن سهم وخنجر أمريكا غمده في العراق.. ونصله في بقاعٍ أخرى شتى.. يدمي شعوباً مسالمة.. ويصيب عقول وأفئدة وأجساد كل شعوب التي أقحموا أنفسهم في مقدراتها.. ويمزق شعاراتهم المتشدقة بالديمقراطية والعدالة وهم أبعد ما يكونون عنها.

وهذا ما أكدتهُ منظمة العفو الدولية في تقريرها الصادر يوم ٢٥ مايو ٢٠٠٥ إذ اتهمت المنظمة الولايات المتحدة بأنها "تستخدم مقولة الحرية والعدالة من أجل نشر الخوف وانعدام الأمن في العالم".

كما أشار تقريرها "إلى مسئولية الولايات المتحدة عن كل مايُرتكب ضد حقوق الإنسان في العالم.. لأنها الدولة العظمى التي تزدري حكم القانون وحقوق الإنسان".. مما دفع بـ «بوش الابن» حاكم البيت الأبيض للرد الفوري على الحقائق التي أعلنتها المنظمة.. إن تقريرها سخيف بسبب أن الولايات المتحدة هي الدولة التي تنشر الحرية في أرجاء العالم.. لكن الرئيس لم يرغب في تذكيرنا بأبرز معالم تلك الحرية "القنابل على هيروشيما وناجازاكي.. مذابح الفلبين..

وتشـيلي.. وهنـدوراس.. وبنمـا.. والصـومال ويوغوسـلافيا.. احـتلال أفغانسـتان والعراق.. جوانتانامو.. وأبو غريب".

إن الخنجـر الأمريكـي في العـراق هـو الوجـه الآخـر للخنجـر الصـهيوني في فلسـطين.. فالأيـادي واحـدة والأهـداف متوحـدة.. ومجابهـة ومقاومـة الطـرفين المتوحشـين سـيكون قَـدَرُ الأمـة.. فـإرادة التـواقين للحريـة والكرامـة والسـيادة ستنتصر.

بوش هو الأسوأ..

وطالما تحدثنا عن بوش الابن.. وجاء ذكره الممقوت.. فلابد أن نتوقف عنده قليلاً.. لنقول أن النظام العالمي شهد خلال العقدين الماضيين الكثير من أحداث العنف نتيجة السياسة الأمريكية التي قادها الـ«بوشين» الأب مطلع التسعينيات.. والابن الذي سار على نهجها طوال سنوات حكمه الوبيل.

ويرى كثيرٌ من المحللين أن السنوات الثمان التي أمضاها بوش على رأس الإدارة الأمريكية كانت من أسوأ الحُقب التي عاشتها البشرية في العصر الحديث.. نتيجة الصراعات والأزمات والاحتقانات التي كان آخرها الأزمة المالية التي دفعت بالحزب الجمهوري إلى خارج البيت الأبيض.

كما أنه مسئول أمام الله.. والتاريخ عن تدمير آلاف المباني.. والمساجد.. وقتل الألاف من الأطفال الأبرياء.. ويكفيه أنه هو الذي أمر بإلقاء حوالي ٣٤ ألف طن من القنابل فقط على العراق وأفغانستان..

كما يتضح من خلال الأحداث والوقائع التي شهدها العالم خلال القرن الماضي بأن "الحزب الديمقراطي" لا يختلف كثيراً عن منافسة على الحكم في الحزب "الجمهوري".. خصوصاً فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.. حيث لم تكن فترة النصف قرن الماضية من حكم الديمقراطيين من فترات السلام والازدهار..

فالرئيس الديمقراطي «هاري ترومان» كان هو من وجه الجيش لاستخدام القنبلة النووية لاخضاع اليابان في الحرب العالمية الثانية..

وهو أول من أعلن اعترافة بإسرائيل..

كما أن الحرب المصرية الإسرائيلية التي وقعت في يونيو ١٩٦٧ تمت بدعم كامل من الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس الديمقراطي «ليندون جونسون»..

فضلاً على أن أول قرار تم اتخاذه لإستخدام القوة المسلحة لضرب العراق بعد قيام حرب الخليج الثانية كانت في عهد الرئيس الأمريكي الديمقراطي بيل كلينتون.

ادعاءات كاذبة

الادعاءات الأمريكية لاحتلال العراق كانت كاذبة.. ويمكننا أن نلخصها في النقاط التالية:

قالت أمريكا إن هذا الاحتلال هو من أجل إزالة أسلحة الدمار الشامل لدى العراق.. وقد ثبت بعد أكثر من ستة أشهر أن هذه الأسلحة غير موجودة.. برغم كونها أول من استخدم السلاح النووي في الحروب.. إلا أن ذلك لم يكن إلا تبريراً لتغطية نواياها الخبيثة.. وهي السيطرة على حقول النفط وعلى منطقة الشرق الأوسط.

من قال أن في العراق أسلحة دمار؟

إزالة "أسلحة الدمار الشامل" مسألة جاءت مشروطة بمهمات بعثات التفتيش الدولية والنتائج التي تتوصل إليها في تقاريرها المرفوعة إلى مجلس الأمن.. والتقارير التي رفعها كبير المفتشين «هانز بليكس» عن السلاح الكيماوي والبيولوجي إضافة إلى تقارير «محمد البرادعي» عن السلاح النووي أكدت كلها في اللقاءات الدولية الثلاثة عدم وجود تلك الأسلحة.. أو على الأقل عدم توصل فرق التفتيش إلى إثبات وجودها.. وطالب المفتشون في تقاريرهم بزيادة عددهم وتوسيع صلاحياتهم وتمديد المهلة الزمنية حتى يتم التأكد من صحة ادعاءات مخابرات واشنطن ولندن.. فالإزالة إذن كانت مشروطة بالبحث والمعلومات المؤكدة وليس مجرد فرضيات منقولة بالتواتر عن أجهزة استخبارات تعتمد على شائعات وأقاويل وتكهنات.

مسألة الإرهاب لم ترد بدورها لا من قريب ولا من بعيد في القرار الدولي«١٤٤١» والدول التي وافقت على صدور القرار بالإجماع لم تلحظ وجود

مثل هذه الإشارة التي هي أيضاً مجرد إضافات تعتمد على تخمينات الاستخبارات ومعلومات تم تجميعها من مصادر متفرقة ومجهولة لا يعتمد على أخبارها كوثائق مؤكدة تبرر قتل مئات الألوف من السكان.

إذن بدأت الحرب استناداً إلى قرار دولي لا يعطي ذريعة للعدوان..

وحين انطلق العدوان على العراق تغيرت الأولويات.. وتبدلت الأهداف.. مرتكزةً على اتهام الولايات المتحدة «مدعومة من بريطانيا» للعراق بمخالفة القرار الدولي «وإخفاء أسلحة دمار شامل» وبدأت حربها استناداً إليه.

الهدف إذن كان إسقاط النظام.. ولن تقبل الولايات المتحدة بأقل من الانتصار العسكري على العراق..

والهدف الثاني إزالة أسلحة الدمار الشامل وحتى الآن تقول القوات المهاجمة إنها لم تعثر على ذاك السلاح الذي تذرعت به للعدوان..

والهدف الثالث وهو الأهم ملاحقة شبكات الإرهاب.. هذه النقطة خطيرة جداً لأنها تفتح باب التصفيات الأهلية.. وتدفع القوات إلى ارتكاب المجازر ضد المدنيين بذريعة تفكيك شبكات الإرهاب وملاحقتها.. وبعد تصفيتها في الداخل تبدأ القوات الأمريكية بتوسيع ملاحقاتها خارج دائرة العراق بذريعة أن بعض تلك "الشبكات" نجح في الإفلات من قبضة الأمن.. ولجأ إلى دول مجاورة قد تكون إيران أو تركيا «التي توترت علاقتها مع واشنطن».. أو سوريا.. وربما الأردن والسعودية.

الهدف الأخير خطير للغاية.. فهو يفتح باب امتداد الحرب وتوسيع دائرتها في حال نجحت الولايات المتحدة في تثبيت مواقعها السياسية في العراق مستفيدة من ثرواته النفطية والمالية.

وهذا الهدف هو الجديد في برنامج أولويات أمريكا هناك.. ويتوقع أن يحتل المرتبة الأولى بعد تمكنها من تصفية النظام العراقي.. فحين يتحقق الهدف الأول ويحذف النظام من جدول الأولويات يأتي بعده الهدف الثاني ويحذف أيضاً من الجدول ليصبح موضوع الإرهاب هو الأول ويتحول إلى "مسمار جحا" تتذرع به

واشنطن لتبرير حروبها المقبلة.. وتحت شعار ملاحقة وتفكيك شبكات الإرهاب يبدأ مشروع تفكيك دول الجوار.

هذا البرنامج الجديد للحرب على العراق أثار سلسلة من المخاوف الدولية..

فكوريا الشمالية قالت إنها مستعدة لضربة أمريكية وهي على أهبة الاستعداد لحرق المنطقة المحيطة بها في حالة حدوث ذلك..

إيران تخوفت من تلك الإشارات السيئة المتعلقة بالنشاط العسكري على حدودها «الفاو/البصرة» واختراق مجالها الجوي والأرضي أكثر من مرة..

تركيا أيضاً خائفة من انتقام أمريكي بعد انتهاء الحرب واستخدام شمال العراق مركزاً للنشاط المعادي لها في منطقة حدودها الجنوبية.

هذه المخاوف الإقليمية انتقلت أيضاً إلى روسيا حين حذر رئيسها آنذاك «فلاديمير بوتين» من انتقال الحرب إلى تركيا وتوسعها في دائرة العراق الإقليمية.

وفي المعنى نفسه رفض المستشار الألماني وقتها «شرودر» فكرة توسيع الحرب.. وحَذَرَ من مخاطر ذلك دولياً..

كذلك كرر الرئيس الفرنسي آنذاك «شيراك» الكلام نفسه.. معرباً عن تمسكه بالشرعية الدولية.. ورفض باريس قبول الأمر الواقع الذي ستسفرُ عنه التطورات العسكرية في العراق.. فالدول الكبرى لاتزال تعتبر أن الحرب غير شرعية ونجاح العدوان عسكرياً لا يعطيه صفة قانونية.

إذن نحن أمام حروب جديدة قد تكون العراق بدايتها.. والمعركة الدبلوماسية الآن هي بين أمريكا والدول الكبرى وعنوانها العريض:

ماذا بعد تدمير العراق؟

وماذا أيضاً بعد تمكن الولايات المتحدة من الأمر في العراق بعد اجتياحها إياه في التاسع عشر من مارس ٢٠٠٣ وكذا نجاحها في إسقاط نظام الرئيس السابق «صدام حسين» بعد سقوط بغداد في التاسع من أبريل من العام نفسه.

وبالشكل الذي استعرضنا إياه فبعد قيام بوش بهذه الجريمة الكبرى.. اتضح أنه لا توجد أسلحة دمار شامل.. فهل عاقب أحدٌ بوش.. ومن تحالفوا معه ؟

إنها مجرد كذبة

وفي ربطه بين ماحدث في العراق.. وما حدث فيما مضى.. ذكر المؤرخ الأمريكي المعاصر «هوارد زن إن»[1] أن عام ١٤٩٢ الذي شهد وصول «كريستوفر كولومبس» إلى الشواطئ الأمريكية هو بداية «الغزو والعبودية والموت».

ورَبَطَ بين سلوك مكتشفي الأمريكتين في حق سكان البلاد الأصليين.. وبين ما تسميه بلاده بـ «الحروب الدفاعية الوقائية» وغزوها لكل هذه الدول من فيتنام.. إلى العراق.. وأفغانستان بحجة إنقاذ الحضارة الغربية بأنه "مجرد كذبة".. وجميعها حروب عنصرية.. وأن ما تعتبره إرهاباً يتجاهل حقيقة أن الحرب نفسها إرهاب.. وأن مداهمة بيوت الناس.. واعتقالهم.. واخضاعهم للتعذيب.. هو أولاً وأخيراً إرهاب.. وأن غزو البلاد الأخرى وقصفها لا يوفر لنا «كأمريكيين» أماناً كاملاً.

إنه احتلال بغيض

وقال أنه بات واضحاً الآن وعلى نحو سريع أن العراق بعد التدخل الأمريكي ليس بلداً محرراً.. لقد أصبح بلداً محتلاً.. صحيح أننا حررنا العراق من «صدام حسين» ولكن لم نحرره من أنفسنا تماماً كما حدث في ١٨٩٨ عندما قمنا بتحرير كوبا حيث حررناها من الاحتلال الأسباني ولكن لم نحررها من أنفسنا".

وتابع أن بلاده كانت تقرر نوع الدستور الذي يجب أن يحكم كوبا تماماً كما تقوم حكومتنا الآن بوضع دستور جديد للعراق.. إن هذا ليس تحريراً.. إنه احتلال بغيض.

هذه هو رأي أحد مؤرخيهم.. ولا أكثر من شهادة شاهدٌ من أهلها.

THE BLACK REPORT OF USA

(١) في كتابه «التاريخ الشعبي للولايات المتحدة».. وهو مرجع سبق الإشارة إليه.

الفصل الحادي عشر

«أمريكا.. ومذابح حقوق الإنسان!!

لا يختلف اثنان أن أمريكا تعشق الحرب وتسعى دوماً إلى تلطيخ يدها بالدماء.. فمنذ دخولها الحرب العالمية الثانية قامت بإنشاء أكبر معتقل في التاريخ على أرضها اعتقلت فيه مئات الآلاف من المواطنين اليابانيين المقيمين أصلاً هناك في أمريكا.. بالإضافة إلى الأمريكيين الذين ينتمون إلى أصول يابانية.. وتشير الوثائق إلى أن السلطات الأمريكية باشرت تعذيب المعتقلين مع أنهم لم يكونوا مذنبين.. ولم تكن لهم صلة بالحرب.. وهذا دليلٌ واضح على أن أمريكا التي تدعي بأنها الدولة الأولى في العالم التي تُطبق الديمقراطية.. وترعى حقوق الإنسان وتكفل الحريات وتدعو إلى السلام كانت في يوم من الأيام أكبر معتقل في التاريخ.

التمييز العنصري داخل السجون الأمريكية

دليل آخر على حقيقة ما تدعيه الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها من مبادئ وقيم.. وهو ما تكشفه لنا تقارير منظمه مراقبة الشرطة الأمريكية في واشنطن حيث تشير هذه التقارير إلى أن المنظمة تستقبل في اليوم الواحدة من ٨ إلى ١٠ حالات تعذيب من الشرطة.. سواء كانوا مجرمين أو مشتبه بهم.

كذلك تفيد هذه التقارير بوجود تمييز عنصري داخل السجون الأمريكية حيث يصل عدد المسجونين بسبب العِرق إلى أكثر من ٦٠٪ من إجمالي المسجونين داخل الولايات المتحدة.

كما أن هناك من يقبع داخل السجون الأمريكية دون تُهم أو محاكمة مُسبقة.. مثلما حدث لفلسطيني يدعى «مازن النجار» كان يعيش في الولايات المتحدة بعد أن قضى في السجون هناك ثلاث سنوات بدون محاكمة.. وأُفرِجَ عنه بعد ذلك.. وكانت حجتهم في ذلك أن ما حدث هو «تشابه في الأسماء».

كما أن هناك مساجين «جونتنامو» لا زال العديد منهم معتقلين حتى اليوم بدون أي محاكمة مسبقة لهم وذلك بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

وكذا يُختطفُ المواطنون من مختلف دول العالم ليعتقلوا هناك بلا جريمة سوى الاشتباه في تورطهم بحوادث إرهابية..

أمريكا أكبر منتج لأدوات التعذيب

هناك الكثير من التقارير التي تؤكد على أن أعلى نسبة لمبيعات الأسلحة في العالم تتم عبر أمريكا التي تصل نسبة مبيعاتها من الأسلحة أحياناً إلى ٤٥٪ من مبيعات الأسلحة في العالم.

وقد بلغ حجم المبيعات الأمريكية من الأسلحة في عام ١٩٩٨م فقط ٧,١مليار دولار من أصل ٢٣ مليار دولار تمثل إجمالي المبيعات العالمية.. أي بما يساوى الثلث تقريباً.

وتشير أحدى التقارير الصادرة عن وزارة التجارة الأمريكية نفسها بأن أمريكا في مقدمة دول العالم التي تقوم ببيع الأدوات والمعدات الخاصة بعمليات التعذيب.. لذلك لم يكن غريباً إخراج الولايات المتحدة الأمريكية من لجنة حقوق الإنسان خصوصاً بعد الجرائم والانتهاكات التي مارستها أمريكا بحق الشعوب الأخرى.. ووقوفها المستمر إلى جانب إسرائيل من خلال استخدامها لحق «الفيتو» في مجلس الأمن ضد أي قرار يهدف إلى توفير الحماية للفلسطينيين.

الجاسوس الغبى

وهناك جرائم التجسس على بعض البلدان ومنها ما أشارت إليه التقارير الاستخباراتية التي كشفت عن عثور الصين على أكثر من ٢٠جهازاً للتجسس تم وضعها من قِبل المخابرات الأمريكية في طائرة «البوينج» الرئاسية التي اشترتها الصين من الولايات المتحدة الأمريكية للرئيس الصيني "جيانج زيمين".

تى مصانع الدواء دمروها

وفي عهد الرئيس الأمريكي الديمقراطي «بيل كلينتون» لجأت أمريكا أيضاً إلى استخدام القوة المسلحة ضد السودان.. وقام الطيران الأمريكي بضرب مصنع الشفاء للأدوية.. والحجة دوماً كانت جاهزة.. ولم تخرج عن الحجج السابقة : كون المصنع يستخدم كساتر للتخصيب النووى..

التلاعب بمناهج التربية والتعليم في دول العالم

ومن بين ممارسات أمريكا المرفوضة دولياً في مجال حقوق الإنسان.. سعيها المستمر لطمس هوية الشعوب.. لصالح تعميم نموذجها الأمريكي.. خاصةً بالنسبة للشعوب العربية.. والإسلامية.. بحجة تطوير التعليم وترسيخ الديمقراطية[1].

«الكيمتريل»: سلاح أمريكا القادم لإبادة أعداءها

ويبدو أن مخططات أمريكا وإسرائيل للسيطرة على العالم دون حروب تقليدية وصلت إلى مراحلها الأخيرة.. بل وظهرت تقارير صحفية تحذر أيضاً من أن الأسوأ مازال بانتظار البشرية.. وكلمة السر في هذا الصدد هي «الكيمتريل»..

وكان العالم فوجىء في ذروة انشغاله بمواجهة تداعيات كارثة «زلزال هايتي»[2] باتهامات لـ "غاز «الكيمتريل»" بأنه وراء ما حدث وليس الزلزال المدمر.. كما يعتقد كثيرون.

ولم يقف الأمر عند ما سبق.. فقد ظهرت تقارير صحفية تحذر أيضاً من أن ما شهدته هايتي هو بروفة على حروب المستقبل.. وخاصةً تلك التي تنوى إسرائيل شنها ضد العرب وإيران وسيتم خلالها التغاضي عن المواجهات العسكرية

---

(١) للأسف لا بد هنا من الإشارة إلى أن مصر تعد هي أول دولة عربية تسعى إلى استبدال مناهجها بمشاركة عدد من الخبراء الأمريكيين وبتمويل مقداره ٦٠مليون دولار من أمريكا كمرحلة اولى.. والمصيبة أن عمليات تطور المناهج في مصر اشتملت على تغيير مناهج التعليم الأزهري مما اعتبره الكثير من العلماء المسلمين انتهاكاً صارخاً لمنهاج ودور الأزهر الشريف.. ومحاولة أمريكية لتمييع دوره في تنشأة أجيال إسلامية جديدة.. تماماً كما هو الحال في السعودية التي تتعرض لضغوط كبيرة من الولايات المتحدة الأمريكية من أجل استبدال مناهجها الدينية.

(٢) زلزال هايتي حدث عام ٢٠١٠ وبلغت قوته ٧ درجات على مقياس ريختر.. وتسبب بمقتل حوالي ٢٣٠ الف شخص وتشريد اكثر من مليون شخص.

المباشرة والاستعانة بدلاً من ذلك بـ «الكيمتريل» الأكثر "براءة وفتكاً في الوقت ذاته".

سلاح ذو حدين

وغاز «الكيمتريل» هو أحدث الأسلحة للدمار الشامل ويستخدم لاستحداث الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد والعواصف والأعاصير والزلازل بشكل اصطناعي بل ويمكنه أيضاً نشر الجفاف والتصحر وإيقاف هطول الأمطار وإحداث الأضرار البشعة بالدول والأماكن غير المرغوب فيها أمريكياً وإسرائيلياً.

وتبدأ قصته مع التدمير الواسع من حقيقة أنه عبارة عن مركبات كيماوية يمكن نشرها على ارتفاعات جوية محددة لاستحداث ظواهر جوية مستهدفة وتختلف هذه الكيماويات طبقاً للأهداف.. فمثلا عندما يكون الهدف هو "الاستمطار" أي جلب الأمطار يتم استخدام خليط من «يوديد الفضة» على «بيركلورات البوتاسيم» ليتم رشها مباشرةً فوق السُحب.. فيثقل وزنها.. ولا يستطيع الهواء حملها فتسقط أمطاراً.. كما تستخدم هذه التقنية مع تغير المركبات الكيماوية فتؤدي إلى الجفاف والمجاعات والأمراض والأعاصير والزلازل المدمرة.

وبمعنى آخر أكثر وضوحاً.. فإنه ما أن تُطلِقْ إحدى الطائرات غاز «الكيمتريل» في الهواء حتى تنخفض درجات الحرارة في الجو.. وقد تصل إلى سبعة درجات مئوية فقط وذلك بسبب حجب أشعة الشمس عن الأرض بواسطة مكونات هذه السحابة الاصطناعية.. كما تنخفض الرطوبة الجوية إلى ٣٠٪ بسبب امتصاصها أكسيد الألمونيوم.. متحولاً إلى هيدروكسيد الألمونيوم.. هذا بجانب عمل الغبار الدقيق لأكسيد الألمونيوم كمرآةٍ تعكس أشعة الشمس.

ويؤدي ما سبق إلى انخفاض شديد مفاجئ في درجات الحرارة.. وانكماش في حجم كتل هوائية تغطي مساحات شاسعة تقدر بملايين الكيلومترات.. مما يؤدي لتكوين منخفضات جوية مفاجئة في طبقة الغلاف الجوي «الاستراتوسفير» فتندفع إليها الرياح من أقرب منطقة ذات ضغط جوي مرتفع ثم من المنطقة التي تليها.. ويتسبب هذا الوضع في تغير المسارات المعتادة للرياح في هذه الأوقات من السنة فتهب في اتجاهات غير معتاد الهبوب منها.. ويعقب هذا الإطلاق استمرار الحرارة المنخفضة والجفاف لعدة أيام.. وخلال تلك الفترة تفقد السماء لونها الأزرق المعروف وتصبح أثناء النهار سماءً ذات لون رمادي خفيف يميل إلى اللون الأبيض.. وفي المساء تبدو لون السحب الاصطناعية بلون يميل إلى الرمادي الداكن.. وهكذا تحدث تغيرات غير مألوفة في الطقس في تلك المناطق مما ينتج عنها صواعق وبرق ورعد وجفاف دون سقوط أي أمطار.. كما يصاحب ذلك انخفاضٌ واضح في مدى الرؤية بسبب العوالق الكيماوية للمكونات الهابطة إلى الأرض حيث تتخذ مظهراً شبيها بالضباب.

ورغم التداعيات الكارثية السابقة.. إلا أن هذا لا يعني أن «الكيمتريل» «شراً» بحد ذاته.. بل على العكس فهو يحمل الخير للبشرية في حال استخدامه في المجالات السلمية النفعية حيث له دور فعال في التقليل بشكل كبير من ظاهرة الاحتباس الحراري التي تهدد بغرق الكرة الأرضية وفناء الكون في المستقبل البعيد.. فهو يستخدم لحجب أشعة الشمس عن الأرض واستخدام جزئيات دقيقة من أكسيد الألمونيوم كمرآة تعكس أشعة الشمس للفضاء الخارجي فتنخفض درجة حرارة الهواء وعلى الأرض فجأة وبشدة.

هذا بالإضافة إلى أنه مفيد جداً في ظاهرة "الاستمطار" في المناطق القاحلة.. إلا أنه وللأسف فإن واشنطن أبت فيما يبدو أن تخدم البشرية واستخدمت تلك التقنية في الأغراض الاستعمارية ليصبح «الكيمتريل» أحدث أسلحة الدمار الشامل.

كلمة السر

وقبل أن يُسارع أحدٌ بتوجيه الاتهامات بالتأثر بنظرية المؤامرة والتحامل على واشنطن دون أدلة ملموسة.. نستعرض هنا قصة اكتشاف «الكيمتريل».. والمثير للانتباه في هذا الصدد أن الاتحاد السوفيتي السابق هو أول من اكتشفه حيث تفوق مبكراً على أمريكا في مجال الهندسة المناخية عندما حصل على نتائج دراسات قديمة في أوائل القرن الماضي للباحث الصربي «نيقولا تيسلا»[1] الذي صُنف بأنه من أعظم علماء ذلك القرن بعد أن نجح في اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية وقام بابتكار مجال الجاذبية المتبدل بل واكتشف قبل وفاته كيفية إحداث "التأيين" في المجال الهوائي للأرض والتحكم فيها بإطلاق شحنات من موجات الراديو فائقة القصر مما يسفر عن إطلاق الأعاصير الاصطناعية.. وبذلك يكون «تيسلا» هو مؤسس علم الهندسة المناخية الذي بدأه الاتحاد السوفيتي ثم تلته الصين.

---

(١) "نيقولا تيسلا" ١٠ يوليو ١٨٥٦ - ٧ يناير ١٩٤٣ هو مخترع وفيزيائي ومهندس ميكانيكي ومهندس كهربائي. وُلِدَ في سميلجان بكرواتيا في عهد الامبراطورية النمساوية.. .نال الجنسية الأمريكية فيما بعد. عُرِفَ بسبب مساهماته الثورية في مجال الطاقة الكهرومغناطيسية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. براءات اختراعات تيسلا وأعماله النظرية وضعت الأسس للطاقة الكهربائية ذات التيار المتناوب بالإضافة إلى اختراعه المحرك الكهربائي الذي يعمل على التيار المتناوب.. وساعدت هذه الاختراعات البشر يةعلى النهوض بالثورة الصناعية الثانية.التقى بتوماس أديسون عند ذهابه إلى أمريكا وعمل مختبره الخاص هناك ثم بعد ذلك انفصل عنه وأنشأ له مختبراً خاصاً وحصل بينه وبين أديسون مناقضات كلاميه نشرتها وسائل الإعلام المحلية في ذلك الوقت ونجح في اقناع القوى رجال الأعمال بكفاءة ابتكاره للتيار المتناوب واستخدم هذا التيار في جميع أنحاء العالم ومن أعماله بناءه لمحطة التوليد الكهربائيه على شلالات أنجل.هناك عدة تسميات أطلقت على تيسلا منها "أبوالفيزياء" و "الرجل الذي اخترع القرن العشرن" و "القديس شفيع الكهرباء الحديثة" وبعد أن أعلن تيسلا عن أعماله في مجال الاتصالات اللاسلكية واختراعه للراديو المذياع حصل تيسلا على احترام كبير كأعظم مهندس كهربائي أمريكي. بعيداً عن أعماله في الكهرومغناطيسية والهندسة .ساهم تيسلا في تقدم الروبوتيكس «الإنسان الآلي».. والتحكم عن بعد.. والرادار.. وحتى علوم الكمبيوتر والتمدد البالستي والفيزياء النووية والفيزياء النظرية.. كان هناك خلاف عظيم حول من اخترع المذياع فيما بين دي فورست ونيكولا تيسلا إلى أن صدقت المحكمة العليا في أمريكا عام ١٩٤٣م على أن تسيلا هو مخترع المذياع .. استخدمت الكثير من انجازات تيسلا بالإضافة إلى بعض الانجازات المختلفة. لدعم العلوم المزيفة مثل نظريات الأجسام الغريبة الطائرة والإيمان بالقوى الخفية.

ورغم أن «تيسلا» عاش لسنوات طويلة في الولايات المتحدة وله إنجازات علمية كثيرة هناك إلا أنها لم تتعرف من خلاله على «الكيمتريل» حيث كان الاتحاد السوفيتي له السبق في اكتشاف أهمية أبحاثه وتطويرها في أوائل القرن الماضي.

أما معرفة واشنطن بـ«الكيمتريل» فقد بدأت مع انهيار الاتحاد السوفيتي وهجرة العلماء الروس إلى أمريكا وأوروبا وإسرائيل.. حيث كانت آخر استخدامات الروس السلمية لهذا الغاز ما حدث في الاحتفال بمناسبة مرور ٦٠ عاماً على هزيمة ألمانيا النازية وانتهاء الحرب العالمية الثانية وذلك في مايو ٢٠٠٥ باستخدام وزارة الدفاع الروسية للطائرات في رش الغاز في سماء موسكو وخصوصاً الميدان الأحمر لتشتيت السحب.. وإجراء مراسم الاحتفالات في جو مشمس.. وكان ضيف الشرف في هذا الاحتفال هو الرئيس الأمريكي السابق «جورج بوش الابن» وذلك للمرة الأولى وهي رسالة موجهة له ليفهم منها دقة التحكم في الطقس بتقنية «الكيمتريل» علي مستوي مدينة واحدة هي موسكو.

وقبل التجربة الروسية السابق الإشارة إليها.. قام السوفيت بإسقاط الأمطار الصناعية "استمطار السحب" وذلك برش الطبقات الحاملة للسحب.. وقد استفادت الصين من ذلك خلال الفترة ما بين ١٩٩٥ و٢٠٠٣ واستمطرت السحب فوق ٣ ملايين كيلو متر مربع "حوالي ثلث مساحة الصين" وحصلت على ٢١٠ مليارات متر مكعب من الماء حققت مكاسب اقتصادية من استزراع تلك المناطق التي كانت جافة قدرت بـ «١,٤» مليار دولار وكانت التكلفة العملية فقط «٢٦٥» مليون دولار.

ثم تطورت أبحاث «الكيمتريل» على يد واشنطن وتوصلت إلى قواعد علمية وتطبيقات تؤدي إلى الدمار الشامل يطلق عليها الأسلحة الزلزالية يمكن بها إحداث زلازل مدمرة اصطناعية في مناطق حزام الزلازل وتقنيات لاستحداث ضغوط جوية عالية أو منخفضة تؤدي إلي حدوث أعاصير مدمرة.

وما يثير المرارة والحسرة في هذا الصدد أن واشنطن نجحت بخبث شديد في انتزاع موافقة الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية في مايو عام ٢٠٠٠ على

قيامها بمهمة استخدام تقنية «الكيمتريل» في تخفيض الاحتباس الحراري على مستوى الكرة الأرضية بعد عرض براءة الاختراع المسجلة عام١٩٩١ من العالمين «ديفيد شانج» و«أي فو شي» بشأن الإسهام في حل مشكلة الانحباس الحراري دون التطرق لأية آثار جانبية. وأعلنت حينها عزمها على تمويل المشروع بالكامل علمياً وتطبيقياً مع وضع الطائرات النفاثة المدنية في جميع دول العالم في خدمة المشروع.. ووافق أغلبية أعضاء الأمم المتحدة على إدخال هذا الاختراع إلى حيز التطبيق وبذلك تم تمرير المشروع بموافقة المجتمع الدولي مع إشراك منظمة الصحة العالمية بعد أن أثار كثير من العلماء مخاوفهم من التأثيرات الجانبية لتقنية «الكيمتريل» علي صحة الإنسان.

وفي ضوء ما سبق.. ظهرت واشنطن وكأنها تسعى لخدمة البشرية.. إلا أنها أخفت الهدف الرئيس وهو تطوير التقنية للدمار الشامل وبالفعل وحسب التقارير المتداولة في هذا الصدد.. فإن الولايات المتحدة سوف تكون قادرة في عام ٢٠٢٥ على التحكم في طقس أية منطقة في العالم عن طريق «الكيمتريل».

اعترافات مثيرة

وهناك من الاعترافات من داخل أمريكا وخارجها ما يؤكد صحة ما سبق.. والبداية في هذا الصدد مع محاضرة ألقاها الكولونيل «تامزي هاوس» أحد جنرالات الجيش الأمريكي.. ونشرت على شبكة معلومات القوات الجوية الأمريكية.. وكشف فيها أن الولايات المتحدة سوف تكون قادرة في عام ٢٠٢٥ علي التحكم في طقس أي منطقة في العالم عن طريق تكنولوجيا عسكرية غير نووية يتم إطلاقها من خزانات ملحقة بالطائرات النفاثة.. مشيراً إلى أن الولايات المتحدة تسعى لاستخدام تقنية «الكيمتريل» كجزء من أدواتها الرئيسية للحروب المستقبلية.

كما تضمنت المحاضرة إشارة إلى توصية من «البنتاجون» تشير إلى استخدام سلاح الجو الأمريكي أسلحة التحكم في الطقس لإطلاق الكوارث الطبيعية الاصطناعية من الأعاصير والفياضانات والجفاف المؤدي للمجاعات.. بالإضافة

إلى التوصية ببدء نشاط إعلامي موجه لتجهيز المواطن الأمريكي لقبول مثل هذه الاختراعات من أجل طقس مناسب لحياة أفضل.. ثم إقناع المواطن الأمريكي بعد ذلك باستخدام هذه الأسلحة لحمايته من "الإرهابيين".

وبجانب الاعتراف السابق.. فإن الطريقة التي عُرف من خلالها سر استخدام «الكيمتريل» كسلاح للدمار الشامل تكشف أيضاً النوايا الحقيقية لواشنطن.. ففي مايو ٢٠٠٣ وخلال عمله بمشروع الدرع الأمريكي.. تمكن عالم من علماء الطقس في كندا كان من العاملين بالمشروع ويدعى «ديب شيلد» من الإطلاع على هذا السر وقد أعلن ذلك على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت في موقع تحت اسم "هولمزليد".

ووفقاً للعالم الكندي.. فإنه وقع بصره عن طريق المصادفة البحتة على وثائق سرية عن إطلاق «الكيمتريل» فوق كوريا الشمالية وأفغانستان وإقليم كوسوفو أثناء الحرب الأهلية اليوغسلافية والعراق والسعودية في حرب الخليج الثانية.

وأضاف في هذا الصدد أنه مقتنع بفكرة مشروع «الكيمتريل» إذا كان سيخدم البشرية ويقلل من ظاهرة الاحتباس الحراري.. ولكنه رفض تماماً أن يُستخدم كسلاح لتركيع الشعوب أو قتلها أوإفناء الجنس البشري.. مشيراً إلى أنه قرر الانسحاب من العمل بمشروع الدرع الأمريكي لأن هدف واشنطن هو الشر وليس الخير.

وبعد حوالي ثلاث سنوات من قيامه بكشف المستور.. وجد العالم الكندي «ديب شيلد» مقتولاً في سيارته في عام ٢٠٠٦ وزعمت الأنباء حينها أنه انتحر.

إيران وإعصار جونو

وقد أطلق علماء الفضاء والطقس في أمريكا «الكيمتريل» سراً في المرة الأولى[1] فوق أجواء كوريا الشمالية حيث تم استخدام «الكيمتريل» فعلياً

(١) بحسب تصريحات نشرتها صحيفة "الأهرام" المصرية في ٧ يوليو ٢٠٠٧ وكشف خلالها الدكتور منير محمد الحسيني أستاذ المكافحة البيولوجية وحماية البيئة بكلية الزراعة بجامعة القاهرة حقائق مثيرة وردت في بحث أعده خصيصا لهذا الأمر.

كسلاح لمواجهة مشروعات كوريا الشمالية النووية.. حيث شهدت تلك الدولة وحدها دون البلدان المجاورة لها موجة من الجفاف التام ونقصاً حاداً في هطول الأمطار على الرغم من اعتماد كوريا الشمالية على زراعة الأرز كغذاء رئيسي لها.. فظهرت حالة جفاف غير مبررة لم تصب كوريا الجنوبية أو الصين مثلاً وهما علي حدودها الشمالية ونتج عن حالة الجفاف مجاعة رهيبة أدت إلى موت الآلاف من البشر شهرياً ووصلت أرقام الضحايا إلى ٦,٢ مليون طفل و١,٢ مليون بالغ خلال عامين فقط من ٢٠٠٢ وحتى ٢٠٠٤.

وكان السبب وراء ذلك هو إضعاف.. وشغل كوريا الشمالية بالجفاف والمجاعة والأمراض.. وبالفعل هجر الكوريون تلك المناطق بعد التعرض للمجاعات والأمراض والموت جوعاً وعطشاً.. ومازالت آثار الغاز موجودة هناك.. وتتلقى كوريا الشمالية حالياً المعونات من الأرز الذي كان يشكل المحصول الرئيس حين كان متوافراً له المياه والأمطار سابقا بينما لم تتأثر جاراتاها كوريا الجنوبية والصين في الشمال..

أماكن أخرى

هذا بالإضافة إلى أن هذا السلاح تم استخدامه أيضاً في منطقة "تورا بورا" بأفغانستان لتجفيفها ودفع السكان للهجرة.. فقد أطلقت الطائرات الأمريكية سُحُبَ الغاز فوق تلك المنطقة في أفغانستان لتجفف النظام البيئي بالمنطقة لإحداث عملية نضوب للماء في هناك.. الأمر الذي دفع المقاتلين الأفغان إلى الفرار والخروج من المخابئ فكان يسهل اصطيادهم.

كما أطلقته مؤسسة "ناسا" عام ١٩٩١ فوق العراق قبل حرب الخليج الثانية وقد طعم الجنود الأمريكيون باللقاح الواقي من الميكروب الذي ينتشر مع «الكيمتريل» ورغم ذلك فقد عاد ٤٧٪ منهم مصابين بالميكروب وأعلن حينها عن إصابتهم بمرض غريب أطلق عليه «مرض الخليج».. وسرعان ما كشف النقاب عن حقيقة هذا المرض الطبيب الأمريكي «جارث نيكولسون» الذي قدم بحثاً أشار فيه إلى الأمراض التي يسببها غاز «الكيمتريل» في الأماكن التي تم

إطلاقه فيها ومنها نزيف الأنف وأوبئة الأنفلونزا وفقدان الذاكرة المؤقت.. مشيراً أيضاً إلى إمكانية حدوث "الإيدز" بسبب زيادة الباريوم في جسم الإنسان.

إعصار جونو

كما أن إعصار "جونو" الذي ضرب سلطنة عمان فيما بعد.. وأحدث خراباً وتدميراً كبيراً ثم انتقل إلى إيران بعد أن فقد نصف قوته كان ناجماً عن استخدام «الكيمتريل» ولم تكن سلطنة عمان هي المقصودة بهذا الدمار.. وإنما كان الهدف إيران.. ولكن بسبب خطأ بعض الحسابات تحول الإعصار إلى سلطنة عمان وعندما ذهب إلى إيران كانت قوته التدميرية قد استنفذت.

بل ورجح أن يكون السبب في ارتفاع درجات الحرارة في السنوات الأخيرة في مصر وشمال إفريقيا وبقية البلدان العربية هو التجارب الأمريكية والإسرائيلية في هذا الصدد.

مصر وأسراب الجراد

كما أن أسراب الجراد التي هاجمت مصر وشمال إفريقيا وشمال البحر الأحمر ومنطقة جنوب شرق آسيا فوق السعودية والأردن في أواخر عام ٢٠٠٤ كان السبب الرئيس فيها هو نفس الغاز.. وذلك بعد رش تلك المنطقة بزعم خفض الاحتباس الحراري.. واختفت السماء خلف السحاب الاصطناعي الكيمترل خلال عدة ساعات وحدث الانخفاض المفاجيء لدرجات الحرارة وتكوين منخفض جوي فوق البحر المتوسط وتحول المسار الطبيعي للرياح الحاملة لأسراب الجراد الصحراوي إلى اتجاه جديد تماماً فإنه من المعلوم في هذا الوقت من السنة لا يتجه الجراد إلي الجزائر وليبيا ومصر والأردن وغيرها وبهذا لم تتم الرحلة الطبيعية لأسراب الجراد.

في هذا الوقت لاحظ الباحثون أن الجراد الذي دخل مصر كان يحمل اللون الأحمر.. بينما كان الجراد الذي يدخل مصر طوال تاريخها يحمل اللون الأصفر.. واختلاف الألوان هنا جاء بسبب أن الجراد الأحمر هو الجراد ناقص النمو الجنسي ولكي يكتمل النمو الجنسي للجراد كان لابد أن يسير في رحلة

طبيعية حتي يتحول إلى اللون الأصفر كما تعودنا أن نشاهده في مصر ولكن مع حدوث المنخفض الجوي الجديد.. اضطر الجراد إلى تغيير رحلته دون أن يصل إلى النضج المطلوب.

كما أن حدوث الصواعق هو أحد الآثار الجانبية الخطيرة لرش «الكيمتريل» خلال طبقة التروبوسفير.. واتحاده مع أملاح وأكسيد الباريوم.. مع ثاني أكسيد الكربون وهما من عوامل الاحتباس الحراري.. فيؤدي ذلك كله إلى تولد شحنات في حقول كهربائية فضائية كبيرة.. وعندما يتم إطلاق موجات الراديو عليها لتفريغها تحدث الصواعق والبرق والرعد الجاف دون سقوط أي أمطار كما حدث في بازل في سويسرا.. وفي ولاية ألاسكا الأمريكية وفي مصر يوم ١٨ مايو ٢٠٠٥ وفي ألمانيا يوم ١٢ مايو ٢٠٠٠.

وليست الصواعق هي الخطر الوحيد الذي يهدد المواطنين في مصر ودول العالم التي ترش في سمائها «الكيمتريل».. بل سيلاحظ السكان وجود ظواهر جديدة مثل تغير لون السماء وتحولها من الأزرق إلى لون أقرب إلى الأبيض وذلك بسبب وجود كمية كبيرة من أملاح الباريوم وجزئيات الألومنيوم بكميات تبلغ ٧ أضعاف مثيلاتها في الطبقات غير المتعاملة بـ«الكيمتريل».

أما تأثير رش «الكيمتريل» على صحة الإنسان.. فقد نشرت مجلات علمية أمريكية لباحثين بعض أبحاثهم التي أعدوها بعد تجريب «الكيمتريل» في الولايات المتحدة من واقع سجلات المستشفيات هناك حيث طرأت قائمة بالأعراض الجانبية وهي كالتالي: نزيف الأنف.. ضيق التنفس.. آلام الصداع.. عدم حفظ التوازن.. الإعياء المزمن.. أوبئة الأنفلونزا.. أزمة التنفس.. التهاب الأنسجة الضامة.. فقدان الذاكرة.. أمراض الزهايمر المرتبطة بزيادة الألومنيوم في جسم الإنسان..

وإقليم كوسفو

وبالإضافة إلى العراق.. وكل تلك الدول أيضاً فإن إقليم كوسوفو المسلم لم يسلم من آثار «الكيمتريل».. حيث استخدمته الطائرات الأمريكية خلال

الغارات التي شنها الناتو على القوات الصربية في الإقليم في التسعينات.. الأمر الذي نجم عنه برودة شديدة في الشتاء وموت الكثيرين بفعل الانخفاض الحاد في درجات الحرارة.

شركات الأدوية تستفيد

ويبدو أن شركات الأدوية هي أحد المستفيدين من هذا السلاح الخطير.. حيث تحرص شركات الدواء الكبري على الاشتراك في تمويل مشروع «الكيمتريل» بمليار دولار سنوياً لأنه مع انتشار الآثار الجانبية لرش «الكيمتريل» على مستوي العالم تزداد مبيعات هذه الشركات على مستوى العالم من جراء بيع الأدوية المضادة لأعراضه.

التكنولوجيا سلاحها الجديد

عموماً لا يمكن التكهن بما سوف يحدث من ظواهر جوية وتأثيرها على النظام البيئي والبشر والنباتات والحيوانات في مثل هذه الأنظمة.. والوقاية الوحيدة ضد هذا الاندفاع الأمريكي واستخدامه السيء للتكنولوجيا والطفرات العلمية هو الالتزام الأخلاقي المفقود لدى أمريكا التي في سبيل سيطرتها علي العالم تندفع بجنون في أى اتجاه .

والخلاصة أنه في ظل الطموح الأمريكي المجنون للسيطرة على العالم.. فإن العالم قد أصبح مهدداً بحروب تدميرية ولكن هذه المرة ليست من خلال الغزو والاحتلال والاستعمار التقليدي وإنما من خلال حروب غامضة تظهر على أنها كوارث طبيعية.



الفصل الثاني عشر

هؤلاء تحدوا الشيطان!!

كما شاهدنا ورأينا عبر الصفحات السابقة كيف أن سجل الولايات المتحدة الأسود عامر بكل المخازي..

لكن في المقابل نجد أن سجل البطولة لمتحديهم ممن سنتحدث عنهم من خلال هذا الفصل عامر بكل المفاخر والشرف..

وقائمة التحدى تحمل أسماءاً كثيرة..

لكننا سنتوقف عند البعضٍ فقط من أصحاب تلك الأسماء في فترا ت تاريخية مختلفة..يمكننا تسميتهم كما عنوننا هذا الفصل بـ (**هؤلاء تحدوا الشيطان**).. والشيطان المقصود به كما هو واضح من أول الكتاب هو الولايات المتحدة التي سطرت بدماء ضحاياها - كما استعرضنا عبر فصول الكتاب - سطور سجلها الأسود من إبادة الهنود الحُمر وحتى تدمير العراق..

إلا أن هؤلاء الذين سنتحدث عنهم الآن فقد سطروا بكفاحهم.. ودماء معظمهم سطوراً ناصعة في سجل تحديهم لشيطان عالم اليوم.

ونبدأ بـــ ...

جيرانيمو أيقونة الهنود الحمر



جيرانيمو[1] هو أيقونة البطولة وأمير الثوار بين كل قبائل الهنود الحمر.. قاد ثورة شعبه ضد البيض.. وعرف بدهائه العسكري ويعد أهم رموز الهنود الحمر.. وكان قائداً بارزاً من قبيلة شيراكاهوا أباتشي.. حارب وتزعم الثورة لفترات طويلة ضد توطن المستوطنين من أصول أوروبية في أراضي القبائل الهندية.

اسمه الحقيقي الأباتشي (جوييل) وسماه المكسيكيون (جيرونيمو) وهو الاسم الأسباني المقابل للاسم الإنجليزي (جيروم)[2].

وُلِدَ في السادس عشر من يونيو سنة ١٨٢٩ وتوفيّ في السابع عشر من فبراير سنة ١٩٠٩..

كان مولده في الولاية التي تُعرف اليوم بـ (نيو مكسيكو)[3] الغربية بالولايات المتحدة.. نشأ وسط جماعة جنوبية من أباتشي جيريكاهوا تُسمى (الندنيز).. بولاية جيهواهوا المكسيكية..

---

(١) هي كلمة بلغة قبيلة شيراكاهوا Goyaałé التابعة للهنود الحُمر تعنى (المتثائب).

(٢) يحتل اسم (جيروم) مكانة متميزة في الثقافة الإنجيلية الغربية والتي ورثها الهنود الحمر عنهم بعد دخول معظمهم الديانة المسيحسي بفضل حملات التبشير.. والاسم يعود إلى قديس من بلاد دلماسيا في القسم المتاخم للبحر الأدرياتيكي التي تعرف الآن باسم يوغسلافيا.. وكلفه البابا داماسوس أسقف روما باعتباره سكرتيره القديس جيروم بإعداد ترجمة لاتينية رسمية يعتمد عليها. فقام القديس جيروم بترجمة العهد القديم عن العبرية مباشرة والعهد الجديد عن اليونانية مباشرة ودعيت ترجمته هذه بالفولجاتا أى العامة والتي صارت الترجمة المعتمدة للكنيسة الكاثوليكية على مدى عشرة قرون.. ويرى العلماء اللاهوتيين والإنجيليين أن لهذه الترجمة اللاتينية أهمية خاصة في تحقيق نص العهد الجديد لأنها ترجع لمنتصف القرن الثانى الميلادى كما أنها تقدم لنا صورة مبكرة للنص اليونانى الذي تُرجمت عنه.. خاصة وإنها كانت أكثر حرفية وهذا يزيد أهميتها..أمضى القديس جيروم سنوات طويلة من عمره في المغاور والأقبية تحت كنيسة المهد معتكفاً على كتبه.. ليقدم أول ترجمة شاملة للكتاب المقدس بمنهجية واضحة.. ولا زال مسيحيو العالم يعتمدون على ترجمته.. وهذا يعكس حجم تأثير العمل الذي أنجزه جيروم.. وهناك أعمال لجيروم منها قاموس الأسماء الكتابية والأصول اللغوية وتفسيرات كتابية.. له العديد من المؤلفات حيث كان عمله الرئيسي في إعادة ترجمة الكتاب المقدس من اللغة العبرية إلى اللاتينية. هذا لأن الترجمات اللاتينية التي كانت شائعة آنذاك كانت قد اتّخذت الترجمة اليونانية السبعينية مرجعاً لها.. فجاءت ذات إنشاء ركيك وحرفي.. وحظيَ هذا العمل بموافقة البابا داماسيوس.

(٣) نيو مكسيكو: هي ولاية أمريكية تقع في جنوب غرب الولايات المتحدة عاصمتها سانتا فيه.. وأكبر مدنها مدينة ألبكركي.. وهي خامس أكبر الولايات المتحدة من حيث المساحة.. انضمت إلى الولايات المتحدة في ٦ ينـاير ١٩١٢ لتصبح الولاية رقم (٤٧) وشهدت تفجير أول قنبلة نووية في التاريخ على سبيل التجريب..

معاركه ضد المستوطنين البيض

وفي سنة ١٨٧٧حاصرت الحكومة الأمريكية الأباتشي الذين انضم لهم جيرونيمو ونقلتهم إلى منطقة مخصصة في سان كارلوس في أريزونا.. وكان هذا النقل بسبب النزاعات المستمرة بين الهنود والمستوطنين البيض.. اشتهر الأباتشي بأنهم مقاتلون قساة.. هرب جيرونيمو من المنطقة وقاتل ضد القوات الأمريكية في مناطق الجنوب الغربي وجيهواهوا.

وفي سنة ١٨٨٢م هرب جيرونيمو مع أباتشي آخرين إلى جبال (سييرا مادري) في المكسيك.. وأقام هناك مع أتباعه معسكراتٍ سرية.. ثم قاموا بغارات دموية على جانبي الحدود المكسيكية ـ الأمريكية.. وقاد الجنرال (جورج كروك) القوات الأمريكية في عدة هجمات على معسكرات الأباتشي في سييرا مادري.

وفي سنة ١٨٨٣م.. هرب جيرونيمو مع أباتشي آخرين مرة أخرى سنة ١٨٨٥م ولكنهم استسلموا في السنة التالية.

وهكذا قضى (جيرونيمو) حياته بين كرٍ.. وفر.. من مكانٍ إلى آخر.. ومن معركةٍ ضد المستعمرين البيض إلى أخرى..

الهنود يعترضون على تشبيه بن لادن بزعيمهم جيرونيمو

فيما بعد تمكنت القوات الأمريكية من تصفية (بن لادن)[1] في شهر إبريل ٢٠١١ اتضح أن القوات الأمريكية التي قامت بتصفية بن لادن كانت قد أطلقت اسم (جيرانيمو) على العملية وقاصدين من خلال ذلك تشبيه كلٍ منهما بالآخر.. لكن هذا لم يُعجب الهنود الحمر.. الذين رأوا في ذلك تقليلاً من شأن زعيمهم

المكتشف الأسباني فرانسيسكو فاسكيز دي كورونادو هو أول من اكتشف هذه الولاية ورحل إليها للبحث عن الذهب وذلك خلال في الفترة من١٥٤٠ إلي١٥٤٢ وقد تم تأسيس أول مستعمرة إسبانية بها عام ١٥٩٨ علي يد الإسباني (خوان دي أوناتي) علي جانب نهر ريو جراند.. وقد حصلت الولايات المتحدة الأمريكية علي معظم أراضي الولاية عام ١٨٤٨وذلك نتيجة الحرب المكسيكية الأمريكية.

(١) سنستعرض سيرته لا حقاً في نفس الفصل.

وبطلهم الأسطوري.. ومقارنته بشخص ـ يعتقدون ومعهم كل العذر ـ أنه إرهابي.. وأخذوا يعلنون رفضهم استيائهم من ذلك عبر كل وسائل الإعلام العالمية..

وقال (جيفرسون كيل) رئيس المؤتمر الوطني للهنود الحمر الأمريكيين.. وهو أكبر تنظيم يمثل الهنود الحمر.. إن إشراك اسم قائدهم الكبير في عملية تصفية (بن لادن).. يقلل من تضحيات أبناء الهنود الحمر في صفوف الجيش الأمريكي عبر أصقاع العالم.. وقالت تنظيمات أخرى إن إطلاق اسم قائد ثورة الهنود الحمر في القرن التاسع عشر.. سيترك آثارا وخيمة في تفكير الأطفال من الهنود الحمر وغيرهم.

وقالت ممثلة لجنة شؤون الهنود الحمر في مجلس الشيوخ الأمريكي (لوريتا توال) أن اللجنة ستقدم تظلماً رسمياً بإشراك اسم (جيرانيمو) مع العدو الأول للولايات المتحدة.

وكانت وكالات الأنباء العالمية قد أعلنت عن ذلك عندما كشفت اتصال قائد القوات الخاصة التي أنزلت بباكستان بغرفة المتابعة بالبيت الأبيض.. حيث كان أوباما يتابع بنفسه العملية مباشرة.. وقال: جيرانيمو قُتِلَ أثناء القتال).

للأمر معناه المقصود

إطلاق اسم زعيم الهنود الحُمر (جيرانيمو) بعملية مقتل بن لادن الذي هو بالنسبة للغرب وأمريكا ـ على الأقل إعلامياً سواء بصدق أم ادعاء في زعمهم ـ زعيم تنظيم إرهابي.. يحمل الكثير من الإشارات والدّلائل:

- عند الهنود الحُمر.. فهم يرون في ذلك تهكّما أمريكياً (رسمياً) على تاريخ أجدادهم وبالأخص جدهم الثوري.. والذي باتوا يعتقدون بأنه راسخ في ذهنية الرجل الأبيض الأمريكي على أنه خارج عن القانون.. أو مُرتزق.. أو إرهابي (يليق) إطلاق إسمه على قرينه وشبيهه ـ في حرفة القتل وقطع الطريق وزعزعة الأمن والإستقرار ـ بن لادن !..
- مازال الأمريكيون البيض يعتبرون أن كل مناهضة قابلت أجدادهم في سبيل تأسيس إمبراطوريتهم هي عمل إجرامي.. لا يقوم به إلا إرهابي..

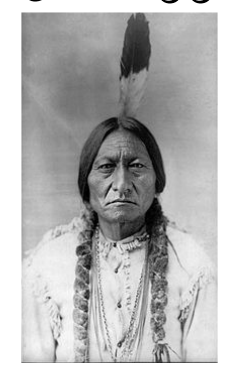
وإلا لماذا إذن اختارت الإدارة الأمريكية رمزهم دون جميع الرموز الأخرى لتشفير رسالة مقتل بن لادن.. هكذا كانوا ينظرون إلى بن لادن.. ومن قبله إلى الثائر الهندي الذي كانت كل جريمته من وجهة نظرهم أنه يدافع عن أرضه.. وأهله ضد غُزاة مارسوا ضدهم أقسى أنواع التعذيب.. والقتل.

ومن بين تعليقات الهنود الحمر على الحادث كتب أحدهم يقول:

(باسم الشعب الهندي الأحمر المندثر فإننا نندد بما قام به رعاة البقر الصليبيون المستعمرون من بطش وعدوان على الشعوب الإسلامية الصديقة.. كما نستنكر ونشجب إطلاق اسم جدنا الخالد في السماوات وفي التاريخ القائد الثائر (جيرانيمو) على من يُزعَم باطلا أنه عدو أُمِنا أمريكا.. ونعتبر هذا العمل إهانةً لرمز من رموز وطننا أمريكا وإساءةً لها.. وهو فِعْلٌ يعبر عن حقد الاحتلال على شعبنا حتى بعد اندثاره)..

❖❖❖

الثور الجالس[1]



الثور الجالس هو محارب من الهنود الحمر.. عاش بين عامي (١٨٣٤ - ١٨٩٠) وهو زعيم قبيلة (هونكبابا) انتصر على خيالة الولايات المتحدة في معركة (ليتل بيج هورن)[2]. تميز بفخره واعتزازه بنفسه وعدم ثقته إطلاقاً بمحتلين البيض وعزمه الشديد على طردهم من بلاده.. ولم يوقع أي معاهدة مع الحكومة الأمريكية ولم يقبل الهدايا التي كان يقدمها إليه الهنود الآخرون.

مقاتل منذ صغره

ولد في قبيلة هونكبابا واشترك منذ وقت مبكر من حياته في جماعات هندية مقاتلة وكانت بعض هذه الجماعات معروفة بأسماء مثل القلب القوي.. الآكلون الصامتون.

أول معاركه مع المستعمرين كانت في يونيو ١٨٦٣ عند قام بالرد على الجيش الأمريكي بعد مذبحة (مينيسوتا)[3].

---

(١) هناك في المكتبة الأمريكية والغربية كتابان عن سيرة حياته الأول بعنوان (الثور الجالس بطل السيو) و(حياة وموت الثور الجالس) والكتابان تمت ترجمتهم إلى العديد من اللغات.

(٢) سُميت المعركة باسم النهر الذي وقعت على ضفافه ويحمل نفس الاسم شرقي ولاية مونتانا.. وقد تحدثنا عن تفاصيل المعركة من قبل.

(٣) سُميت بهذا الاسم مينيسوتا وتعرف باسم الولاية ذات العشرة آلاف بحيرة. أهم مدنها هي مينيابولس المتحدة معها مدينة سانت باول عاصمة الولاية ويطلق عليهما معا المدينتان التوأم. تقع في الوسط من الناحية الشمالية لالولايات المتحدة الأمريكية يحدها من الشمال في كندا مقاطعتي مانيتوبا وأونتاريو ومن الغرب ولاية داكوتا الشمالية وداكوتا الجنوبية ومن الجنوب ولاية آيوا ومن الجنوب ولاية ويسكنسن.. دخلت مينوسوتا الاتحاد عام ١٨٥٨ وكانت الولاية رقم ٣٢ التي تنضم للاتحاد.. اسم الولاية مشتق من اللغة لسكان أمريكا الأصليين وتعني (المياه الغائمة) وتسمى أيضا بولاية ١٠٠٠٠ بحيرة ولكن عدد البحيرات قد يزيد عن ١٥٠٠٠

وفي السنة اللاحقة اشتبك مع الجيش في معركة (جبل كيلدير) في داكوتا فأصبح بعدها قدره هو الحرب دائماً مما أهله فيما بعد سنة ١٨٦٧بما كان يتمتع به أصلاً من شجاعة وحكمة ليصبح زعيم أمة السيو كلها.

مآسي اكتشاف الذهب

عندما اكتشف الذهب في التلال السوداء في داكوتا الجنوبية ووايومينج في منتصف السبعينات تم خرق المعاهدة الثانية التي وقعت في حصن لارامي سنة ١٨٦٨ مثل كل المعاهدات الأخرى التي تم خرقها.. وبمجيء المنقبين عن الذهب بدأ يزداد تحدي الثور الجالس لهم ومناوشاته معهم.

هجرة الهنود إلى المحميات

ولحماية المهاجرين البيض أمر المفوض وكان يدعى (شفرون) الهنود بالرحيل إلى المحميات سنة ١٨٧٥ وذلك يتم في موعد أقصى عند ٣١ يناير ١٨٧٦ أو يصبحوا معادين للولايات المتحدة.. وحتى الثور الجالس امتثل للأوامر حتى لا تضيع بلدته ويتم نقلها ٤٠٠ كم في الطقس القاسي في ذلك الوقت.

وفي مارس من نفس السنة قاد الجنرال (جورج كروك) حملات عدوانية ضد الهنود فرد الثور الجالس بجمع كافة قبائل السيو والشايان وبعض الأراباهو في معسكره في مونتانا واضطرت قوات كروك للتراجع بعد معركة (روزبد) فانتقلوا إلى معسكر آخر في (ليتل بيج هورن).

النبوءة التي تحققت بعد رقصة الشمس

عندها قام الثور الجالس برقصة الشمس[1].. وبعد خروجه من الغيبوبة بعد تعذيبه لنفسه قال أن جنوداً سيهبطون على معسكره من السماء مثل

و٣/٤ البحيرات تزيد مساحتها عن ١٠ هكتار.. وتسمى الولاية أيضا بولاية السنجاب الأمريكي ويختلف في أصل هذه التسمية هل هي بسبب تواجد حيوان السنجاب في جنوب الولاية أو بسبب كاريكاتير من القرن١٩ حيث صور أصحاب اتحاد خط السكة الحديدية غير الصادقين على شكل سنجاب أمريكية.. وتسمى أيضا بولاية نجم الشمال.

(١) أشبه ما تكون بحفلات الزار.. وتُسمى بالإنجليزية (ميديسن لودج) أى (نزول الطب).. وهي تقليد هندي قديم مُتعارف عليه منذ قديم خاصةً في قبيلة (بلاكفوت.. أو سيكسيكا) وهي إحدى قبائل سكان أمريكا

(الجنـادب)[1].. وتحققـت نبوءتـه في ٢٥ يونيـو ١٨٧٦ عنـدما قـام الجنـرال (جـورج كاستر) بمهاجمته في موقعة (ليتل بيج هـورن) وفي إحـدى أكـبر معـارك الهنـود الحمر قامت فرقة الخيالة السابعة للولايات المتحدة بمهاجمة جيش هندي يفوقهم عشر مرات فأبيد كستر ورجاله عن آخرهم.

وكرد على المعركة تمت زيادة العمليات العسكرية ضد الهنود ورغم أنهم خرجوا منتصرين لم يكونوا ليربحوا حرباً دمرت إمداداتهم الغذائية.. وفي مايو ١٨٧٧ قاد الثور أتباعه الباقين إلى الحدود نحو كندا وأجبرته المجاعة بعد ذلك على التراجع إلى داكوتا الشمالية واستسلم في ١٩ يوليو في حصن بيوفورد.

ورغم أنـه تم وعـده بـالعفو إلا أنـه ظـل سـنتين سـجيناً في سـجن (رانـدال) في داكوتا الجنوبية قبل أن يسمح له بالانضمام لشعبه في ستاندينج روك سنة ١٨٨٣ وهنـاك اعتـبره المعتمـد الحكـومي للـهنود مثـل أي هنـدي آخـر.. وأخـذ الزعمـاء المنافسون يتوددون إليه.. وسمح له المعتمد مكلوفلين بالانضمام لعرض بوفالو بيل للغرب المتوحش حيث نال هناك شهرة عالمية كنموذج للزعيم الهندي.

سرقة رفاته

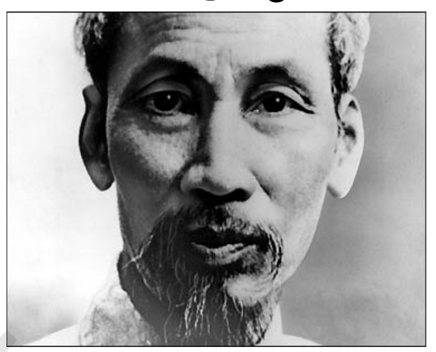
عاش الثور الجالس في المحمية وعنـدما أتـت الأخبـار حـول عصيان هنـدي ربمـا قاده الثـور الجـالس بنفسـه.. ازداد رعب المجتمع الأبيض وتم إصدار أمـر القبض عليه كشخص مثير للفتن وتم جره من سريره مـن قبـل الشـرطة الهنديـة وقتـل في الاشـتباك التـالي وتم دفنـه في (فـورت ييـتس) وتم نقلـه بعـد عشـر سـنوات إلى موبريدج في داكوتا الجنوبية حيث يظهر تمثال من الجرانيت على قبره.. وفي سنة

الأصليين الـذين يعيشـون حاليـاً في ولايـة مونتانـا الأمريكيـة ومقاطعـة ألبرتـا الكنديـة.. وكـانوا يعيشـون في شمـال وغـرب منطقـة البحيرات العظمـى وجـاءوا للمشـاركة في ثقافـة السـهول الهنديـة.. وبحسـب أسـاطير البلاكفوت هناك عالم خارق يهيمن فوق عالمنا الطبيعي من قبل الشمس التي هـي في معتقداتهم الإله أو الخـالق (نـاه- تـو- سـي) أي الجبـار أو المقـدس).. ومـن أقـوالهم: (إذا غُلِبـت.. اذهـب ونـام فسـتحصـل علـى السلطة.. سيأتي لك شيء في حلمك من شأنها أن تساعدك)

١) الجنادب جمع (جندب) وهو المفرد من حشرة الجراد.

١٩٥٤ تمت سرقة رفاته.. وبعدها تم استرجاع الرفات.. وإعادة دفنه.. ووضعت عظامه في قالب من الأسمنت.. وأُحِيطَ قبره بأسلاك شائكة.

هو شي منه



مؤسس الدولة الفييتنامية الشمالية ورائد النهضة القومية في الهند الصينية ينتمى إلى أسرة فقيرة «١٨٩٠- ١٩٦٩».. وكان رفاقه يدعونه «العم هو اللطيف» هاجر لبريطانيا للعمل هناك عام ١٩١٤ خاض مع رفاقه حروباً محدودة ضد الاستعمار الفرنسي لبلاده ١٩١٧ التحق بالحزب الشيوعى الفييتنامى وأسس جريدة الأبرياء وأصبح عضواً فاعلاً في الحزب.. في عام ١٩٢٤ قام بزيارة روسيا وفي عام ١٩٣٠ اسس "نفوين أي كوك" والذي عرف فيما بعد باسم هوشى منه النواة الأولى للحزب الشيوعى الفييتنامى الذي أضحى الحزب الأساسي ضمن الحركة الوطنية الفييتنامية في عام ١٩٤٠ دخلت اليابان الحرب ضد فرنسا فاحتلت فييتنام وبسطت نفوذها مكان الفرنسيين.. وواصل هو شى منه نضاله السياسى والعسكري ضد اليابانيين.. توفي هو شي منه في سبتمبر ١٩٦٩ دون أن يحقق حلمه التاريخي بتحرير الجنوب وإقامة دولة فييتنام الموحدة.. لكن مع استمرار القتال من قبل الثوار وتحريرهم للمدن الفييتنامية الجنوبية الواحدة تلو الأخرى وتراجع القوات الأمريكية تمكنت قوات الفيتكونج في ٢٩ إبريل١٩٧٥ من إسقاط العاصمة سايجون نفسها وتغيير اسمها إلى مدينة "هو شي منه".

❖❖❖

مارتن لوثر كنج..
وحلمه الذي اغتالته العنصرية الأمريكية



لوثر أثناء خطابه الشهير

لا نستطيع الحديث عن السود.. وما لاقوه من اضطهاد.. وفظائع في بلاد العم سام دون أن نتوقف عند (مارتن لوثر كينج) الثائر.. والمصلح الاجتماعي الأسود.. وأشهر من حمل راية الكفاح ضد العنصرية الأمريكية في تاريخها كله.

فتحت شعار (عندي حلم) دشن لوثر حملته ضد العنصرية.. وهو نفسه الاسم الذي سُمِيَت به خطبته الشهيرة التي ألقاها عند نصب لينكولن التذكاري في ٢٨ أغسطس ١٩٦٣ أثناء مسيرة واشنطن للحرية.. عبر خلالها عن رغبته في رؤية مستقبل يتعايش فيه السود والبيض بحرية ومساواة وتجانس.

وفي مدينة أتلانتا الأمريكية وتحديداً في اليوم الخامس عشر من يناير عام ١٩٢٩ وُلِدَ مارتن لوثر كينج.. وبعد تفوقٍ دراسيٍ ملحوظ حصل على درجة البكالوريوس في الآداب سنة ١٩٤٨ ولم يكن عمره قد تجاوز آنذاك التاسعة عشر.

ثم تزوج عام ١٩٥٣ من فتاة زنجية..

بعدهاحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة بوسطن..

ثم انتقل هو وزوجته إلى مدينة مونتجمري التي شهدت بداية نضاله ضد العنصرية والاضطهاد التي كان يعانى منها السود خاصة في وسائل المواصلات العامة التي اشتهرت بإهانة مستخدميها من الأفارقة.. حيث كانت تخصص لهم المقاعد الخلفية فقط.. وعليه كان من حق السائق أن يأمر الركاب الزنوج بترك مقاعدهم الأمامية لنظرائهم البيض.. واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن جاء يوم الخميس الأول من ديسمبر عام ١٩٥٥ عندما رفضت إحدى السيدات الزنجيات أن تخلي مقعدها لراكب أبيض.. فما كان من السائق إلا أن استدعى رجال البوليس الذين ألقوا القبض عليها بتهمة مخالفة القوانين لتكون بداية ثورة السود.

كادت الثورة أن تتسبب في إراقة شلالات من الدماء.. لولا تدخل مارتن لوثر كينج الذي اعتمد مبدأ الاحتجاج السلمى عوضاً عن العنف.. متأثراً بأسلوب المناضل الهندى «مهاتما غاندى».. وبدأ السود ثورتهم السلمية بمقاطعة المواصلات العامة التي كان السود يشكلون ٧٠٪ من إيراداتها.. وتم اعتقال مارتن عدة مرات لأسباب واهية منها دعوته أبناء جلدته إلى المقاطعة.. واستمر الاعتقال إلى أن تقدمت أربع سيدات من أصول أفريقية إلى المحكمة الاتحادية في مونتجمري لإلغاء التفرقة العنصرية في وسائل النقل.. وأصدرت المحكمة بعدها حكمها التاريخي الذي منع التفرقة العنصرية.. وعندها فقط طلب مارتن من أتباعه إنهاء المقاطعة والعودة لاستخدام وسائل المواصلات العامة.

وفي يونيو ١٩٥٧م بدأ مارتن لوثر كينج بالمطالبة بحقوق السود في الانتخابات وكان عمره آنذاك ٢٧ عاماً.. ومن أمام نصب ابراهام لينكولن نجح في تسجيل خمسة ملايين أمريكي من أصول أفريقية في سجلات الناخبين.

وفي عام ١٩٦٣م بعد تولى «جون كنيدى»[١] منصب الرئاسة قام مارتن وأنصاره بسلسلة من المظاهرات السلمية في برمنجهام للمطالبة بحقوق السود.. لتقع مواجهة دامية بين الشرطة والمتظاهرين السود.. ويصدر بعد ذلك حكماً قضائياً بمنع الاحتجاجات والمسيرات والمقاطعة والاعتصام.. ليعلن مارتن عن تحدى المحكمة ويخرج في مسيرة يتقدمها الأطفال.. لتحدث المواجهة مرة أخرى بين الشرطة وكلابها البوليسية المتوحشة وبين المسيرة التي يتقدمها الأطفال.. والتقطت الكاميرات الصور للكلاب البوليسية وهي تنهش أجساد الأطفال.. وانتشرت تلك الصور في العالم كله.. وألهبت مشاعر السود في كل أنحاء الولايات المتحدة.. واستمرت أعمال العنف بضراوة مما دفع الرئيس الأمريكي جون كنيدى إلى إعلان حالة الطوارئ.

I have a dream

استمرت الثورة وسار أكثر من ٢٥٠ ألف متظاهراً باتجاه نصب لينكولن التذكاري.. وهناك ألقى "لوثر" المولد خطبة رائعة عنوانها I have a dream

ويُعتبر اليوم الذي أُلقيت فيه هذه الخطبة من اللحظات الفاصلة في تاريخ حركة الحريات المدنية حيث خطب كينج في ٢٥٠ ألف من مناصري الحقوق المدنية.. كما تُعتبر هذه الخطبة واحدة من أكثر الخطب بلاغة في تاريخ العالم الغربى[٢] وقد قال جون لويس النائب في مجلس النواب الأمريكي الذي تحدث أيضاً في هذا اليوم بصفته رئيس إحدى المنظمات الطلابية التي تنادى بالحريات المدنية:

"لقد كان لدى الدكتور كينج القوة والمقدرة على تحويل درجات سلم نصب لينكولن التذكاري إلى منبر.. ولقد ألهمَ.. وعلمَ.. وأعلمَ كينج بالطريقة التي

---

(١) جون كينيدي رئيس الولايات المتحدة الخامس والثلاثون.. تولى الرئاسة خلفاً للرئيس دوايت أيزنهاور وقد خلفه نائبه ليندون جونسون وُلِدَ في ٢٩ مايو ١٩١٧ وتوفي مقتولاً في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ في دلاس تكساس وقد أُتّهم لي هارفي اوسولد باغتياله.

(٢) تم اختيارها كأهم خطبة أمريكية في القرن العشرين طبقاً لتصويت كتاب الخُطب الأمريكية.

تحدث بها ليس فقط الحاضرين المستمعين.. ولكنه ألهمَ.. وعلمَ.. وأعلمَ كل الناس في كل أمريكا.. وكل الأجيال القادمة التي لم تُولد بعد".

وبعد أن أنهي كينج قراءة خطبته المُعدةُ مسبقاً ارتجل خاتمتها التي كانت تُكرر فيها عبارة "عندي حلم" التي اقتبسها من أغنية للممغنية السمراء" ماهاليا جاكسون" التي تقول في بعض كلماتها «قل لهم عن الحلم يا مارتن».

الخطبة

اُعتبرت خطبة كينج تحفة في البلاغة فأسلوبها يُماثل أسلوب المواعظ المعمدانية وفيها اقتباسات من مصادر لها ثقلها البلاغي مثل الكتاب المقدس.. وأشار كينج في خطبته إلى العديد من العبارات والنصوص التي قيلت من قبل.

ففي بداية خطابه لمح كينج إلى الخطاب الذي ألقاه أبراهام لينكولن في جيتيسبرج قبل ١٢٥ عاماً مضت.. والذي قال فيه لينكولن «أن كل البشر وُلدوا سواسية».

واستعان كينج أيضاً ببعض آيات الإنجيل.. والكتب المقدسة.

وقال عن التحرر من العبودية الذي ضُمن في إعلان إلغاء العبودية في أمريكا:

"لقد جاء هذا الإعلان كفجر بهيج لينهي ظلام ليل أسرهم"

وفي أول خطابه دعى الجماهير المستمعة إلى إدراك اللحظة الواقفين فيها بقوله "الآن هو الوقت.." وكررها بعد ذلك أربع مرات.

أما عبارة "عندي حلم" فقد كررها ثماني مرات.. عندما كان كينج يرسم بخياله صورة لأمريكا موحدة تؤمن بالمساواة والحرية..

"وكرر أكثر من مرة عبارة".

"لن نرتضي أبداً ولو بعد مائة عام أخرى".

وعبارة "دعوا الحرية تدق".

مقتطفات من خطبة لوثر التاريخية

- عندي حلم بأنه في يوم ما على تلال جورجيا الحمراء سيستطيع أبناء العبيد السابقين الجلوس مع أبناء أسياد العبيد السابقين معاً على منضدة الإخاء.

- هـذا هـو أملنـا.. هـذا هـو الإيمـان بأنـه عنـدما أعـود إلى الجنـوب.. بهـذا الإيمـان سـنكون قـادرين علـى شـق جبـل اليـأس بصـخرة الأمـل.. بهـذا الإيمان سنكون قادرين على تحويل أصوات الفتنة إلى لحن جميل من الإخاء.. بهذا الإيمان سنكون قادرين على العمل معاً.. والصلاة معاً.. والكفاح معاً.. والدخول إلى السجون معاً.. والوقوف من أجل الحرية معاً.. عارفين بأننا سنكون أحراراً يوماً ما.
- عندي حلم بأنه في يوم ما سيعيش أطفالي الأربعة بين أمة لا يُحكم فيها على الفرد من لون بشرته إنما مما تحويه شخصيته.
- دعوا الحرية تدق.. وعندما يحدث ذلك عندما ندع الحرية تدق.. عندما ندعها تدق من كل قرية.. ومن كل ولاية.. ومن كل مدينة.. سيكون قد اقترب هذا اليوم.. عندما يكون كل الأطفال الذين خلقهم الله: السود والبيض اليهود وغير اليهود الكاثوليك والبروتستانت قد أصبحوا قادرين على أن تتشابك أيديهم وينشدون كلمات أغنية الزنجي الروحية القديمة:

"أحرار في النهاية..
أحرار في النهاية..
شكراً يا رب العالمين..
نحن أحرار في النهاية..

- عندي حلم بأنه في يومٍ ما ستنهض هذه الأمة.. وتعيش المعنى الحقيقي لعقيدتها الوطنية بأن كل الناس خلقوا سواسية.
- عندي حلم أنه في يوم ما بأن كل وطاء يرتفع.. وكل جبل.. ينخفض ويصير المعوج مستقيماً.. فيعلن مجد الرب.. ويراه كل البشر جميعاً.
- عند حلم أنه في يوم ما في ألاباما بمتعصبيها العميان.. وحاكمها الذي تتقاطر من شفتيه كلمات الأمر والنهي.. في يوم ما هناك في ألاباما

ستتشابك أيدي الصبيان والبنات السود.. والصبيان والبنات البيض كإخوان وأخوات.. أنا عندي حلم اليوم.

- أنا أقول اليوم لكم يا أصدقائي أنه حتى على الرغم من الصعوبات التي نواجهها اليوم.. والتي سنواجهها في الأيام المقبلة.. لا يزال عندي حلم وهو حلم ضارب بجذوره العميقة في الحلم الأمريكي.

وقد حصل مارتن على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤ لتبنيه السلم في حركته النضالية لإنهاء التفرقة العنصرية ضد السود.

وفي الرابع من ابريل عام ١٩٦٨م اغتالت رصاصات الغدر أحلام القس الأسود مارتن لوثر كينج.. على يد أحد المتعصبين البيض لتسجل نهايته الجسدية.. لكن ثورته بقيت حية وخالدة في قلوب وعقول الملايين من الأمريكيين السود ورمزاً للتحرر والانتصار على الذل والتفرقة العنصرية..

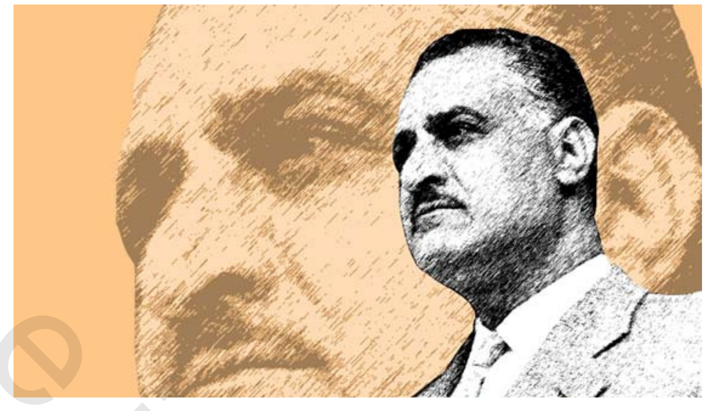


مقبرة مارتن لوثر كينج مكتوب عليها "حر في النهاية! حر في النهاية! شكراً يا رب العالمين أنا حر في النهاية!



THE BLACK REPORT OF USA

جمال عبد الناصر



هو أشهر من التعريف له..

وعداءه وتحديه للولايات المتحدة يصنفه أهم أعداءها خلال القرن العشرين..

ويعتبر من أهم الشخصيات السياسية في الوطن العربي وفي العالم النامي للقرن العشرين والتي أثرت تأثيرا كبيراً في المسار السياسي العالمي.. عُرِفَ بقوميته وانتماؤه للوطن العربي.. وأصبحت أفكاره مذهباً سياسياً سُمي باسمه وهو "الفكر الناصري" والذي اكتسب الكثير من المؤيدين في الوطن العربي خلال فترة الخمسينيات والستينيات. وناصر هو ثاني رؤساء مصر.

وتولى السلطة في مصر بعد قيامه بثورة يوليو من سنة ١٩٥٤إلى وفاته سنة ١٩٧٠.

وبدء عهد جديد من التمدن في مصر والاهتمام بالقومية العربية والتي تضمنت فترة قصيرة من الوحدة بين مصر وسوريا ما بين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦١ والتي عرفت باسم الجمهورية العربية المتحدة. كما أن عبد الناصر شجع عدد من الثورات في أقطار الوطن العربي وعدد من الدول الأخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

ولقد كان لعبد الناصر دور قيادي وأساسي في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في سنة ١٩٦٤ وحركة عدم الانحياز الدولية.

وبالرغم من أن صورة جمال عبد الناصر كقائد اهتزت خلال نكسة ٦٧ إلا أنه ما زال يحظى بشعبية وتأييد بين كثير من مؤيديه.. والذين يعتبرونه (رمزاً للكرامة والحرية العربية ضد استبداد الاستعمار وطغيان الاحتلال).

توفي سنة ١٩٧٠.

وُلِدَ جمال عبد الناصر في (١٥ يناير ١٩١٨) بالإسكندرية[١] قبيل أحداث ثورة ١٩١٩ التي هزّت مصر.. وحركت وجدان المصريين..

في بدايه حياته. وكان والده دائم الترحال والانتقال من بلدة إلى أخرى؛ نظراً لطبيعة وظيفته التي كانت تجعله لا يستقر كثيراً في مكان.

ولم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى تُوفيت أمه في (٢ أبريل ١٩٢٦) وهي تضع مولودها الرابع "شوقي" بعد إخوته الليثي وعِز العرب.. وكان عمه "خليل".. الذي يعمل موظفاً بالأوقاف في القاهرة متزوجاً منذ فترة.. ولكنه لم يرزق بأبناء.. فوجد في أبناء أخيه أبوته المفتقدة وحنينه الدائم إلى الأبناء؛ فأخذهم معه إلى القاهرة؛ ليقيموا معه حيث يوفر لهم الرعاية والاستقرار بعد وفاة أمهم.

وبعد أكثر من سبع سنوات على وفاة السيدة "فهيمة" تزوج والد عبد الناصر من السيدة "عنايات مصطفي" في مدينة السويس وذلك سنة ١٩٣٣.. ثم ما لبث أن تم نقله إلى القاهرة ليصبح مأمورا للبريد في حي الخرنفش بين الأزبكية والعباسية؛ حيث استأجر بيتا يملكه أحد اليهود المصريين.. فانتقل مع إخوته للعيش مع أبيهم. بعد أن تم نقل عمه "خليل" إلى إحدى القرى بالمحلة الكبرى.. وكان في ذلك الوقت طالباً في الصف الأول الثانوي. وكان ذلك في سن ١٢.

تخرج من الكلية الحربية عام (١٩٣٨) التحق بالكتيبة الثالثة بنادق.. وتم نقله إلى (منقباد) بأسيوط حيث التقى هناك بأنور السادات وزكريا محيي الدين.

وفي سنة (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩) تم نقله إلى الإسكندرية.. وهناك تعرف على عبد الحكيم عامر.. الذي كان قد تخرج في الدفعة التالية له من الكلية الحربية..

(١) تحول المنزل الذي وُلِدَ فيه جمال عبد الناصر الآن إلي متحف يضم مقتنياته الخاصة.

وفي عام ١٩٤٢ تم نقله إلى معسكر العلمين.. وما لبث أن نُقل إلى السودان ومعه عامر.

وعندما عاد من السودان تم تعيينه مدرساً بالكلية الحربية.. والتحق بكلية أركان الحرب.. فالتقى خلال دراسته بزملائه الذين أسس معهم (تنظيم الضباط الأحرار).

وكانت الفترة ما بين ١٩٤٥و١٩٤٧ هي البداية الحقيقية لتكوين نواة تنظيم الضباط الأحرار؛ فقد كان معظم الضباط.. الذين أصبحوا - فيما بعد "اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار".. يعملون في العديد من الوحدات القريبة من القاهرة.. وكانت تربطهم علاقات قوية بزملائهم.. فكسبوا من بينهم مؤيدين لهم.

وكانت حرب ١٩٤٨ هي الشرارة التي فجّرت عزم هؤلاء الضباط على الثورة.. وفي تلك الأثناء كان كثير من هؤلاء الضباط منخرطين بالفعل في حرب فلسطين.

وفي صيف ١٩٤٩ نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثوري سري في الجيش.. وتشكلت لجنة تأسيسية ضمت في بدايتها خمسة أعضاء فقط.. هم: جمال عبد الناصر.. وكمال الدين حسين.. وحسن إبراهيم.. وخالد محيي الدين.. وعبد المنعم عبد الرءوف.. ثم زيدت بعد ذلك إلى عشرة.. بعد أن انضم إليها كل من: أنور السادات.. وعبد الحكيم عامر.. وعبد اللطيف البغدادي.. وزكريا محيي الدين.. وجمال سالم. وظل خارج اللجنة كل من: ثروت عكاشة.. وعلي صبري.. ويوسف منصور صديق.

وفي ذلك الوقت تم تعيين جمال عبد الناصر مدرساً في كلية أركان الحرب.. ومنحه رتبة بكباشي (مقدم).. بعد حصوله على دبلوم أركان الحرب العام ١٩٥١ في أعقاب عودته من حرب فلسطين.. وكان قد حوصر هو ومجموعة من رفاقه في "الفالوجة" أكثر من أربعة أشهر.. وبلغ عدد الغارات الجوية عليها أثناء الحصار ٢٢٠ غارة.

وعاد بعد أن رأى بعينه الموت يحصد أرواح جنوده وزملائه.. الذين رفضوا الاستسلام لليهود.. وقاوموا برغم الحصار العنيف والإمكانات المحدودة.. وقاتلوا بفدائية نادرة وبطولة فريدة حتى تم رفع الحصار في مارس ١٩٤٩.

كان دائم التأثر بالأحداث الدولية وبالواقع العربي وأحداثه السياسية وتداعيات الحرب العالمية الثانية وانقلاب بكر صدقي باشا كأول انقلاب عسكري في الوطن العربي في العراق سنة ١٩٣٦ وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز والحكومة الموالية لهم سنة ١٩٤١ وتأميم مصدق لنفط إيران سنة ١٩٥١. والثورات العربية ضد المحتل مثل الثورة التونسية والثورة الليبية.. كما أُعجِبَ في البداية بحركة الإخوان المسلمين ثم ما لبث أن توصل إلى رأي بأن لا جدوى من أحزاب دينية في وطن عربي يوجد فيه أعراق وطوائف وأديان مختلفة.

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قامت الثورة.. ولم تلقَ مقاومة تذكر.. ولم يسقط في تلك الليلة سوى ضحيتين فقط.. هما الجنديان اللذان قُتِلا عند اقتحام مبنى القيادة العامة.

واختار الضباط الأحرار محمد نجيب رئيساً لحركتهم.. وذلك لما يتمتع به من احترام وتقدير ضباط الجيش.. وذلك لسمعته الطيبة وحسه الوطني.. فضلاً عن كونه يمثل رتبة عالية في الجيش.. وهو ما يدعم الثورة ويكسبها تأييداً كبيراً سواء من جانب الضباط.. أو من جانب جماهير الشعب.

وكان عبد الناصر هو الرئيس الفعلي للجنة التأسيسية للضباط الأحرار.. ومن ثم فقد نشأ صراع شديد على السلطة بينه وبين محمد نجيب.. ما لبث أن أنهاه عبد الناصر لصالحه في ١٤ نوفمبر (١٩٥٤).. بعد أن اعتقل محمد نجيب.. وحدد إقامته في منزله.. وانفرد وحده بالسلطة.

و استطاع أن يعقد اتفاقية مع بريطانيا لجلاء قواتها عن مصر وذلك في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤.. وذلك بعد أن اتفقت مصر وبريطانيا على أن يتم منح السودان الاستقلال.

في العام ١٩٥٨ أقام وحدة اندماجية مع سوريا.. وسميت الدولة الوليدة بالجمهورية العربية المتحدة.. إلا أن هذه الوحدة لم تدم طويلاً.. حيث حدث انقلاب في الإقليم السوري في سبتمبر من سنة ١٩٦١ أدى إلى إعلان الانفصال ثم تم عقد معاهدة وحدة متأنية مع العراق وسوريا سنة ١٩٦٤ إلا أن وفاة الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف سنة ١٩٦٦ ثم حرب ١٩٦٧ حالت دون تحقيق الوحدة.

علماً أن مصر استمرت في تبني اسم "الجمهورية العربية المتحدة" وذلك حتى سنة ١٩٧١ أي إلى ما بعد رحيل عبد الناصر بسنة.

بعد حرب حرب ١٩٦٧ كما سميت في إسرائيل والغرب أو النكسة كما عرفت عند العرب.. خرج عبدالناصر على الجماهير طالباً التنحي من منصبه.. إلا أنه خرجت مظاهرات في العديد من مدن مصر وخصوصاً في القاهرة طالبته بعدم التنحي عن رئاسة الجمهورية.

تحدياته للولايات المتحدة

- وافق على مطلب السوريين بالوحدة مع مصر في الجمهورية العربية المتحدة.. والتي لم تستمر أكثر من ثلاث سنين تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨- ١٩٦١) وسط مؤامرات دولية وعربية لإجهاضها تزعمتها أمريكا.
- استجاب لدعوة العراق لتحقيق أضخم إنجاز وحدوي مع العراق وسوريا بعد تولي الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية العراقية بما يسمى باتفاق ١٦ أبريل ١٩٦٤.
- قام بتأميم قناة السويس وإنشاء السد العالي على نهر النيل.
- تأسيسه منظمة عدم الانحياز لمناهضة المشروع الأمريكي مع الرئيس اليوغوسلافي تيتو والإندونيسي سوكارنو والهندي نهرو.
- تأميم قناة السويس والبنوك الخاصة والأجنبية العاملة في مصر.



صدام حسين



اسمه بالكامل (صدام حسين عبد المجيد التكريتي)

عاش خلال الفترة بين تاريخي (٢٨ أبريل ١٩٣٧- ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦)

ترأس جمهورية العراق في الفترة ما بين عام ١٩٧٩ وحتى ٩ أبريل ٢٠٠٣ ونائب رئيس الجمهورية العراقية بين ١٩٧٥ و ١٩٧٩.

سطع نجمه بعد الانقلاب الذي قام به حزب البعث (ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨) والذي دعى لتبني الأفكار القومية العربية.. والتحضر الاقتصادي.. والاشتراكية.. ولعب دوراً رئيسياً في انقلاب عام ١٩٦٨ والذي وضعه في هرم السلطة كنائب للرئيس اللواء أحمد حسن البكر.. وأمسك صدام بزمام الأمور في القطاعات الحكومية والقوات المسلحة المتصارعتين في الوقت الذي اعتبرت فيه العديد من المنظمات قادرة على الإطاحة بالحكومة.

وفي عهده تنامى الاقتصاد العراقي بشكل سريع نتيجة سياسة تطوير ممنهجة للعراق.. بالإضافة للموارد الناتجة عن الطفرة الكبيرة في أسعار النفط في ذلك الوقت.

وصل صدام إلى رأس السلطة في العراق وأصبح صدام رئيسا للعراق عام ١٩٧٩ بعد أن قام بحملة لتصفية معارضيه وخصومه في داخل حزب البعث.. وقبل أن تمر الذكرى الثانية لانتهاء الحرب مع إيران غزا صدام الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ مما أدى إلى نشوب حرب الخليج الثانية (١٩٩١).

ظل العراق بعدها محاصراً دولياً حتى عام ٢٠٠٣ حيث احتلت القوات الأمريكية كامل أراضي الجمهورية العراقية بحجة امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل ووجود عناصر لتنظيم القاعدة تعمل من داخل العراق حيث ثبت كذب تلك الادعاءات.. بل إن السبب كان هو النفط.

قُبض عليه في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣ في عملية سُميت (الفجر الأحمر).. تم بعدها محاكمته وإعدامه.

وقد استعرضنا ضمنياً في الفصول السابقة الكثير من صفحات مناهضته وعداءه وتحديه للولايات المتحدة.. خاصةً عندما سعى صدام حسين لأجل أن يلعب العراق دوراً ريادياً في الشرق الأوسط.. وقيادته المعارضة العربية لاتفاق كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ الذي كان برعاية أمريكية خاصة.

ثم إطلاقه مشروع التقدم النووي العراقي في الثمانينات بدعم فرنسي.. وتأسيسه أول مفاعل نووي عربي وعراقي سماه (تموز)[1] وقال صدام بعد انتهاء الحرب.



(١) تم فيما بعد تدمير المفاعل بضربة جوية إسرائيلية.. بحجة أن إسرائيل شكت في أن العراق كان سيبدأ إنتاج مواد نووية تسليحية.

تيتو.. وعدم الإنحياز



(جوزيف بروز تيتو) كان ثورياً.. ودكتاتوراً..

اشتهر بعداءه الدائم لأمريكا.. وكل ما يمثل الإمبريالية العالمي.. وفي المقابل كان دائم التواصل.. والتقارب مع كل الأنظمة المناهضة للولايات المتحدة.. حتى أنه كان أبرز الداعين والمؤسسين الرئيسيين لحركة (عدم الانحياز) المناوئة لكل المشروعات الأمريكية.

ويُعد من أكبر الدكتاتوريين الشيوعيين في تاريخ الشيوعية.. وهو واحد من مؤسسي مكتب الإعلام الشيوعى.. على هذا النحو.. وقال إنه يؤيد سياسة عدم الانحياز بين الكتلتين الشرقية والغربية على الرغم من تقربه لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية في الحرب الباردة.

شغل منصب الأمين العام «يساوى الرئيس» لرابطة الشيوعيين في يوغوسلافيا «١٩٣٩- ١٩٨٠» وقاد حركة العصابات اليوغوسلافية ضد النازيين في الحرب العالمية الثانية.

وخلال في الفترة من ١٩٤٣ حتى وفاته في عام ١٩٨٠ كان يشغل رتبة مشير في يوغوسلافيا بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة اليوغوسلافية.. والجيش الشعبي اليوغوسلافي «الجيش الشعبي».

عاش خلال الفترة بين تاريخي «٢٥ مايو ١٨٩٢ – ٤ مايو ١٩٨٠».

❖❖❖

كاسترو.. عدو أمريكا اللدود



اسمه بالكامل فيدل «أليخاندرو كاسترو»..

«وُلِدَ في ١٣ أغسطس ١٩٢٦» وهو رئيس كوبا منذ العام ١٩٥٩ عندما أطاح بحكومة (باتيستا) بثورة عسكرية ليصبح رئيس الوزراء إلى عام ٢٠٠٨ عند إعلانه عدم ترشحه لولاية جديدة وانتخاب أخيه (راؤول كاسترو) مكانه.

وكان كاسترو في ١٩٦٥ أميناً للحزب الشيوعي في كوبا وقاد تحويل بلاده إلى النظام الشيوعي.. ونظام حكم الحزب الوحيد.. وأصبح في ١٩٧٦ رئيس مجلس الدولة ومجلس الوزراء. وكان أعلى قائد عسكري.. بعد جراحة معوية في ٣١ يوليو ٢٠٠٦ سلم مهامه لأخيه الصغير ونائبه الأول (راؤول كاسترو).

في ١٩ فبراير ٢٠٠٨ وقبل ٥ أيام من انتهاء مدة الحكم أعلن أنه لن يرغب في مدة جديدة كرئيس أو رئيس أركان.

وحتى لا نعيد تكرار الأحداث سنتحدث بالتفصيل عن مشواره تحديه للولايات المتحدة.. ووصوله لحكم بلاده ضمنياً عند حديثنا خلال الصفحات القادمة عن جيفارا.

❖❖❖

تشي جيفارا



أرنستو رافاييل جيفارا دِلاسيرنا.. هذا هو اسمه بالكامل..

لكنه اشتهر بلقب (تشي[1] جيفارا)..

عاش بين تاريخي (١٤ يونيو ١٩٢٨ - ٩ أكتوبر ١٩٦٧) وأصبح خلال عمره القصير أشهر ثوار القرن العشرين.. ومن أشهر من حاربوا المد الإمبريالي.. وأكثر كارهي ومتحدى الشيطان الأمريكي على الإطلاق.

أرجينتيني المولد حيث وُلِدَ في (روزاريو) بالأرجنتين..

حصل فيما بعد على الجنسية الكوبية..

حالة خاصة جداً في كتاب الثورة والثوار عبر كل العصور.. فقد كان رجلاً يسعى وراء الثورة لنصرة المهمشين.. والمقهورين في كل بقاع الأرض.. حتى وإن كان لايدين بدينهم.. ولا تجمعه بهم لغة.. أو جنسية.. فالكل في عرف الإنسانية سواء.

(١) تعبير أرجنتيني يعنى الرفيق أو الصديق.. و هو تعبيير تعجب يستعمله الأرجنتينيون عمليا في نهاية كل جملة.

درس الطب في جامعة بوينس آيرس وتخرج عام ١٩٥٣ وكان مصاباً بالربو فلم يلتحق بالخدمة العسكرية.. وكانت إصابته بالربو مزمنة منذ طفولته ولازمه المرض طوال حياته..

استقرت الأسرة في بيونس ايريس وفيها أسس والده لجنة لمساندة اللجمهورية الإسبانية عام١٩٣٧.

وفي عام ١٩٥١ قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع صديقٍ له يُدعى (ألبيرتو جرانادو) على متن دراجة نارية وهو في السنة الأخيرة من دراسة الطب وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بضرورة وحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين والأمريكان على المزارع اللاتيني البسيط.. كما عاين وتأثر كثيراً باستغلال العمال في مناجم النحاس بشيلي والتي تملكها شركات أمريكية.

وفي هذا التوقيت قرر الالتحاق بصفوف الثوريين.. واعتبر نفسه آنذاك شيوعياً.

وفي عام ١٩٥٣ أنهى دراساته الطبية.. وامتهن الطب إلا أنه ظل مولعاً بالأدب والسياسة والفلسفة.. فسافر إلى جواتيمالا عام ١٩٥٤ على أمل الانضمام إلى صفوف الثوار وكانت جواتيمالا وقتها تشهد غلياناً ديمقراطياً في ظل حكومة (جاكوب أربنز) وشارك في مقاومة الانقلاب العسكري الذي دبرته المخابرات الأمريكية والذي أنهى الإصلاحات الزراعية التي قام بها أربنز.. ومن هنا بدأ عداءه وتحديه للولايات المتحدة.. وبدأت المخابرات المركزية الأمريكية تنتبه إليه.. وترصده.

ووسط هذه الأحداث تمكنت حكومة (كاستيلو أرماس) العميلة للولايات المتحدة الأمريكية من القضاء على الثورة بانقلاب عسكري مدعوم من قِبل وكالة المخابرات المركزية.

وهناك في عام ١٩٥٥ التقى جيفارا بالمناضلة اليسارية (هيلدا أكوستا)[1] والتي ستصبح فيما بعد زوجته وهي التي جعلته يقرأ للمرة الأولى بعض الكلاسيكيات الماركسية.. إضافة إلى لينين وتروتسكي وماو تسي تونج.

لقاءه مع كاسترو

سافر جيفارا بعدها للمكسيك بعد أن حذرته السفارة الأرجنتينية من أنه مطلوب من قبل المخابرات المركزية الأمريكية.. والتقى هناك (راؤول كاسترو) المنفي مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج (فيدل كاسترو) من سجنه في كوبا.

وكان كاسترو ورفاقه قد لجأوا إلى ميكسيكو بعد الهجوم الفاشل على ثكنة مونكادا في سانتياجو دو كوبا.

وما إن خرج (فيدل كاسترو) من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية.. وقد رأى (كاسترو) في البداية أنهم في أمس الحاجة إليه كطبيب وليس كثوري سيتحول فيما بعد إلى أسطورة. وأشعل الإثنان معاً الثورة ضد نظام حكم "باتيستا" الرجعي وتمكنا من إسقاطه سنة ١٩٥٩ بعد أن اكتسح رجال حرب العصابات العاصمة الكوبية (هافانا) بقيادة كاسترو وأسقطوا الديكتاتور الموالي للمخابرات الأمريكية (باتيستا) هذا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو.. ودخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلاً لم يبق منهم في النهاية سوى ١٠ رجال فقط.. بينهم كاسترو وأخوه "راؤول" وجيفارا..

(١) من (بيرو) وكانت وقتها تعيش في المنفي بجواتيمالا وأنجب منها ابنة تحمل نفس اسم أمها.

وفي تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب "تشي" الأرجنتيني.. وتزوج من زوجته الثانية (إليدا مارش).. وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلّق زوجته الأولى.

ووقتها برز تشي جيفارا كقائد ومقاتل شرس جداً لا يهاب الموت وسريع البديهة يحسن التصرف في الأزمات.. لم يعد جيفارا مجرد طبيب بل أصبح قائداً برتبة عقيد.. وشريك (فيدل كاسترو) في قيادة الثورة.. وقد أشرف كاسترو على استراتيجية المعارك بينما قاد وخطط جيفارا للمعارك.

وبعد نجاح الثورة شارك جيفارا في تولي العديد من المناصب الوزارية والقيادية الهامة في كوبا.. لكن نداء الثورة كان مايزال مستعراً داخله.. فلبى النداء واختفي من الحياة العامة والسياسية في كوبا ليظهر ثائراً فقط في الكونغو وبوليفيا.. والمخابرات الأمريكية تلهث خلفه وترصد مئات الآلاف من الدولارات لمن يساعدهم في العثور عليه.

اغتياله

وفي شهريونيو ١٩٦٧ألقي القبض على اثنين من مراسلي الثوار.. فاعترفوا تحت قسوة التعذيب بمكان جيفارا.. وبدأت حينها مطاردة لشخص واحد.. بقيت الـ (C.I.A) على رأس جهود الجيش البوليفي طوال الحملة.. فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثاً عن جيفارا.. واستمر ذلك لمدة أربعة أشهر تعرض خلالها جيفارا إلى أزمات ربو حادة.. مما ساهم في سهولة تتبعه ومطاردته.

في يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧ وفي أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفي المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً فقط.. وظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ٦ ساعات كاملة في منطقة صخرية وعرة.. تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل.. واستمر "تشي" في القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح في ساقه إلى أن دُمّرت بندقيته (م- ٢) وضاع مخزن مسدسه وهو ما يفسر وقوعه في الأسر حياً.

نُقل (تشي) إلى قرية (لاهيجيرا).. وبقي حياً لمدة ٢٤ ساعة.. ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من أسروه.

وفي مدرسة القرية نفذ ضابط صف يُدعى (ماريو تيران) تعليمات جاءته بإعدام جيفاراً وإطلاق النار عليه.

دخل ماريو عليه متردداً.. فقال له جيفارا برباطة جأشٍ رهيبة: (أطلق النار.. لا تخف.. إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل)..

لكنه تراجع.. ثم عاد مرة أخرى بعد أن تكررت الأوامر الصادرة إليه.. فدخل عليه.. وأخذ يطلق الرصاص من أعلى إلى أسفل تحت الخصر حيث كانت الأوامر واضحة بعدم توجيه النيران إلى القلب أو الرأس حتى تطول فترة احتضاره.. إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصه من مسدسه في الجانب الأيسر فأنهي حياة جيفارا.

بعدها رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لأخيه أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته آنذاك حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

كلمات جيفارا

وقد شبّت أزمة بعد عملية اغتياله وسميت بأزمة "كلمات جيفارا" أي مذكراته.. وقد تم نشر هذه المذكرات بعد اغتياله بخمسة أعوام وصار جيفارا رمزاً من رموز الثوار على الظلم.

وفيما بعد نشر فليكس رودريجيس.. العميل السابق لجهاز المخابرات الأمريكية (CIA) صوراً تمثل إعدام تشي جيفارا.. وترصد آخر لحظات حياة هذا الثوري الأرجنتيني قبل إعدامه بالرصاص بـ (لا هيجيرا) في غابة "فالي جراندي" ببوليفيا.. وتظهر الصور كيف تم أسر تشي جيفارا.. واستلقائه على الأرض.. وعيناه شبه المغلقتان ووجهه المتورم والأرض الملطخة بدمه بعد إعدامه.. كما تنهي الصور كل الإشاعات حول مقتله أثناء معارك طاحنة مع الجيش البوليفي.

وبعدها بُترت يد جيفارا من أجل التعرُف على بصماته.

وفي عام ١٩٩٧م كشف النقاب عن جثمانه وأُعِيدَ إلى كوبا.. حيث قام كاسترو بدفنة بصفة رسمية.

عداءه للإمبريالية

يقول أرنستو جيفارا:

(يجب أن نتذكر دائماً أن الإمبريالية نظام عالمي.. هو المرحلة الأخيرة من الاستعمار.. ويجب أن تهزم بمواجهة عالمية).

وله مجموعة من المؤلفات تدور جميعها حول عنصرين أساسيين هما دعوته للثورة الدائمة ضد القهر.. ومحاربته للإمبريالية.. ومن أشهرها:

- حرب العصابات (١٩٦١) Guerilla warfare
- الإنسان والاشتراكية في كوبا (١٩٦٧).
- ذكريات الحرب الثورية الكوبية (١٩٦٨)
- الأسفار تكون الشباب ... والوعي!
- الإنسان الجديد



ماو تسي تونج



هو زعيم الحزب الشيوعي الصيني منذ ١٩٣٥ حتى وفاته.. كان سياسياً وقائداً عسكرياً حظى بشعبية كبيرة في بلاده.. عاش بين تاريخي (٢٦ ديسمبر ١٨٩٣ - ٩ سبتمبر ١٩٧٦).

وُلِدَ في مقاطعة هيوفن من أب فلاح وعندما كان في الثامنة عشرة من عمره قامت الثورة ضد سلالة تشينج الملكية الحاكمة منذ قرونٍ عديدة.. وبعد شهور من قيامها انتهت الملكية وأعلنت جمهورية الصين.. التي لم تعرف حكومة مستقرة فكانت قاعدة لحرب أهلية مسببة الفوضى وظلت الصين كذلك حتى ١٩٤٩.

كان ماركسياً متعصباً كعشرات الصينين وفي يونيو ١٩٢١ أصبح واحداً من اثني عشر شخصاً هم من أسسوا الحزب الشيوعي الصيني في شنغهاي.. وترقى فيه حتى تزعمه في ١٩٣٧ وعمل على تطوير مفهوم جديد للشيوعية سُمّي بـ (الماوية) نسبةً إليه وكان عبارة عن مزيج من شيوعية لينين وماركس.. وعمل على التحالف مع الاتحاد السوفييتي ومن ثمّة الخروج إلى الجموع الصينية بالثورة الثقافية.

ووضع الحزب خطة بطيئة التقدم للاستيلاء على الحكم وبعد أن اغتيل عدة قادة شيوعيون أصبح ماو القائد الوحيد وفي عام ١٩٤٧ بدأ التحرك لقلب نظام الحكم بزعامة شيانج كاي شيك.. وفي ١٩٤٩ انتصرت القوات الشيوعية.. كان ماو في السادسة والخمسين.. أما بلاده فكانت قد انهكتها الصراعات والحروب

في حالة من الفقر والتخلف والجهل.. وهرب شيانج إلى تايوان.. استخدم ماو أساليب عنيفة ليحكم قبضة الحزب على السلطة في الصين فقتل العديد من أعداء الثورة بعضهم من قادة الثورة المعادية له وآخرين من الإمبرياليين ومن الرجعيين السياسيين وقطاع الطرق.

وأخذ ماو على عاتقه تمدن الصين وتحويلها إلى أمة عصرية قوية.. بدأ بالعناية بالتعليم والتصنيع والصحة.. وحول النظام الاقتصادى من رأسمالية إلى اشتراكية.. وسيطر ماو على كل أجهزة الدولة واستخدمها للدعاية.. فبعد أن كانت الصين تقدس الآباء والأجداد منذ آلاف السنين أصبحت تقدس الوطن وبدأت تعاليم كونفوشيوس[1] في الانقراض حتى اختفت.

اعتبرته أمريكا وكذلك الغرب من أخطر المشاريع التي تبناها ماوو كان وقت ذاك في الستينات من عمره.. ففي ١٩٥٨ بدأ المشروع وكان يرتكز على الصناعات الصغيرة في الحقول والقرى في الريف.. حيث أجبر الملايين من الفلاحين والعمال والمدنيين على العمل في هذا البرنامج الصناعي بمعدل سريع لتحقيق نتائج كبيرة.. ولكن لم يستطع الشعب أن يواكب السرعة المطلوبة فانهار المشروع.. مخلفاً خسائر ضخمة تخطتها الصين بعد سنتين وفي هذه الفترة العصيبة.. دفع الشعب الثمن مواجهاً فقر مدقع بلا طعام وبملابس رثة.. أما ماو فاضطر أن يشتري القمح من الدول الرأسمالية ليطعم شعبه.

وفي ١٩٦٦ أشعل ماو الثورة الثقافية الكبرى وكان في السبعينات من عمره وقتها.. وأراد منها سحق المعارضة.. فقام بإطلاق ملايين الطلبة من المدارس العليا والجامعات ليخدموا كحرس حمر ولكنهم سببوا الفوضى في البلاد.. دافعيين بالصين إلى حافة حرب أهلية ضارية.

---

(١) هو فيلسوف صيني شهير.. لُقِبَ بنبي الصين وأول من نجح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي.. فلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى.. تعاليمه وفلسفته قد تأثر بعمق الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايوانية والفيتنامية.

بداية تحدييه الفعلي لأمريكا

في اخر ١٩٥٠ ارسل ماو قوة عسكرية ضخمة من المتطوعين إلى شمال كوريا لمحاربة الجيش الأمريكي تحت قيادة الجنرال دوجلاس ماك آرثر هازماً إياه.. مما جعل الجيش الامريكى المهزوم أن يتقهقر إلى كوريا الجنوبية.

بعد ذلك بعام غزت القوات الصينية جبال التبت.. وقتلوا آلاف من المقاومة التبتية.

وفي ١٩٦٢ أرسل ماو جيشاً عبر حدود الهيمالايا الهندية.. وبعد أسابيع انسحبت الصين بعد أن غزت مساحات لا تذكر على الحدود.

رغم أنهم فقدوا مساعدة الروس الفنية لهم أثر الخلاف الذي دب بينهم بعد المصالحة مع الولايات المتحدة.. إلا أنهم استطاعوا أن يختبروا قنبلتهم الذرية الأولى على أرض سنكيانج البور في ١٩٦٤.. ثم القنبلة الهيدروجينية بعدها بفترة وجيزة.. أسرع مما اعتقد كلا من موسكو وواشنطن.

يعادى روسيا بسبب أمريكا

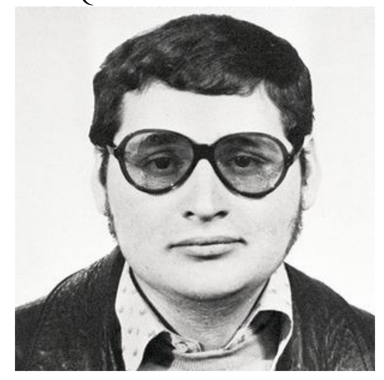
في أواخر الخمسينات ساءت العلاقة بين الصين والكرملين بعد أن قررت موسكو التعايش السلمى مع الولايات المتحدة.. وهاجمهم ماو معلناً أنه يخدم بإخلاص فكر لينين الماركسى الذي يدعو إلى تدمير الرأسماليين.

له العديد من المؤلفات من أهمها

- تحليل طبقات المجتمع الصينى (١٩٢٦).
- تقرير عن التحقيق الذي أُجري في هونان حول الحركة الفلاحية (١٩٢٧).
- القضايا الاستراتيجية للحرب الثورية في الصين (١٩٣٦).
- الديمقراطية الجديدة (١٩٤٠).
- مقدمة وملحق لتحقيقات في الريف (١٩٤١).
- مداخلات في ندوات حول الادب والفن في بينان (١٩٤٢).
- حول التقارير العشرة الكبرى (١٩٥٦).
- في سبيل حل عادل للتناقضات في صفوف الشعب (١٩٥٧).



كارلوس.. عدوهم اللدود



اسمه الحقيقي (إلييتش راميريز سانشيز) أما «كارلوس» فهو اسم الشهرة الذي عُرِفَ به عالمياً.. اشتهر بإيمانه العميق بالقضية الفلسطينية.. وشدة كراهيته وعدائه للولايات المتحدة والصهيونية وكل ما يمُت إليهما بصلة.. وأصبح فترات طويلة هو المطلوب الأول للمخابرات الأمريكية.. ولم يفلح أحد في الإيقاع به إلا المخابرات المصرية.

وهو من مواليد ١٢ أكتوبر ١٩٤٩ وفنزويلي الأصل من عائلة معروفه بثرائها.. أعلن إسلامه وسافر إلى لندن وهناك تعلم وأجاد التحدث بسبع لغات: الإسبانية والفرنسية والإنجليزية والعربية والإيطالية والروسية والأرمنية.. ومن ثم انتقل للدراسة في موسكو.

علاقته بـ (محمد بودية)[1]

(١) هو مسرحي وصحفي وثوري جزائري انخرط في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. عاش بين تاريخي (٢٤ فبراير ١٩٣٢ - ١٩٧٣) تأثر في بداياته بالتيار الوطني الاستقلالي ثم اهتم بالمسرح.. هاجر بعد اندلاع الثورة إلى فرنسا وانضم إلى فيدرالية جبهة التحرير هناك.. شارك في عدة عمليات فدائية جرح في إحداها عام ١٩٥٦ بينما كانت أكثر عملياته شهرة هي تفجير أنابيب النفط في مرسيليا يوم ٢٥ أغسطس ١٩٥٨ والتي قُبِضَ عليه بسببها وحُكم عليه بالسجن ٢٠ عاماً ثم نجح في الهرب من السجن عام ١٩٦١ ولجأ إلى تونس ليعمل في فرقة المسرح التابعة لجبهة التحرير الوطني.. بعد الاستقلال. أسس جريدتى "نوفمبر" و"الجزائر هذا المساء".. وفي أعقاب عملية ميونخ الشهيرة.. أمرت جولدا مائير الموساد بتنظيم عمليات اغتيال قيادات فلسطينية في جميع أنحاء العالم.. كاغتيال فلسطينيين في باريس مثل محمود الهمشري.. ووائل

وأثناء دراسته في جامعة «باتريس لومومبا» في موسكو.. تعرف على محمد بودية.... وهكذا نشأت علاقة حميمة بين كارلوس ومحمد بودية.. وأعجب كارلوس بأفكار واتجاهات (محمد بو دية) خاصةً أنه يشاطره نفس الأفكار والرؤي.

انخرط كارلوس في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - العمليات الخارجية.. وقد أشرف على تدريبه كلٌ من (جورج حبش)(١) و(وديع حداد)(٢).. وتلقى

زعيتر إضافة إلى باسل الكبيسي.. وأدان محمد بودية تلك الاغتيالات عبر إعلانات نشرت في جريدة "لوموند" الفرنسية ووقعت عليها شخصيات عديدة منها يهود.. ودفع هو ثمن الإعلانات.. وكان يعلم جداً أنه هو أيضاً مستهدف.. لذلك كان شديد الحرص.. لذلك خطط الموساد لاغتياله بتجنيد يهود فرنسيين يعملون في مديرية أمن الإقليم .. وتم زرع لغم ضغط تحت مقعد سيارته.. وسقط محمد بودية شهيداً عندما هم بركوب سيارته في صباح ٢٨ يونيو ١٩٧٣ أمام المركز الجامعي بشارع فوس برنار في باريس.

(١) جورج حبش (٢ أغسطس ١٩٢٦ - ٢٦ يناير ٢٠٠٨).. مناضل فلسطيني وُلِدَ في مدينة اللد.. يعتبر مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأحد أبرز الشخصيات الوطنية الفلسطينية.. يلقبه أنصاره بحكيم الثورة الفلسطينية.. شغل منصب الأمين العام للجبهة الشعبية حتى عام ٢٠٠٠. وهو المؤسس لحركة القوميين العرب.

(٢) وديع حداد قيادي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وُلِدَ عام ١٩٢٧ في مدينة صفد.. كان أحد مؤسسي الجبهة الشعبية وقبلها حركة القوميين العرب.. هو ورفيق دربه د. جورج حبش.. وُلِدَ وديع حداد الفلسطيني في مدينة صفد عام ١٩٢٧ ونتيجة للمأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني نتيجة النكبة عام ٤٨ اضطر للهجرة من وطنه ولجأ مع عائلته ووالده إلي مدينة بيروت حيث استقر بهم المآل هناك.. وفي هذه الأثناء التحق وديع بمقاعد الدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت ليدرس الطب.. بعدها تولى موقعاً قيادياً في "جمعية العروة الوثقى".. ولاحقاً في "حركة القوميين العرب" ومن ثم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" ومنذ التأسيس تولى الدكتور وديع حداد مهمات قيادية أساسية جداً في الجبهة.. حيث أُسنِدَت له مهمتان رئيسيتان هما المالية والعمل العسكري الخارجي.. وأثبت من خلالهما قدرات قيادية وعملية.. حيث جسد شعار "وراء العدو في كل مكان".. خلال عمله في التنظيم الخارجي قاد خلايا تنشط في مختلف أنحاء العالم وكان وراء عمليات خطف الطائرات الشهيرة ومنها الطائرة لاندسهوت الألمانية.. عاشت قيادة الجبهة معه خلافاً تنظيمياً.. إلا أن المؤتمر الوطني الخامس للجبهة أعاد الاعتبار التنظيمي له.. باعتباره "رمزاً وطنياً وفلسطينياً فذاً قدم كل شيء في سبيل فلسطين التي حلم وعمل دائماً من أجل الوصول إليها بأقرب الآجال وبأقصر الطرق".. وفي ٢٨ مارس عام ١٩٧٨ في ألمانيا الشرقية وأُشيع انه توفي بمرض سرطان الدم.. ولكن بعد ٢٨ عاماً اعترف أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية من خلال كتاب وضعه عن حياته الاستخبارية عنونه بـ (حساب مفتوح) بأنه اغتاله بدس السم له في الشيكولاتة عن طريق عميل عراقي كان يشغل منصب رفيع المستوى.. وأضاف أن الموساد علم بشغف حداد بالشوكولاته البلجيكية التي كان من الصعب الحصول عليها آنذاك في بغداد مقر إقامته.. فقام خبراء الموساد بوضع مادة سامة بيولوجية تعمل ببطء إلى كمية من

تدريباته الأولى وبعد انضمامه للجبهة تدرب في مُخيمات الأردن.. وقاتل مع الفصائل الفلسطينية آنذاك في مواجهة جيش وقبائل الأردن.. ومن ثم انتقل إلى مخيمات الجبهة في لبنان.

وبدأ اسمه يشتهر لتميزه بذكاء شديد وقدرة عالية على التخطيط والتخفي وتغيير ملامحه.. وأصبحت له عدة أسماء حركية منها سالم وميشيل.

ثم انتقل للعمل في أوروبا ضد الأهداف الأمريكية.. والصهيونية والمنظمات الداعمة لها ضد القضية الفلسطينية.. جند كل إمكانياته لضرب القوى الصهيونية والضغط على بعض الأنظمة العربية التي تطبع علاقاتها مع إسرائيل.. بعد مقتل (بوضياف)[1] الذي اغتالته مجموعة من الموساد الإسرائيلي.. والدكتور وديع حداد الذي يقال بأنه مات مسموماً أمسك كارلوس بقبضة من حديد

الشوكولاته البلجيكية.. أرسلوها إليه بواسطة عميل عراقي رفيع المستوى لدى عودة هذا العميل من أوروبا إلى العراق.

(١) محمد بوضياف أو حسب اسم الشهرة (سي الطيب الوطني) وهو لقب أُطلِقَ عليه خلال الثورة الجزائرية التي كان أحد رموزها قبل أن يتولى رئاسة الجزائر عام ١٩٧٩ بعد وفاة الرئيس هواري بومدين.. وُلِدَ بمنطقة أولاد ماضي من ولاية المسيلة في ٢٣ يونيو ١٩١٩ واغتيل بمدينة عنابة في ٢٩ يونيو ١٩٩٢ قام بحل حزب الثورة الاشتراكية وتفرغ لأعماله الصناعي حيث كان يمتلك ويدير مصنعاً بمدينة القنيطرة في المملكة المغربية.. وبعد إيقاف المسار الانتخابي وإجبار الرئيس الشاذلي بن جديد على الاستقالة سنة ١٩٩٢ استدعي إلى الجزائر من قبل الانقلابيين ليعود بعد ٢٧ عاماً من الغياب عن الساحة الجزائرية.. وعندما نزل بالجزائر صرح قائلا: "جئتكم اليوم لإنقاذكم وإنقاذ الجزائر وأستعد بكل ما أوتيت من قوة وصلاحية أن ألغي الفساد وأحارب الرشوة والمحسوبية وأهلها وأحقق العدالة الاجتماعية من خلال مساعدتكم ومساندتكم التي هي سرّ وجودي بينكم اليوم وغايتي التي تمنيّتها دائماً.. ثم نُصِبَ رئيساً للمجلس الأعلى للدولة في ١٦ يونيو ١٩٩٢ لمجابهة الأزمة التي دخلتها البلاد غداة الانقلاب العسكري الذي آذن بدخول الجزائر في حرب أهلية.. ووجد نفسه محاصرا من قبل كبار العسكريين.. وبينما كان يلقي خطاباً بدار الثقافة بمدينة عنابة يوم ٢٩ يناير من نفس العام رميت عليه قنبلة من قبل أحد حراسه المسمى مبارك بومعرافي.. وهو ملازم في القوات الخاصة الجزائرية.. وظلت ملابسات الاغتيال غامضة.. ويتهم فيها البعض المؤسسة العسكرية في البلاد نظراً لنية بوضياف مكافحة الفساد.. وبعد أقل من أسبوع على اغتياله.. تشكلت لجنة تحقيق لكنها اختفت بعد ذلك.. وتم اتهام بومعرافي رسميا بالاغتيال واعتبر ذلك منه تصرفاً فردياً.. وقُدِمَ للمحاكمة وحُكِمَ عليه بالإعدام.. لكن الحكم لم يُنفذ.

بجميع المجموعات الثورية.. وأدخل أسلوباً جديداً وعناصر جديدة في العمليات.. حيث اشتركت معه مجموعات ثورية تضم عناصر من كلٍ من :

- (الجيش الأحمر الياباني)[1]..
- (منظمة بادرماينهوف الألمانية)[2]..
- جيش تحرير الشعب التركي..
- الألوية الحمراء..
- الخلايا الثورية..
- منظمة العمل المباشر الفرنسية..
- أعضاء من الجيش الجمهوري الإيرلندي..
- منظمة إيتا والباسك الانفصالية..

هو وعملية ميونيخ

(١) الجيش الأحمر الياباني هي منظمة دولية أسستها الآنسة فوساكو شيجينوبو في فبراير ١٩٧١ بعد انشقاقها عن الجيش الأحمر التابع المنتخب الشيوعي الياباني.. كان حجم المجموعة حوالي ٤٠ في قمة نشاطها وكانت في فترة من الفترات أكثر الحركات الفدائية إثارة للخوف.. كان للجيش الأحمر الياباني علاقات وطيدة مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. وفي بداية الثمانينات من القرن الماضي.. توقف نشاط الجيش الأحمر الياباني في اليابان.. واعتمد بالكامل على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين للحصول على الدعم المالي والتدريب والسلاح.. كانت أهداف الجيش الأحمر الياباني الإطاحة بالحكومة اليابانية والحكم الإمبراطوري والملكي لبدء ثورة عالمية.. وخلال السبعينات والثمانينات نفذ الجيش الأحمر الياباني سلسلة من الهجمات حول العالم كان من بينها عملية مطار اللد في تل أبيب (اسمه الآن مطار بن غوريون الدولي) وحدثت في ٣٠ مايو ١٩٧٢ حيث تسبب الهجوم في قتل ٢٦ شخص وإصابة ٨٠ آخرين ثم فجر العناصر الثلاثة المنفذين للهجوم من الجيش الأحمر الياباني أنفسهم.. ويُعتقد أن هذه العملية قدمت الهاما للهجمات الاستشهادية الفلسطينية اللاحقة.

(٢) أُسِست رسمياً في عام ١٩٧٠ على يد أندرياس بادر.. جودرون إنسلين.. هورست مالر.. أولريكي ماينهوف.. إرمجارت مولر وغيرهم.. وفي مراحلها الأولى كانت تعرف عموماً باسم مجموعة(Baader-Meinhof).. وثم أصبح اسمها يعنى أيضاً(جماعة الجيش الاحمر RAF) وذلك باللغة االألمانية.. وهي إحدى أبرز وأنشط الجماعات اليسارية المسلحة بألمانيا الغربية في مرحلة ما بعد الحرب.. وتصف نفسها بأنها جماعة "مسلحة مدنية" شيوعية تشارك في مقاومة مسلحة.. في حين أن حكومة ألمانية الغربية تعتبرها جماعة إرهابية.. نشطت منذ السبعينات حتى عام ١٩٩٣ وقامت بالعديد من العمليات لا سيما في خريف عام ١٩٧٧ الأمر الذي أدى إلى أزمة وطنية عُرفت باسم "الخريف الألماني".

ونفذ كارلوس عملياته في أكثر من دولة أوروبية.. وعكس ما هو شائع لم يكن له الفضل في عملية ميونيخ بألمانيا التي خطط من خلالها لاغتيال ١١ لاعباً إسرائيلياً في الدورة الأولمبية المقامة هناك في عام ١٩٧٢ حيث أن الفضل في هذه العملية يعود إلى حركة فتح التي قادت النضال الفلسطيني آنذاك.

الهجوم على مقر اجتماع الأوبك

وفي فيينا بالنمسا خطط وشارك لعملية الهجوم على مقر اجتماع الأوبك لوزراء البترول عام ١٩٧٥حيث أذاع بيان «درع الثورة العربية» وهي من أغرب العمليات وأدقها وأكثرها مدعاةً للدهشة وعدم التصديق..

ومن عملياته الأخرى

- كما قام كارلوس بالعديد من العمليات الأخرى منها:
- الاستيلاء على السفارة الفرنسية في "لاهاي" بهولندا..
- الاستيلاء على مقر محكمة العدل الدولية..
- اختطف طائرة فرنسية وذهب بها إلى مطار "عنتيبي" بأوغندا في عام ١٩٧٦ وكان على الطائرة شخصيات وسواح إسرائيلين.
- قام باستهداف طائرة العال الإسرائيلية في فرنسا بواسطة قاذف آر. بي . جي وبعد أسبوع واحد قام بعملية جريئة باقتحام نفس المطار مع مجموعته لاستهداف طائرة أخرى للعال الإسرائيلية.. وقد كُشِفَت العملية.. لكنه نجح في احتجاز بعض الرهائن.. ورضخت فرنسا لمطالبه..
- حاول اغتيال نائب رئيس الاتحاد الصهيوني البريطاني في لندن.. ورئيس شركة محلات ماركس آند سبنسر «جوزيف إدوارد ستيف» الداعم للحركات الصهيونية..
- قام بتفجير عديد كبير من البنوك الصهيونية الممولة للحركات الصهيونية ومحطاتها الإذاعية..

وكان لديه قائمةً بأسماء الداعمين للحركة الصهيونية يريد تصفيتهم.. كما قام بالتحضير لعمليات ضد الإمبريالية والصهيونية وكان على رأسهم مجموعة الرئيس المصري أنور السادات..

كارلوس الذي وهب حياته في خدمة القضية الفلسطينية ثائراً.. مقاتلاً.. مناضلاً وقيادياً.. يقبع الآن في سجن انفرادي في فرنسا.. بعد اختطافه في عملية قامت بها أجهزة الاستخبارات الفرنسية بالتعاون مع حكومة السودان حيث تم خطفه من السودان في ١٤ أغسطس ١٩٩٤ بعد مطادرة استمرت لأكثر من عقدين من قِبل عدة أجهزة استخبارات أوروبية وأمريكية وإسرائيلية.



هوجو شافيز



هو رئيس فنزويلا الثالث والخمسين منذ ٢ فبراير ١٩٩٩حتى الآن وهو من مواليد «٢٨ يوليو ١٩٥٤» حكومته ذات سلطة ديمقراطية اشتراكية.. واشتهر بمناداته بتكامل أمريكا اللاتينية السياسي والاقتصادي ضد الولايات المتحدة.. وبالتالي معاداته للإمبريالية.. وانتقاده الحاد لأنصار العولمة من الليبراليين الحديثين وللسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.. وكان من أبرز المعارضين لاقتحام العراق من قبل الولايات المتحدة.

ولشافيز سجل عسكري متميز مع الجيش الفنزويلي.. حيث قام في البداية بمحاولة انقلاب فاشلة عام ١٩٩٢ ضد حكومة كارلوس أندريس بيريز وتوجهاتها اللبرالية الحديثة وأودع إثرها السجن.. بعدما أطلق سراحه عام ١٩٩٤ أسس حركة الجمهورية الخامسة التي تعرف اختصارا بـ «MVR» وهي حركة يسارية تعلن أنها الناطق السياسي باسم فقراء فنزويلا.

اختير شافيز كرئيس للبلاد في انتخابات عام ١٩٩٨ بسبب الوعود التي أطلقها لدعم فقراء البلاد الذين يشكلون الأكثرية من السكان.. كما أعيد انتخابه عام ٢٠٠٠ أطلق شافيز حملات عدة في فنزويلا بهدف محاربة الأمراض والأمية وسوء التغذية والفقر وأمراض اجتماعية أخرى.



عبد الله أوجلان.. الأكراد ضد الشيطان



وُلِدَ في ٤ أبريل ١٩٤٨ في منطقة أورفة بجنوب شرق تركيا.. هو قائد حركة تحررية مسلحة لحزب العمال الكردستاني.. تأثر بالقومية الكردية ونشط في الدعوة لها وأسس في عام ١٩٧٨حزب العمال الكردستاني «PKK» واستمر قائداً له حتى الآن.. كما اشتهر أيضاً بعداءه ومطاردة قوات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية «C.I.A» له حتى نجحت في القبض عليه.

في عام ١٩٨٤ بدأ حزبه عمليات عسكرية في تركيا والعراق وإيران بغرض إنشاء وطن قومي للأكراد.. وهناك العديد من الدول والمنظمات الدولية تعتبر حزبه إرهابياً مجاملةً لتركيا.. في حين أن تركيا تمنع أي مواطن كردي من تسمية مولوده باسم كردي.. وحتى التحدث باللغة الكردية ومن يتجرأ على ذلك كان حتى وقت قريب يتعرض لمضايقات من الحكومة التركية تصل إلى حد السجن.. وأخيراً سمحت السلطات التركية بتداول اللغة الكردية في تركيا.. وحتى عام ١٩٩٨ كان أوجلان في سوريا.. ولما تدهورت العلاقات السورية التركية.. هددت تركيا سوريا لدعمها حزب العمال الكردستاني.. ونتيجة لذلك أجبرت الحكومة السورية أوجلان على الرحيل من سوريا ولم تسلمه إلى السلطات التركية.. توجه أوجلان إلى روسيا أولاً.. ومن هناك توجه إلى عدّة دول.. من ضمنها إيطاليا واليونان.. وفي ١٩٩٨ وأثناء تواجده في إيطاليا طلبت الحكومة التركية تسليمه إليها.

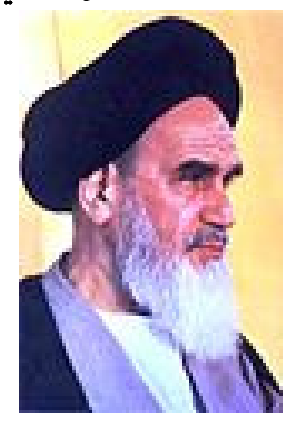
وفي ١٥ فبراير ١٩٩٩ تم القبض عليه في كينيا في عملية مشتركة بين قوات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية «C.I.A» ووكالة الاستخبارات الوطنية التركية «M.I.T».وتم نقله بعدها جواً إلى تركيا للمحاكمة بطائرة خاصة.

وُضِعَ أوجلان في الحجز الانفرادي في جزيرة إمرالي في بحر مرمرة في تركيا منذ أن قُبِضَ عليه.

وبالرغم من أنه قد حكم عليه بالإعدام إلا أن الحكم حُوِّل إلى الحبس مدى الحياة عندما ألغت تركيا وبشكل مشروط عقوبة الإعدام في أغسطس ٢٠٠٢ أطلق أوجلان عبر محاميه إبراهيم بيلمز دعوة لوقف إطلاق النار في سبتمبر ٢٠٠٦ في مسعى للمصالحة مع تركيا.. في هذه الدعوة طلب أوجلان من حزبه عدم استخدام السلاح إلاّ في الدفاع عن النفس وركّز على ضرورة إنشاء علاقات جيدة بين الشعب والحكومة التركية

❖❖❖

آية الله الخوميني



اسمه بالكامل: (روح الله مصطفى أحمد الموسوي الخوميني).. وهو سياسي إيراني.. ورجل دين وفيلسوف شيعي.. كان الأب الروحي للعديد من الشيعة داخل إيران وخارجها.. ووفقاً للمفهوم الشيعي درجته الحوزوية تمنحه لقب (آية الله) وتضاف إليها العظمى لأنه بلغ أقصى مراتب الاجتهاد بالنسبة لهم.. اختارته مجلة التايم الأمريكية (رجل العام) سنة ١٩٧٩.

عاش بين تاريخي (٢٢ سبتمبر١٩٠٢ و٣ يونيو١٩٨٩)

حكم إيران في الفترة من (١٩٧٩- ١٩٨٩)

نجح في قيادة الثورة الإسلامية الإيرانية للإطاحة بالشاه (محمد رضا بهلوي) المعروف بالبهلوي الثاني..

دخل حرب مدمرة مع العراق سميت بحرب الخليج الأولى واستمرت ثمان سنوات رفض فيها الاستسلام للرئيس العراقي (صدام حسين).. واستمرت الحرب سجالاً بين البلدين إلى أن وافق الخوميني بقبول وقف إطلاق النار في ٨ أغسطس ١٩٨٨ حين حققت القوات العراقية تقدماً ملحوظاً بعد تلقيها دعماً لوجستياً أمريكياً غربياً (بما في ذلك خرائط بالأقمار الصناعية عن تحرك القوات الإيرانية) ووصف قبوله وقف إطلاق النار بأنه تجرع كأس السم.. أما نتيجة الحرب فكانت تدمير اقتصاد البلدين دون حصول أياً منهما على شبر واحد من أراضي الخصم.. وسقوط قرابة مليون قتيل من الجانبين معظمهم من المدنيين..

وتشريد ملايين الإيرانيين والعراقيين عن ديارهم بينهم العديد من اليتامى والأرامل علماً بأن الحرب بينه وبين صدام حسين لم تكن من قبيل الصدفة وإنما كان مخطط لها قبل ان يتولى الاثنين مقاليد الحكم في بلديهما.

رهائن السفارة الأمريكية

اكتسب الخوميني عداء الولايات المتحدة مبكراً.. وحتى من قبل توليه الحكم.. فقد أدار من منفاه في فرنسا آنذاك أشهر واقعة اختطاف واحتجاز رهائن في القرن العشرين فيما عُرِفَ وما يزال معروفاً باسم (رهائن السفارة الأمريكية) في طهران.. وكان الثوار الإيرانيون قد احتلوا السفارة الأمريكية في نوفمبر سنة ١٩٧٩ بعد أن سمح الرئيس الأمريكي جيمي كارتر آنذاك لشاه إيران السابق محمد رضا بهلوي بالعلاج في مستشفي بالولايات المتحدة الأمريكية واحتجزوا ٥٣ دبلوماسياً أمريكياً وحارساً كرهائن في السفارة لمدة ٤٤٤ يوماً.

وقد أيد الخوميني عملية الاحتجاز للرهائن ونادى بأن يظل الرهائن محتجزين.. وكانت الدوافع وراء احتجاز الرهائن هو المطالبة بعودة الشاه لمحاكمته في إيران.. لكن الشاه توفي بمصر في يوليو ١٩٨٠ واستمر احتجاز الرهائن بعد وفاته لأشهر (وفاة الشاه بهلوي) إلى أن تم الإفراج عنهم في يناير ١٩٨١.

توفي الخوميني وتم دفنه بمدينة طهران وقد حضر تشييعه حشود ضخمة تقدر بقرابة ١٢ مليون شخص.. وله ضريح معروف في مكان دفنه بالقرب من مقبرة تسمى بجنة الزهراء (بهشت زهراء).



المُلا عمر.. وحكاية تنظيم طالبان



بعد سقوط الجمهورية الديموقراطية الأفغانية المدعومة من قِبل الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩٢تردّت الأوضاع في أفغانستان وشاع قانون الغاب بين القوى الأفغانيّة المتناحرة.. وفي عام ١٩٩٤ شاع خبر اختطاف واغتصاب فتاتين فقام رجل يدعى الملاّ محمد عمر بجمع قوة من ٣٠ رجل وقادهم لتخليص الفتاتين ونجح في ذلك وقام بشنق قائد عملية الخطف والاغتصاب.. ومنذ هذه اللحظة وُلدت جماعة طالبان التي أصبحت فيما بعد تمثل أحد أهم أعداء للولايات المتحدة.. بسبب فعلتهم التي أضفت نوعاً من العدالة والأمن بين القرويين.. وبعدها تلقفته المخابرات وقاموا بدعمه وإمداده بالمال.. والسلاح.. والتّدريب اللازم من الباكستانيين.. حتى تمكن من السيطرة على قندهار وما حولها.. ومحاصرة العاصمة "كابول" وأُطلِقَت الصواريخ على المدينة وقطع الطرق التجارية المؤدية إلى مدينة كابول.. و في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٩٦م ترك حكمتيار وربّاني كابول العاصمة واتّجها شمالاً وتخليا عنها لتقع في يد طالبان التي تسلمت مقاليد الأمور في العاصمة وأنشأت إمارة أفغانستان الإسلامية.

وقد تحدثنا عن طالبان كتنظيم باستفاضة في فصلٍ سابق.



بن لادن.. الرجل الذي أرق مضاجعهم



أسامة بن لادن هو مؤسس تنظيم القاعدة وزعيمها..

رجل أخذ على عاتقه الجهاد في سبيل الله.. ضد الكيان (الأمريكي / الصهيوني)

ورفع الراية ضدهم مبكراً...ونذر حياته لذلك..

فمن هو أسامة بن لادن؟

هو رجل كان باستطاعته أن يعيش من الحياة أكثر نعيمها.. ويتمتع بكل ما لذ وطاب من خيراتها.. لكنه اختار آخرته.. وأبقاها على دُنياه..

هو ابن الملياردير السعودي الحضرمى الشهير (محمد بن عوض بن لادن).. عميد واحدة من أشهر.. وأغنى عائلات المملكة العربية السعودية.. ثروتهم تقدر بمليارات الدولارات.. نشاطهم التجاري بدأ بالعمل في مجال الاستثمار العقاري والمقاولات.. ثم اتسعت الدائرة لتشمل مجالات أخرى عديدة منها السياحة الدينية.. والعديد من توكيلات الماركات العالمية.. وحقول النفط.. وغيرها.

وكان أسامة قبل مشواره الجهادي يشارك بالنصيب الأكبر في إدارة مشروعات العائلة..

ثم بدأ مشواره الجهادي..

فأسس القاعدة في أفغانستان سنة ١٩٨٨ كتنظيم سلفي جهادى مسلح..

وخاض بن لادن بتنظيمه حروباً عِدة ضد أعتى قوتين في العالم وهما الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة حيث حارب الأول إبان غزو أفغانستان وحارب الولايات المتحدة حينما غزت العراق وأفغانستان.. وأعلن بالاشتراك مع ذراعه اليمنى المصري (أيمن الظواهري).

وفي سنة ١٩٩٨ تأسس ما أسموه بـ (الجبهة العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبين) والتي نجم عنها لاحقاً ما يسمى بالحرب على الإرهاب أو الحملة الصليبية العاشرة.

وقامت القاعدة في إطار حربها على اليهود والصليبين بالهجوم على أهداف مدنية وعسكرية في العديد من البلدان أبرزها كانت هجمات ١١ سبتمبر وتفجيرات لندن ٧ يوليو ٢٠٠٥ وتفجيرات مدريد ٢٠٠٤ ومن خلال ذلك أصبح تنظيم القاعدة بزعيمه (بن لادن) هما الهدف الرئيسي للحرب الأمريكية على الإرهاب.

وبعد سنين من تواريه عن الأنظار وبالتحديد في فجر يوم الإثنين الموافق الثاني من مايو ٢٠١١ تمكنت قوة أمريكية من مباغتته وهو أعزل في مسكنه قرب إسلام آباد وأردته قتيلاً برصاصة في الرأس.. بعدها تم دفن جثمانه في تابوت بالبحر.. عن عمر ناهز الرابعة والخمسين حيث أنه من مواليد ١٠ مارس ١٩٥٧.

❖❖❖

أيمن الظواهري.. ذراع بن لادن اليمنى



أيمن الظواهري.. هو الذراع اليمنى للراحل بن لادن.. وثاني أبرز قياديي من بعد أسامة بن لادن لتنظيم (القاعدة) الذي تصنفه جميع دول العالم كمنظمة إرهابية.. وكان قبل بدء علاقته بابن لادن أحد أبرز زعماء تنظيم الجهاد الإسلامي في مصر.

رصدت الحكومة الأمريكية مكافأة تقدّر بـ ٢٥ مليون دولار لمن يدلي بمعلومات تؤدّي إلى القبض عليه بعد أن كانت المكافأة ٥ ملايين دولار.

نشأته كانت حيث وُلِدَ في مدينة كفر الدوار في محافظة البحيره في ١٩ يونيو ١٩٥١.

والده الدكتور من أشهر الأطباء المصرين للأمراض الجلدية..

وجده لوالده الشيخ هو محمد الظواهري أحد شيوخ الأزهر.. وهو شيخ الظواهرية.. وهي فخذ من قبيلة النفيعات التي تنتسب إلى نافع بن ثوران بن عوف بن ثعلبة من طيء.

أما جده لوالدته فهو عبد الوهاب عزام واحد من رجال الأدب بمصر في مرحلة ما قبل ثورة ١٩٥٢.. وعم أمه هو عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية.. عمه محمود الظواهري طبيب أمراض العيون العالمي.

وقد عاش أيمن الظواهرى في قرية الرزيقات بمركز أرمنت محافظة الأقصر لفترة طويلة واستطاع نشر أفكاره الخاصة هناك حيث معظمهم ينتمى للفكر السلفي.

بعد حصوله على بكارليوس الطب حصل على ماجستير جراحة من جامعة أسيوط سنة ١٩٧٨ ثم تابع الدراسة في باكستان حيث حصل على درجة الدكتوراه من مدرسة الهدى هناك.

بدايته الجهادية

كان عضواً في خلية سرية تكونت سنة ١٩٦٨ وظهر لدى القبض عليه في ٢٣ أكتوبر ١٩٨١ أنه وصل إلى درجة أمير التنظيم ومشرفاً على التوجيه الفكري والثقافي لحركة الجهاد والجماعة.

وبحلول سنة ١٩٧٩ انضم الظواهري إلى منظمة الجهاد الإسلامي وانتظم فيها إلى أن أصبح زعيم التنظيم ومن المسؤولين على تجنيد الدماء الجديدة في صفوفه.

وحينما اغتال خالد الإسلامبولي الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات نظمت الحكومة المصرية حملة اعتقالات واسعة وكان الظواهري من ضمن المعتقلين.. إلا أن الحكومة المصرية لم تجد للظواهري علاقة بمقتل السادات وأودع الظواهري السجن بتهمة حيازة أسلحة غير مرخصة.

في سنة ١٩٨٥ أُفرِجَ عنه فسافر إلى المملكة العربية السعودية ليعمل في أحد المستشفيات ولكنه لم يستمر في عمله هذا طويلاً.

و بعد ذلك سافر إلى باكستان ومنها لأفغانستان حيث التقى بـ (أسامة بن لادن) وبقى في أفغانستان إلى أوائل التسعينات حيث غادر بعدها إلى السودان ولم يغادر إلى أفغانستان مرة ثانية إلا بعد أن سيطرت طالبان عليها بعد منتصف التسعينات.

له العديد من المؤلفات أشهرها:

- فرسان تحت راية النبي..
- الحصاد المر (الإخوان المسلمين في ستين عاماً)

- الولاء والبراء.. (عقيدة منقولة وواقع مفقود)..
- الكتاب الأسود (قصة تعذيب المسلمين في عهد حسنى مبارك)..
- مصر المسلمة بين سياط الجلادين وعمالة الخائنين..
- شفاء صدور المؤمنين..
- التبرئة.. رسالة في ((تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة الخوار والضعف))



الخاتمة

أمريكا.. الوجه الآخر

دائماً يبدو الوجه الآخر من السياسة الأمريكية غير منسجمٍ مع ما تدعيه أمريكا من مبادئ ديمقراطية.. ومساواة.. حيث أن التاريخ الأمريكي دوماً مليء بالمتناقضات.. والانتهاكات.. والجرائم الإنسانية.. والتاريخية التي حاولنا عبر الصفحات الماضية التوقف عند بعضها.. والكشف عن حقائقها من خلال هذا الرصد التاريخي الذي ما هو إلا غيض من فيض.. من التاريخ الأسود للولايات المتحدة الأمريكية.

وليس هذا من قبيل التحامل غير المبرر على الولايات الأمريكية.. فلائحة الاتهامات مليئة بالعديد من الجرائم التي ترتدي ثياب السياسة المقيتة التي تمارسها الحكومات الأمريكية المتعاقبة مع شعوب العالم.. حيث أثبتت المواقف الأمريكية افتراء ماتدعيه من مبادئ وأهداف ديمقراطية.. خصوصاً في العقود الماضية التي

ازدادت فيها حالات الانتهاك للمبادئ الإنسانية ولمواثيق الأمم المتحدة.. مما أفقدها الثقة لدى مختلف دول العالم.

بدليل فشلها في السنوات الماضية على إدانة الصين في مجال حقوق الإنسان.. وذلك عندما قامت دول العالم بإسقاط المشروع الأمريكي للجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي كانت تطالب بإدانة الصين غير أنها فشلت في ذلك بعد أكثر من عشر محاولات.

ولا تقتصر حالة البغض لأمريكا على المواقف المعادية لدول العالم بل تمتد إلى أبعد من ذلك.. فأحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تكن سوى رد فعل تجاه السياسة الخاطئة لأمريكا في التعامل مع العالم.. فضلاً عن الهجمات والتهديدات التي تتعرض لها المصالح الأمريكية في مختلف البلدان.

وقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية من أحداث سبتمبر ذريعة لُتثبيت قدمها في منطقة الشرق الأوسط.. وبعض الدول الإسلامية.. فيما لا يحتمل الشك في كون أن الأهداف الحقيقية من وراء كل تلك الحروب هو السيطرة ليس إلا.

والخُلاصة أن:

أمريكا ما هي إلا حقيقة عارية من كل صدق.. وهي أكبر مساند للكيان الصهيوني.. ولا تعدوُ كونها بارجة حربية متحركة.. وقادتها أيديهم ملوثة بدماء الأبرياء الذي جعلوا منه وقوداً لحضارتهم الزائفة.. ويكفيها بشاعة الدماء التي نزفت بالأمس على أراضيها من أصحاب بلادهم الأصليين «الهنود الحمر».. وأطفال فيتنام.. وكمبوديا.. وأفغانستان.. والعراق.. واليوم.. وكل يوم في فلسطين.. وكأننا في عرضٍ مستمر تبارك فيه الكيان الصهيوني.. وبسلاحها الذي قدمته.. وما زالت تقدمه كل يومٍ إلى الخنازير من بني صهيون.. حيث تقوم بتوزيع الفائض من أسلحتها على حكومات بعض أنصارها وتابعيها من دول العالم.. أو على المعارضين في مختلف البلدان للقيام بثورة على قادتها.. ناهيك عن

THE BLACK REPORT OF USA

إمدادها المستمر لإسرائيل بالسلاح من أجل استخدامه في محاربة سوريا ولبنان وفلسطين.

وهذه هي خلاصة صورة وخريطة المجتمع الأمريكي الذي يحاولون تصديره إلينا:

أدى تزايد الحروب ومنها الحرب العالمية الأولى التي خاضتها أمريكا خلال ١٩١٤: ١٩١٨ هذه الحرب إلى حدوث كساد كبير عقب انتهاء الحرب نجم عنه حرمان ١٢مليون مواطن أمريكي لوظائفهم لتعيش الولايات المتحدة في ظروف صعبة وصلت حد المجاعة.

فيما بعد أكد الأمريكيون أن الحرب التي شاركت فيها بلادهم ضد الفتينام قد أدت إلى اتساع انتشار المخدرات بين صفوف الشباب الأمريكي.. مما جعل الطلاب الأمريكيين ينسحبون من المدارس الثانوية بسبب الإحباط الذي أصاب شريحة كبيرة منهم.

وتُشير التقارير الأمريكية إلى أن المراهقين الأمريكيين في الوقت الراهن غير منضبطين ويعانون من الشذوذ.. كما أن ٨٪ من الأحداث الأمريكيين مدمنون كحول.

وهناك مشكلة أُخرى يعاني منها المجتمع الأمريكي والمتمثلة في حمل الفتيات صغيرات السن حيث تحمل مليون فتاة قاصر كل سنة.. كما توضح التقارير إلى أن مليون حدث يهربون من منازلهم كل عام ويلجأ بعضهم إلى الإجرام.

لماذا تُعادى أمريكا العالم؟

عبر الصفحات الماضية توصلنا لقناعة صريحة مفادها أن السياسة الخارجية لأمريكا تعتمد على القوة.. وتخضع لقرارات وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» ولوكالة المخابرات المركزية الأمريكية «C.I.A» فلماذا كل هذا العداء من البيت الأبيض للعالم.

ولمن قد يتهمنا بالتحامل.. أو تفسير الأمور من وجهة نظر أحادية.. هاهي الشواهد التي تؤكد ذلك:

- لماذا لا تزال واشنطن تعارض حتى اليوم مشروع المحكمة الجنائية الدولية؟
- لماذا صادق مجلس الشيوخ الأمريكي منذ الوهلة الأولى على قانون يسمح لأمريكا باستخدام الاجتياح العسكري لأي بلد خارجي يحتجز مواطن أمريكي ويريد تسليمه للمحكمة الجنائية الدولية.

ألف "لماذا" قد تكون في أذهان البعض أنها بـ "لا إجابة".. لكن الصفحات.. والفصول الماضية.. بكل ما تحمله من بشاعة.. وانتهاكات.. ومذابح.. نعتقد أنها قد قدمت لنا الإجابة..

ونهي رحلتنا مع الكِتاب بكشف حساب خاص نستعرض فيه فاتورة الكيان الأمريكي المسموم ضد الإنسانية.. ونورد تقريراً موجزاً حول بعض الحقائق التاريخية التي ارتكبتها أمريكا بحق الإنسانية في العالم:

- ١٣٣٥: قوات المارينز الأمريكية تقتحم البيرو.
- ١٨٣٣: القوات الأمريكية تقوم بعملية غزو كاسح لـ«نيكاراجوا» وتحصد أرواح الآلاف من الأبرياء.
- ١٨٤٦: واشنطن تستولي على مدينة تكساس المكسيكية وتعلن ضمها إلى ولاياتها.
- ١٨٥٤: قصف أمريكي يدمر ميناء جراى تاون في «نيكاراجوا» انتقاماً من إبعاد الوزير الأمريكي الذي كان في تلك البلاد.
- ١٨٥٥م: القوات الأمريكية تغزو أوروجواي ثم بنما.
- ١٨٥٧م: اقتحام «نيكاراجوا» لإفشال محاولات "وليم كروز" وهو مغامر من تنسي حاول تولي السلطة هناك.
- ١٨٧٣: قامت القوات الأمريكية بغزو كولومبيا بعد انزالات عسكرية تتابعت في الأعوام من «١٨٨١وحتى١٨٩٩»
- ١٨٨٨: واشنطن تتدخل في هابين.
- ١٨٩١: القوات الأمريكية تغزو تشيلي.

- ١٨٩٤ : واشنطن تعاود القيام بعمل عسكري ضد «نيكاراجوا».
- ١٨٩٨ : واشنطن تعلن الحرب على أسبانيا بعد افتعالها لحادث كوبا.. بعد ثلاثة أعوام حولت واشنطن كوبا إلى ولاية أمريكية للقمار كما استولت على قاعدة بحرية في خليج جوانتانامو.. ومازالت تحتفظ به حتى الآن كمعتقل لها تابعٍ لها.
- ١٩٠١ ـ ١٩٠٢ : القوات الأمريكية تغزو كولومبيا وتدخل هندوراس.
- ١٩٠٦ : خلال الحرب الأهلية في كوبا نظمت القوات الأمريكية في جيش الهدنة الكوبية لاستعادة النظام وإقامة حكومة مستقلة خلال ثلاث سنوات.
- ١٩٠٧ : غزو هندوراس للمرة الثانية والاستيلاء على ست مدن بها.
- ١٩١٤ : تحت مبرر استرداد أحد الديون الرئيس ولسون يأمر البحرية الأمريكية بقصف واحتلال فيركروز.
- ١٩١٥ : القوات الأمريكية تدخل هايين وتحتل البلد حتى العام١٩٣٤م.
- ١٩١٦ : بعد غارات مكسيكية على الأراضي الأمريكية.. واشنطن ترسل قوة عسكرية برئاسة ببرشنج دخلت المكسيك لمطاردة زعيم الثورة "مانكوفيلا".
- ١٩١٦ : الأمريكيون يدخلون الدومنيكان ويحتلونها حتى العام١٩٢٤م.
- ١٩٣٢ : احتلال أمريكا للسلفادور بمساعدة السفن الكندية.
- ١٩٥٤ : واشنطن تنجح بالتآمر مع بعض الخارجين على القانون للإطاحة بحكومة جواتيمالا.
- ١٩٦١ : القوات الأمريكية تغزو خليج الخنازير في كوبا بواسطة جيش من المبعدين.
- ١٩٦٢ : فرض الرئيس كينيدى حصارا جوياً وبحرياً على كوبا لإجبار السوفيت على إبعاد صواريخهم الذرية من الجزيرة.
- ١٩٦٧ : "الـ «C.I.A»" تساعد عسكر بوليفيا على تصفية جيفارا.
- ١٩٩٠ : واشنطن تشعل حرب الخليج الثانية.

- سبتمبر ١٩٩٤: قوات متعددة الجنسية تقودها واشنطن تحتل هابين لاستعادة الديمقراطية قبل أن تسلمها للأمم المتحدة عام ١٩٩٥م.
- فبراير ١٩٩٤: شن هجوم شامل على القوات الصربية.
- أغسطس ١٩٩٨: هجمات بصواريخ "كروز" الأمريكية على أفغانستان.. وعلى أحد مصانع الأدوية في السودان.
- ٢٤مارس ١٩٩٩: هجمات جوية على بلجراد.
- ٧اكتوبر ٢٠٠١: واشنطن وبريطانيا تشنان أول هجمات جوية على أفغانستان.



٧٥ تدخل عسكري.. وسبعة ملايين قتيل..

هذا ما صرَّح به وزير الأمريكي الأسبق "كلارك" الذي أمضى ٢٥ عاماً وهو يتنقل بين دول العالم التي كانت ضحية حروب أو حصار الولايات المتحدة الأمريكية[1] وقال أن تدخل الولايات المتحدة عسكرياً شمل أكثر من ٧٥ بلداً في آسيا.. وأفريقيا.. وأمريكا اللاتينية منذ عام ١٩٤٥ إلى الآن..

وقدم كلارك كشف حساب ضحايا بلاده البالغ أكثر من سبعة ملايين إنسان كالآتى:

- حوالي مليون مواطن يابانى في الحرب العالمية الثانية بعد إلقاء القنبلتيْن النوويتين على مدينتي "هيروشيما ونجازاكي".
- ثلاثة مليون ونصف في كوريا الشمالية..
- مليون في الفلبين.. ويقال أنها حرب مع أسبانيا.. ولكنَّها كانت مع الفلبينيين.. مليون في فيتنام..
- مليون ونصف في العراق أكثرهم من الأطفال دون سن الخامسة..
- وقال أيضاً في ختام كشف حسابه:

«لقد أعلنت الإدارة الأمريكية أنَّ القتلى في بنما أقل من مائة بينما كانوا ٢٥٠٠.. كذلك القتلى في "جرانادا" كان العدد أكبر مما

(١) في حديث خاص إلى به إلى قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود".

ذكرتهم.. فما تقوم به الإدارة الأمريكية هو أعمال انتقامية ضد السكان.. وأصبح الآن لا يوجد بلد في العالم يشعر بالأمان.. لأنّ الإدارة الأمريكية لا تحترم القوانين».

دائماً: مع الطغاة ضد الشعوب

إنَّ الإدارة الأمريكية في تدخلاتها العسكرية دائما تناصر الطغاة والديكتاتوريين على شعوبهم المستضعفة..

- ففي عام ١٩٥٣ أعادت الولايات المتحدة الشاه إلى الحكم.. وكانت مأساة عظيمة للشعب الإيراني.
- وفي الكونغو وجنوب وسط أفريقيا أقرت موبوتو في الحكم.. ذلك الطاغية الذي حرم شعب بلاده من ثرواته لمدة ٣٧ عاماً.
- وفي شيلي شاركوا في قتل سليفادور.. وأوصلوا الطاغية الجنرال «بنشي» للحكم ليحكم البلاد بقبضة من حديد وأسموا ما فعلوه بالمعجزة.. فقط لأنه كان يخدم مصالحهم الاقتصادية..
- وفي الفلبين أعادوا الدكتاتور «ماركوس» للحكم .

وفي.. وفي.. وفي........ كل زمان.. ومكان.. لا أحد يدري على من ستدور دائرة «شيطان عالم اليوم» المسمى تجاوزاً بـ «الولايات المتحدة الأمريكية»..

❖❖❖

والآن ماذا بوسعنا فعله.. بعد أن قلنا كل ما بوسعنا خلال الفصول والصفحات السابقة؟ ما يمكننا قوله هو شيء واحد.. أنه ثمة حقيقة تاريخية.. وقاعدة إلهية تحكم مجريات الحياة.. «القاعدة» تقول :

«وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»[1].

(١) سورة البقرة آية «١٤٠»

فلا دوام لحال.. لأن ذلك هو المُحالُ نفسه.. والولايات المتحدة ليست استثناءاً تاريخياً قدر ما هي إحدى معطيات تلك «القاعدة».. فلابد لكل نجمٍ علا أن يسقط.. وسقوطها قادمٌ لا محالة.. ومن بين ظهرانيها.. لا من خارجها.. ألم يقل اللّه عز وجل في كتابه الكريم:

«وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»[1].

وهل هناك من هم مترفين أكثر من أبناء هذا الشعب.. ترفهم يجعلهم ينتحرون من الملل.. وعدم وجود ما يشغل بالهم.. وحياتهم.. ونستشهد هنا بإحصاءات تقول أن أعلى معدل انتحار في العالم بين طبقات الشعب الأمريكي.

وهل هناك دولةٌ ما على ظهر البسيطة تعيش الفسق بكل أشكاله.. وألوانه.. وتطلق عليه مُسميات مختلفة مثل (حرية الأديان.. حرية الشذوذ.. حرية التعبير) وغيرها من المسميات المطاطة.. والفارغة أكثر من هذا البلد؟

لكن ندعو جميعاً اللّه عز وجل أن «يُحق عليها القول فيدمرها تدميراً» بحق وَعدَهُ وقرآنه عما قريب.. فقد بغوا.. وطغوا.. وتجاوزوا كل الحدود غير المسبوقة تاريخياً بكل أفعالهم.. وتجاوزاتهم على كل المستويات.

بحق كل نقطة دم ذرفها إخواننا الشهداء في فلسطين.. والعراق.. وأفغانستان على أيديهم.. وأيدى الصهاينة الذين يبررون لهم كل أفعالهم.. ويمدونهم بالمال.. والسلاح..

بحق كل دمعة ذرفتها أمُ ثكلى.. أو امرأةٌ ترملت.. أو طفلٌ تيتم قبل الآوان..

بحق كل شرارة دمار أطلقوها على الأبرياء من المدنيين في هيروشيما.. ونجازاكي.. وفيتنام..

بحق كل كلمة توحيد «أخرَسوُهاَ» لتعلو كلمة شياطنهم..

بحق كل طلقة رصاص «أطلقوها» لتدمر.. وتحرق.. في كل مكان..



(١) الآية «١٦» سورة الإسراء.

الفهرس



المقدمة ١

فماذا حدث ... نفق اسمه الإرهاب ... حكاية المدمرة (كول) ... الدرس يقول ... الحرب الإعلامية ... كول ليست الأخيرة ... ماذا تريد الولايات المتحدة من وراء كل ذلك؟..

تمهيد: اكتشفها كولومبوس دون أن يدري!! ١٣

بلاد العم سام ... كيف بدأ تاريخ الولايات المتحدة؟ ... كيف تكَوَّنَ المجتمع الأمريكي الجديد؟ ... حرب الأعوام السبعة «١٧٥٦ – ١٧٦٣» ... حكاية قانون الطابع ... قانونا (تاونز هند) ... مذبحة بوسطن وثورة الضرائب في أمريكا ... حفل الشاي في بوسطن ... قانون الشاي ... كيف بدأت الحرب؟ ... وكيف سارت؟ ... إخلاء بوسطن ... إعلان الاستقلال ... استمرار الحرب ... معركة مزرعة فريمان الأولى ... معارك ساراتوجا ... معارك الجنوب ... نهاية الحرب ... معاهدة باريس ... نتائج الحرب ... وثيقة الاستقلال ... بعد الاستقلال ... تمرد الويسكي ... حرب طرابلس أو (الحرب البربرية الأولى) ... معاهدة استثنائية ... إعلان الحرب على أمريكا ... ووقعت فيلادلفيا ... أول فرقة «مارينز» في تاريخ الولايات المتحدة ... اتفاقية طرابلس ... حرب ١٨١٢ ... حريق واشنطن ... الحرب المكسيكية الأمريكية ١٨٤٦ ـ ١٨٤٨ ... الولايات الكونفدرالية الأمريكية ... حركات التبشير ... ملخص تاريخ الأمريكتين بالأرقام..

الفصل الأول: الهنود الحمر.. التاريخ.. والإبادة!! ٥١

أمريكا تلعب دور "المسيح السياسي" ... مدينة فوق التل ... الهنود تحت المقصلة ... شاحنات «أطفال للبيع» ... السخرة حتى الموت ... أساليب الإبادة ... ملخص مذابح إبادة الهنود الحمر..

الفصل الثاني: العبيد.. عقدة الحرية في بلاد العم سام!! ٦١

كيف تم ذلك .. البداية ... قوانين «جيم كرو» ... بداية التطبيق ... خط ماسون ديكسون ... عبودية حتى اليوم ... لكلٍ مدارسه الخاصة ... ثورة الستينيات ... اعتذار بعد فوات الأوان !! ..

الفصل الثالث: أمريكا.. ومذبحة العالم الاقتصادية الكساد الكبير ٧٣

أحداث الخميس الأسود ... زوال الأزمة ... قصعة الغبار ... تعريفة سموت هاولي ... روزفلت.. وكيف تخطت الولايات المتحدة الأزمة؟ ... سياسة "العهد الجديد" The New Deal ... كيف استدرجت الولايات المتحدة دول العالم إلى أكبر مذبحة اقتصادية؟..

الفصل الرابع: أمريكا.. والمذبحة الكبرى «نجازاكى.. وهيروشيما» ٨٣

الولد الصغير.. والرجل البدين ... كيف كانت القنبلتان ... معايير اختيار الأهداف ... هيروشيما ... كيف سارت الأمور؟ ... "ليتل بوي" الولد الصغير ... إدراك اليابانيين بحدوث الإنفجار ... أخدودٌ حتى الموت ... ما بعد الهجوم ... توقيت التفجير الثاني ... ناجازاكي ... إسقاط الرجل البدين ... التخطيط لمزيد من الهجمات النووية على اليابان ... استسلام اليابان واحتلالها ... لجنة ضحايا القنبلة النووية ... هيباكوشا ... الناجين الكوريين ... الضحية المزدوج ...

الفصل الخامس: مذابح العم سام.. في براري فيتنام!! ١٠٣

أسباب اندلاع الحرب ... حكومة شيوعية ... لابد من توحيد البلاد ... إعلان قانون الطوارئ ... التدخل الأمريكي ... هل تورطت أمريكا في تصفية الرئيس ديم؟ ... ادعاءات جونسون غير المؤكدة ... عشر حكومات عسكرية متعاقبة ... بداية المذبحة ... التجميع القسري للسكان ... الفيتناميون صامدون ... ذروة المعارك ... العصا والجزرة ... هجوم "تيت" ... الاستياء الشعبي الأمريكي من الحرب ... مذابح يندى لها الجبين ... مذبحة قرية ماى لاي ... مفاوضات سرية ... قصف هانوي وهايبونج ... وقف إطلاق النار ... كشف حساب المذابح الأمريكية في فيتنام ... من أهم نتائج تلك الحرب ...

الفصل السادس: أمريكا.. وكوبا.. وما صنع الحداد!! ١١٧

مشكلة جوانتانامو ... عملية نورثوود ... مذبحة خليج الخنازير ... البداية ... العملية Zapata ... عناد كينيدي ... أسلحة محرمة دولياً ... الهجوم ... ردود الأفعال ...

الفصل السابع:«الورطة» أمريكا.. وما حدث في أفغانستان!! ١٢٧

الورطة ... إيران تتحدى.. وتدخل بثقلها؟ ... من أفغانستان إلى ليبيا.. وما زال الإرهاب مستمراً ... حكاية أمريكا.. وليبيا ...

الفصل الثامن:«الولايات المتحدة.. ومذابحها في نيكاراجوا !! ١٣٧

الشهود ... عمليات نفسية في حرب العصابات ... نص الحكم ...

الفصل التاسع: كوسوفو المأساة المتكاملة!! ١٤٣

بداية النهاية لسلوبدان ميلوسيفتش ... كيف تكون جيش التحرير؟ ... أمريكا.. ودورها الزائف هناك ... ولكن لماذا تدخلت أمريكا في البلقان ... ضد الطاغية ... مع التفرقة.. وضد التوحد ...

الفصل العاشر:العراق.. ليست آخر الضحايا!! ١٥٣

أين الغذاء مقابل النفط؟ ... فاتورة الحرب الأولى على العراق ... لصوص الحضارة ... الخطة قديمة وهذه هي الأدلة ... لماذا العراق؟! ... مرحلة صَدَّامْ ... ونعود للبداية ... «بلاك ووتر»: صعود أقوى جيش مرتزقة في العالم ... رجل متعصب ... «بلاك ووتر» في العراق ... لمحات من مذابحهم في العراق ... مجزرة"عملية الرمح" ... مجزرة "الماتادور" ... مذبحة "الخنجر" ... مذبحة "الإسحاقي" ... مذبحة مدينة "الحديثة" العراقية ... مذابحهم لا تنتهي ... جريمة حضارية وإنسانية متكاملة ... بوش هو الأسوأ ... ادعاءات كاذبة ... من قال أن في العراق أسلحة دمار؟ ... ماذا بعد تدمير العراق؟ ... إنها مجرد كذبة ... إنه احتلال بغيض ...

الفصل الحادي عشر:«أمريكا.. ومذابح حقوق الإنسان!! ١٨٣

التمييز العنصري داخل السجون الأمريكية ... أمريكا أكبر منتج لأدوات التعذيب ... الجاسوس الغبى ... حتى مصانع الدواء دمروها ... التلاعب بمناهج التربية والتعليم في دول العالم ... «الكيمتريل»: سلاح أمريكا القادم لإبادة أعدائها ... سلاح ذو حدين ... كلمة السر ... اعترافات مثيرة ... إيران وإعصار جونو ... أماكن أخرى ... إعصار جونو ... مصر وأسراب الجراد ... وإقليم كوسفو ... شركات الأدوية تستفيد ... التكنولوجيا سلاحها الجديد ...

الفصل الثاني عشر: هؤلاء تحدوا الشيطان!! ١٩٩
جيرانيمو أيقونة الهنود الحمر ٢٠١
الثور الجالس ٢٠٦
هو شى منه ٢٠٩
مارتن لوثر كينج ٢١٠
جمال عبد الناصر ٢١٦
صدام حسين ٢٢١
تيتو.. وعدم الإنحياز ٢٢٣
كاسترو.. عدو أمريكا اللدود ٢٢٤
تشي جيفارا ٢٢٥
ماو تسي تونج ٢٣٠
كارلوس.. عدوهم اللدود ٢٣٣
هوجو تشافيز ٢٣٨
عبد اللّه أوجلان.. الأكراد ضد الشيطان ٢٣٩
آية اللّه الخوميني ٢٤١
المُلا عمر.. وحكاية تنظيم طالبان ٢٤٣
بن لادن.. الرجل الذي أرق مضاجعهم ٢٤٤
أيمن الظواهري.. ذراع بن لادن اليمنى ٢٤٦
الخاتمة: أمريكا.. الوجه الآخر ٢٤٩
والخلاصة أن: ٢٥٠
لماذا تُعادى أمريكا العالم؟ ٢٥١
٧٥ تدخل عسكري.. وسبعة ملايين قتيل ٢٥٤
دائماً: مع الطغاة ضد الشعوب ٢٥٥
الفهرس ٢٥٧

❖❖❖